في محراب الوعي الإسلامي

تأليف
حاتم إبراهيم سلامة

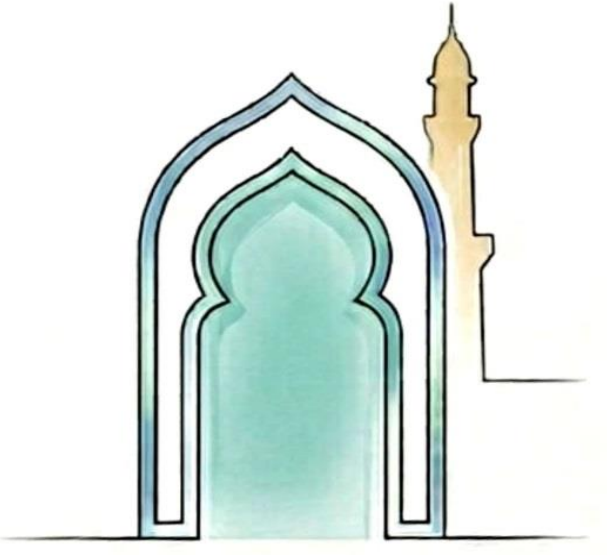

في محراب الوعي الإسلامي

تأليف

حاتم إبراهيم سلامة

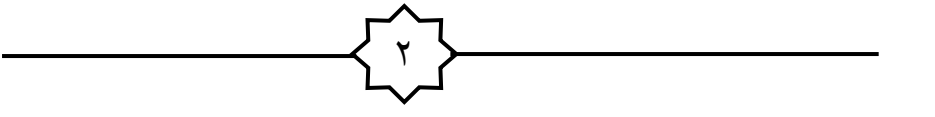

(دائمًا يبهرني ذلك الشخص الذي يخاف من أثر كلماته في قلوب الآخرين)

جبران خليل جبران

(ما رأيت عبادة أجل وأعظم من جبر الخواطر)

سفيان الثوري

(أحيانًا بعض الكلمات يكون ثمنها عمر كامل من الألم لغيرك، فانطق بخير أو تجمل بالسكوت)

نزار قباني

إهداء

أهدي هذا الكتاب إلى سيدي وشيخي معالي الأستاذ الدكتور (محمد صلاح عبده) أعزه الله وبارك في علمه وعمله، إذ من محاسن الدنيا أن تباركنا صحبته ويشرفنا قربه، وهو والله من أغلى الناس إلى قلوبنا وأقربهم إلى أرواحنا، لما رأينا فيه من عظيم الأخلاق، ورقي النفس ونفاسة الروح، وعظم الذوق، بل حينما رأيناه رجلا يتحرك في الحياة بقلبه الذي يسع الجميع، ويشرق محبه لكل الناس، متجملا في محياه بالعفو، متسربلا في طبعه بجميل الصفح، ولعل هذا الاهداء أن يكون رسالة إليه يدرك منها محبتي العظيمة له، وإجلالي لقدره ومكانته التي تتعاظم يومًا بعد يوم.

مقدمة

إن أزمة العقل المسلم في كثير من تجلياتها المعاصرة ليست أزمة "نقص في التدين"، بقدر ما هي أزمة في نوعية هذا التدين. لقد انخرطت قطاعات واسعة من المسلمين في شعائر الإسلام ومظاهره، لكنها في كثير من الأحيان غفلت عن مقاصده وجوهره، فاستحالت الممارسات الدينية إلى عادات مجردة من الروح، أو قوالب جامدة تصطدم بواقع الحياة ولا تعالج مشكلاته.

لقد جاء هذا الكتاب، (في محراب الوعي الإسلامي) ليكون وقفة تأمل ونقد ومراجعة. هو محاولة للارتحال من ضيق التقليد الأعمى إلى سعة الفهم البصير، ومن التمسك بالقشور التي أرهقت كاهل الأمة إلى استيعاب الجوهر الذي يبني الإنسان ويحيي الضمير.

لماذا هذا الكتاب؟ إن المتأمل في واقعنا يجد فجوة عميقة بين النص وبين الممارسة. هذه الفجوة سدّتها عبر الزمن جملة من الأخطاء المنهجية والسلوكية التي يمارسها بعض المتدينين، ظناً منهم أنها من صلب الدين، وهي في الحقيقة مجرد إفرازات

لقصور في الوعي أو تزييف في الفهم. .يتناول هذا الكتاب جملة من القضايا الحيوية، منها:

* تصحيح المفاهيم: فك الاشتباك بين التدين الحقيقي والتدين الشكلي.

* نقد السلوك: تسليط الضوء على الأخطاء الشائعة في دوائر التدين، والتي شوهت صورة الإسلام في نظر أبنائه قبل غيرهم.

* بعث الروح في الشعائر: كيف ننتقل من مجرد أداء الواجب إلى تذوق القربة.

إن الوقوف في المحراب ليس عزلة عن الواقع، بل هو استمداد للقوة والنور لإصلاح هذا الواقع. والوعي هو الأداة الوحيدة التي تضمن لنا ألا يضيع إيماننا في زحام الغلو، أو يتلاشى في سراب التفريط .. إن اختيار عنوان هذا الكتاب لم يكن محض صدفة؛ فالمحراب هو رمز للاتصال بالله، والوعي هو أداة الاتصال بالواقع. وحين يجتمعان، ينتج عنهما المسلم المستبصر الذي يعبد الله على بصيرة، ويفهم دينه كمنظومة حياة لا كمجرد طقوس معزولة. إن الوعي الإسلامي الذي ننشده هو ذلك الذي يحول الصلاة من حركات إلى نهي عن الفحشاء، ويحول الصيام من جوع إلى تقوى ومراقبة، ويحول الانتماء للإسلام من هوية صراعية إلى رسالة إنسانية.

لا يسعى هذا الكتاب أن يكون سوطاً يجلد الظهور، بل هو مرآة ناصعة نضعها أمام أنفسنا لنرى مواطن الخلل.. إن نقد ممارسات المتدينين ليس هجوماً على الدين، بل هو صيانة للدين من تشويه الجاهلين وتأويل الغالين.

أضع هذه الأوراق بين يدي القارئ الكريم، لا لتعزيز قناعات مسبقة، بل لنفكر سوياً: كيف نعبد الله بعلم؟ وكيف نمارس إسلامنا بوعي يليق بعظمة هذا الدين؟

حاتم إبراهيم سلامة
٠١٠٣٠٦٣١٥١٥

آداب الاختلاف

إن الاختلاف له آداب وسيرة مجردا من هذه الآداب يولد النفرة والشقاء بين البشر ويضيع تواجدهم ومستقبلهم في هذه الحياة التي تتحول ولا شك إلى جحيم مستعر ..على كل البشر أن ينظروا لتواجدهم الانساني ويبذلوا قصارى جهدهم في تنمية شعوره والوفاء له فمن أجله يتغاضون عن خلافاتهم واختلافاتهم وتباينهم حتى ولو كان في أصول معيشتهم ومبادئهم ودينهم .

كذلك على مستوى العالم الاسلامي نجد عددا من الجماعات والافراد تهدر حق الاخوة الإسلامية ولا تراعي لها وجودا أو تحسب لها اعتبارا فهم يختلفون ويسمحون لاختلافهم أن يكون معول هدم لهذه الوحدة والتآزر والتعاون الذي أمر الله تعالى به.. ومن ثم كان لابد في اختلافه مع أخوته أن يكون متجردا مخلصا يرجو ظهور الصواب وحده لا أن يتغلب على من يختلف معهم ويرضي شهوة نفسه ..وهنا يظهر أمامه الامام الشافعي ليعلمه المختلفين هذه الغاية التي لابد أن لا تغيب عنهم أبدا، وهي الاخلاص والتجرد حيث يقول : (كنت أناظر الرجل وأدع الله أن يظهر الحق على لسانه) ليس من

مشكلة إذن أن يظهر الحق على لساني أو أن تكون الحجة حجتي بل المهم أن يظهر الحق حتى ولو على لسان من يختلف معي ..وأمام هذه الغاية وأمام تحريها والتحلي بها كان لابد أن يكون الحوار بالحسنى والجدال بالتي هي أحسن بعيدا عن الصياح والتشنج والمخاصمة العنيفة والتطاول بالألفاظ والتنابذ بالألقاب.. ثم تأمل هذه الآية المباركة التي يقول الله تعالى فيها: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)

حيث فرق الله تعالى بين الطريقة في التعامل مع الدعوة وبين الطريقة في التعامل مع الجدال ففي الاوى تكون بالموعظة الحسنة أما في الجدال فقد قال تعالى بالتي هي أحسن ..أي أنه لو وجدت طريقتين في التعامل إحداهما حسنة والأخرى أحسن فلا يجوز الأخذ إلا بالتي هي أحسن ..ولقد نزل القرآن يحمل أدبا عظيما يدلنا عليه ونحن نحاور من هم على غير ملتنا، لقد استخدم القرآن الكريم في مخاطبة اليهود والنصارى تعبيرا له دلالته وإيحاءه في التقريب بينهم وبين المسلمين وهو تعبير أهل الكتاب قال تعالى: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) حتى المشركين الذين يعبدون الاصنام لم يخاطبهم بصفة الشرك وإنما كان يخاطبهم بقوله: يا أيها الناس حتى يلطف نفوسهم لتُقبل على الاستماع والحوار، ولم ينادهم بصفة الشرك الا مرة

واحدة ولها مناسبتها التي تقضي بقطع أي أمل لهم بتنازل المسلمين عن دينهم وتوحيدهم لخالقهم، وهو ذكاء حكمة بقدر ما هو في الوقت نفسه أدب وسمو.

ومهما كان حجم الخلاف بين من نختلف معهم إلا أننا وبالبحث سنجد نقاطا كثيرة يمكن أن نلتقي فيها ونتقابل عندها ونتوحد في إطارها، وقد ألمح القرآن الكريم إلى ذلك وهو يدعو أهل الكتاب بقوله تعالى: (وقولوا أمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) وقوله تعالى : (قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم) وإذا كان هذا هو سلوك المسلم مع غير المسلمين الذين يخالفونه في أصل العقيدة، أفلا يكون موقفه وتعامله مع المسلم الذي يشاركه في عقيدة واحدة وأصول واحدة أكثر إقبالا وأشد مودة ووقوفا على مصير يجمع الكلمة بينهما؟!

احتراما لصاحب هذا القبر

لله درك يا شافعي، ليتك اليوم معنا وبيننا لتعلم كثيرًا من الغلمان معانى الأدب مع الغير واحترام الرأي المخالف.. بل لتعلمهم معنى أن يبتعدوا عن مواطن الخلاف، ويجتمعوا على ما يوحد الصفوف.

عقب الفتنة الضخمة التي تسبب فيها خطيب دعاء (السر المستودع فيها) ظهر عدد كبير من دعاة الصوفية وحلفوا بالله وتوعدوا أن يكون هذا الدعاء منطوقهم في الجمعة التالية التي يخطبونها، وكل جمعة يصعدون فيها المنبر بعد ذلك، تحديا لخصومهم وعنادا لمخالفيهم.

لقد صار الأمر شبيها بمكايدات النساء ولغو الصبيان، ولم يعد يقود السجال علم وحكمة وعقول راشدة ونفوس سوية.. فالغل الذي ملأ القلوب أعماها عن الحق، وما عاد يهمها دين أو ألفة أو تظليل الصفوف بظلال المحبة.

المهم أن يتحقق لهم الغلب على أندادهم والمنكرين عليهم، وتشعر نفوسهم الملتهبة بالنصر، حالة من التغالب و[لعب العيال] لا تليق بداعية يحمل كتاب الله بيمينه وسنة نبيه بشماله.

وأمام هذا السعار المحموم، والتصرفات الصبيانية، تذكرت حال الإمام الشافعي رحمه الله الذي علمنا احترام المخالف، وعلمنا أن قاعدة الأدب مع الأكابر سواء كانوا أحياءً أو أمواتاً، واحدة من أرقّ وأجمل ملامح الحضارة الإسلامية، وعكست عمق الفقه النفسي والاجتماعي الذي تمتع به كبار الأئمة.

كان الإمام الشافعي رحمه الله ملهما معلما فعند زيارته لبغداد، صلى الصبح قريباً من ضريح الإمام أبي حنيفة ولم يقنت (أي لم

يأتِ بدعاء القنوت في صلاة الفجر وهو مذهبه الأصيل)، وحين سُئل عن ذلك قال: "احتراماً لصاحب هذا القبر"
وبالنظر إلى هذه مقولة سواء صحت القص. أم كان سندها ضعيفا، فإننا نجدها ليست مجرد مجاملة، بل تعد منهجا قويما في فقه الاختلاف يجمع بين التمسك بالدليل والمودة والرحمة، وتشير إلى قمة التواضع العلمي من الشافعي، فرغم علمه ومذهبه المستقل، رأى في أبي حنيفة أستاذاً للبشرية وهو القائل: (الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة) بل تشير إلى فقه الائتلاف وتقديم وحدة الكلمة وجبر الخواطر على ترجيح المسائل الفرعية في مواطن معينة.
فهل يتعلم الصبية الهوج مثل هذه المعاني من التسامح والأدب وتوحيد الصف ورأب الصدع، أم أن الهوى غالب في العقول ضارب بجذوره في الأدمغة؟
وإذا نظرنا إلى السيرة والتاريخ لوجدنا مواقف تشبه موقف الشافعي، تبرز أن الحق لا يمنع الأدب، فهذا الإمام أحمد الذي كان تلميذاً للشافعي، وبالرغم من أنه أسس مذهباً مستقلاً وخالف شيخه في مسائل عدة، إلا أنه كان يقول: "ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي". وعندما سأله ابنه عبد الله عن الشافعي، قال: "يا بني، كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس".

ورغم شدة ابن تيمية في الردود العلمية، إلا أنه لما بُشّر بموت أحد ألدّ خصومه (ابن مخلوف)، غضب على من بَشّره، وقام فوراً إلى دار خصمه فعزّى أهله وقال لهم: "أنا لكم مكانه"، وتكفّل بحوائجهم، فكانوا يقولون: إنه كان خيراً لهم من أبيهم بعد موته.

وكان الليث بن سعد إمام أهل مصر، يرى أن علم مالك أمانة، فكان يرسل لمالك الهدايا والأموال لمجرد أن يتفرغ مالك للتدريس في المدينة، وكان يقول: "مالك عالم المدينة، وأدبه أدب النبوة"، رغم أن الليث كان يراه البعض أفقه من مالك.

لا تحقروا آراء الآخرين

يقول الشاعر الألماني جوتة : إذا كان من النادر أن تجد بين أوراق الشجر ورقتين متشابهتين تماما في كل خصائصها فلا عجب إذن في انه يندر أيضا أن تجد بين البشر اثنين تتفق آراؤهما وأساليب تفكيرهما تمام الاتفاق !

ويقول أبو حيان التوحيدي : إن الحقيقة أكبر من أن يدركها عقل واحد ويضرب على هذا مثلا بعشرة أشخاص مكفوفو البصر أمام فيل ضخم يطلب كل منهم أن يلمس الجزء الذي أمامه ثم يصفه فإذا أولهم يصفه بأنه عاج والثاني بأنه شجرة

والثالث بأنه حائط وكلهم مصيب في إدراكه للمحسوس ..ولكن الخطأ الحقيقي أن يصر كل منهم على موقفه ولو أنهم جلسوا وبحثوا واستشاروا لعرفوا جميعا أنهم يدورون حول معنى واحد وهو الفيل ..! وهكذا يبدون بإنكار بعضهم البعض في حالة من الغباء المفرط ..وهي حالة كل متعصب لرأيه غير معترف بآراء الاخرين ..!

ولهذا يقول الفيلسوف البريطاني (برتراندراسل): إن الاغبياء متأكدون جدا ..أما الاذكياء فيملؤهم الشك دائما !أي الشك في إمكانية أن ما يعرفون غير صحيح فهم في بحث مستمر عن الحقيقة، كما أن الذكي هو من يؤمن بأن رأيه صواب لم يثبت بعد خطؤه ، وقد يظهر خطؤه إذا ظهرت فيم بعد دلائل قوية تثبت ذلك.. وبأن رأي غيره خطأ لم يثبت صوابه ، ، وقد يتأكد صوابه بظهور الحقائق التي تؤكده ..أما الاغبياء فهم على ثقة ويقين أنهم فريدون في تصورهم ورؤيتهم ..ومن ثم لا يقبلون حوارك ويتعالون عليك ولا يرون أن يواجه رأيك رأيهم)

وقد كان أبو حنيفة رحمه الله من هؤلاء الأذكياء ..فرغم علمه الغزير والذي قد لا يضاهى لم يكن من الذين يفترضون الصواب في آرائهم.. كان كثيرا ما يقول: قولنا هذا رأي وهو أحسن ما قدرنا عليه ، فمن جاء بأحسن منه كان أولى بالاتباع منا وقال يوما لتلميذه أبو يوسف: ويحك لا تكتب كل ما

تسمعه مني، فإني قد أرى الرأي اليوم وأتركه غدا ، وأرى الرأي غدا فأتركه بعد غد ..!

وسئل يوما : هذا الذي تفتي به الناس أهو الحق الذي لا شك فيه ؟ فسكت قليلا وقال متحيرا والله لا أدري ، فلعله الباطل الذي لا شك فيه.!

ويعترف الأديب الاستاذ (عبد الوهاب مطاوع) أنه لا يكره في الدنيا أكثر من التعصب الاعمى لرأي أو فكر أو عقيدة، ولا يحتقر أحدا كما يحتقر ذلك الانسان المتعصب الذي لا يرى الحق إلا في جانبه، ولا الباطل إلا في جانب الاخرين ..كما كان ذلك أيضا مسار حكمه على الناس حيث يقول : (إني لا أحكم على الناس بمناصبهم ولا ملابسهم الانيقة أو تراثهم العريض ..وإنما بعقولهم وسعة أفقهم ومدى احترامهم لآراء الاخرين ، وتسليمهم لهم بحقهم في الاختلاف معهم في الرأي أو العقيدة بغير يأن ينال ذلك من حقوقهم ولا من كرامتهم ورأيي في ذلك أن المتعصب هو إنسان قد اختار بإرادته أن يعطل عقله ويوقفه عن التفكير واستقبال المؤامرات المختلفة ، وأن يشل قدرته على استكشاف وجه الصواب في آراء الاخرين والاستفادة بها ..فكيف احترم من يهتم بغذائه وشرابه وملابسه ، ثم لا يهتم بتلقيح عقله بآراء الاخرين أو من ليس قادرا على التنازل عن رأيه إذا ثبت له خطؤه أو من ليس قادرًا

على الفصل بين الاشخاص وبين آرائهم التي يختلق معها فيحارو أفكارهم ويقبلها أو برفضها بغير أن يرفض هؤلاء الاشخاص أو ينقص احترامه لهم)[1]

إن قبول الآخر واحترام رأيه هو مقياس الحضارة والنضوج والرقي.. بل سمة الرجل المثقف المتحضر ..وهو سمة المثقفين الواعين بالمعالم الحقيقية لبناء الامم على أساس صلب متين.. وهو ذات المعنى الذي عناه وأشار إليه سلامة موسى في كتابه في الأدب والحياة حين قال: "ربما كانت سعة الصدر من أهم علامات الرجل المهذب الذي تثقف بمختلف الآداب والعلوم، كما هي أيضًا من أهم شروط الحضارة، فالرجل الذي غذا نفسه، وثقفها، ووقف على آراء المتقدمين والمتأخرين، لا يسعه أن يتعصب لفكرة سوى الفكرة القائلة بحرية الرأي، أي القائلة بعدم التعصب، فهو يستطيع أن يتحمل كل نقد ويتسامح فيه لأنه لسعة ثقافته قد وقف على آراء الكثيرين المختلفين وقدر وجهات نظرهم وعرف حسناتها كما عرف سيئاتها. أما الرجل الجاهل فيتعصب لرأي أو فكرة ويحتد في الدفاع عنها لأنه قاصر عن الوقوف على وجهات النظر التي

---

[1] - أرجوك لا تفهمني – عبد الوهاب مطاوع

تخالفه. وسعة الصدر أيضًا من الشروط اللازمة للحضارة، وهي هنا تسمى التسامح، فليست تقوم في العالم حضارة بلا تسامح، وذلك لأن الأمة بطبيعتها تنقسم في الآراء والمذاهب طوائف متباينة، فإذا لم تسامح هذه الطوائف، وإذا لم ترض لغيرها بالوجود كما ترضى لنفسها به، فإن التعصب يدفعها إلى التناحر الذي قد ينتهي بحرب أهلية فيها فناء الأمة وحضارتها، والتسامح هو الرضى بالآراء المخالفة ولو كان في التصريح بها ما يؤلمنا بعض الألم، فكل منا بطبيعته غيور على أن يرى آراءه الشخصية أو الطائفية فاشية حوله، ولكن لا يمكن أن تقوم حضارة حتى تتسع صدورنا لآراء الغير الشخصية والطائفية، ولو كنا نشعر ببعض الألم أو قد يصيبنا قليل من الأذى لنشرها. أي أننا يجب أن ننزل عن شيء من مصالحنا تسامحًا ومحافظة على الحرية الفكرية.) [٢]

معركتك مع من؟

حينما تمت مصادرة كتاب الشيخ محمد الغزالي (كيف نتعامل مع القرآن؟) في المملكة العربية السعودية، غضب الشيخ الغزالي من هذا الصنيع، ووصف هؤلاء الشيوخ الذين قرروا

[٢] - في الأدب والحياة – سلامة موسى

هذه المصادرة: بأن على عقولهم أغلاق، وفي قلوبهم قسوة، ولا يعطون الرأي الآخر أي حرمة.

كانت عاطفة الشيخ مهتاجة ملتاعة، لكنه لم يسمح لنفسه أبدا أن يكون فاجرًا في الخصومة، أو ممن يدفعهم الغضب للعدوان على كل شيء يمس السعودية، فإذا به يقول ويتذكر جميلا مضى: "إنني أحب المملكة العربية السعودية، لأن علمها يحمل شعار التوحيد، ولأن ملكها يخدم الحرمين الشريفين! ولأن تراثها شهد السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وهم يخرجون من ديارهم لإخراج العالم من الظلمات إلى النور.

وشيء آخر ينبغي أن أذكره، لقد آوتني المملكة عندما نكر لي السادات، واضطرني أن أترك وطني مهزوما مظلوما، إنني وجدت أذرعًا مفتوحة، وصدورًا مشروحة، واشتغلت بالتعليم مع نفر من أنبل العلماء وأذكاهم، وأديت واجبي على نحو أرضيت فيه ربي وأرحت ضميري.!"

ولو أن أحدًا ممن لم تتهذب نفسه وتتربى على معاني العدل، لهاجم السعودية قاطبة علماءها وحكامها وشعبها، لكنه الشيخ المربي المنصف، الذي علم الأجيال والشباب، سماحة الداعية، وسمو المسلم، فكثيرين منا حينما يدفعهم الغضب للعراك، يأتون على كل شيء دون تمييز، فيكونون أشبه بقذائف النابلم التي تأكل الأخضر واليابس.

والحق أن النفس السوية، هي التي تعتدل في كل شيء، وتضبط بالأحرى مسار عداوتها، ولا تسمح لنار الغضب أن تشب في أرجاء المدينة، لتقضي على ما فيها من جماد وحيوان قبل أن تقضي على الإنسان.

كان هناك رجل تقدم لخطبة فتاة، فرفضه أهلها أكثر من ثلاث مرات، ولكنه كان يلح في طلبها، ويدافع بأمله موجات اليأس المحبطة، تراجع الجميع وآمنوا بحبه لها، ولم يجدوا بدا أن يرتضوه زوجا لها.

وبعد الزواج وبعد أن صارت تحت يديه، انفجرت طاقة الغضب الهائلة، وبركان من العقد المخيفة، فقد تحولت كل مرة رفضوه فيها إلى نقطة سوداء أو شوكة نافذة تعكر مزاجه، وكلما نظر إلى وجه زوجته، لا يتذكر جمالها ولا شيئا من حبه لها.. فقط يتذكر تلك العقدة المؤلمة حينما رفضه أبوها.. تطورت العقدة، وتضخمت مع الأيام، وارتقت من مجرد شعور قابع في أعماق النفس، إلى سلوك عدواني مع زوجته، فصار يضربها ويسحبها ويؤذيها.

وتجرعت المسكينة مرارة العيش مع هذا المضطرب المريض المهووس.

إن الإنصاف حتى في العداوة خلق لا تطيقه إلا أنفسًا سامية وضمائر حية.

لقد نظر رسولنا الكريم ﷺ إلى عمه حمزة وهو صريع ممثل بجسده الطاهر في ساحة أحد، فلما تملكه الحزن، تنقل في مواكب الغضب، وأقسم أن يمثل بسبعين من قريش ثأرا له.. وهنا لم يتأخر الوحي لضبط هذه المشاعر الثائرة، وإلجامها بالعدالة والقسط، فنزل قول الله تعالى وهو واقف في مكانه: (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) النحل/ ١٢٦.

قام أحد العرب وتسلل خفية إلى القليس كعبة أبرهة، وأحدث فيه تبولا وبرازًا، ولطخه النجاسة والقذارة، إظهارا لعدم تقديسه، ولما علم أبرهة غضب غضبا شديدا، وأقسم أن يكون رد فعله أن يهدم الكعبة والبيت الحرام ويتخلص منها، ولكن ما ذنب العرب وما ذنب الكعبة أن تؤخذ بجريرة أعرابي، كان الأولى أن يتم البحث عنه وعقابه وحده على فعله المشين، ولكن الغضب إذا مار بالنفس، فإنه لا يعرف حدودا ولا تسعه أنهار الدنيا قاطبة لتطفئ ناره.

متدينون يضرون بالإسلام

بعض القراء يظنون أن ما أكتبه لهم وحدهم، وأنه لا يوجد في الدنيا غيرهم وحدهم، ولا يجب الاعتراف فيما يقرؤونه لأي

كاتب إلا أن يكتب لهم وحدهم، وهذه إشكالية كبرى لا يعاني أرقها إلا الكاتب وحده، الكل يتنازعه يريده أن ينزل على هواه ورغبته، هو بينهم كفريسة بين جمع من الأسود، كل منهم يمزق فيها من طرفه ووجهته يريدها له.

المتدينون لا يقبلون إلا أن أكتب عنهم وعما يمثلهم، وغير المتدينين، يستاؤون لو كتبت باسم التدين، ويريدونني أن أعبر عنهم وعن أفكارهم، والجميع يجب أن يعلم ابتداء أن كل الأطياف والانتماءات والأفكار تقرأ لي، وأنا أخوض بقلمي بين هؤلاء جميعا على شاطئ الحق وفيما يخدم الحقيقة.

كتبت مرة مقالا عن المطربة الشهيرة أم كلثوم ، ورصدت من حياة وتصريحات المرأة ارتباطها بالقرآن الكريم منذ صغرها، وكيف أشادت به وبالرسول الكريم ﷺ ، وأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، فإذا بطائفة من المتدينين تعترض وتتذمر وتتخيل أنني أشيد بالمرأة التي يناصبونها العداء لأنها مطربة، وحجتهم أن الطرب وآلاته مذموم في الإسلام، ويعدونها من دعاة المجون والعشق الذي يصرف المرء عن الحب الإلهي، بل أخذ بعض القراء يرميني بالأدلة على حرمة الطرب والغناء.

ورغم أنني في المقال لم أمدح المرأة في شيء، وكان كل اهتمامي عنها هو تصريحها بأثر القرآن واحترام الرسول وزوجه، وإذا بأحدهم يقول لي: رسولنا أعظم من أن ينتظر إشادة من

مثلها. ثم يقول لي آخر: اهتم بالصالحين فهم أولى الناس بالحديث والرواية والكتابة.
وأنا لا أعلم إلا أنني أقضي حياتي كلها في الحديث عن الصالحين، فكان منه توجيها عجبا، ولنفرض أن أم كلثوم داعية مجون، أليس من الجميل والمهم والخادم للإسلام أن نعرض تصريحها باحترام الرسول والقرآن؟
إن الملايين تعشق أم كلثوم، أليس في تصريحها هذا توجيه لكل محبيها باحترام الرسول والقرآن وقراءة السيرة النبوية والتفاسير، حتى المطربات منهن، ألا يمكن أن يقلدنها في هذا فيكون سبيل هداية لهم ولهن!؟ إن الذين رفضوا المقال بحجة أن رسولنا أرفع من أن ينتظر شهادة منها، لا شك مخطئون، فكل شيء يجب أن يسخر في خدمة الإسلام، وكل ما يمكن أن يكون مفيدا للإسلام والإسلام وحده، مقدم على كل شيء.
ورسولنا الكريم بشر، وهو داعية للإسلام مُرغب في تعظيمه واتباعه، فإذا أشادت امرأة شهيرة بالنبي والقرآن فهو يفيد الإسلام والتدين في المقام الأول، وهنا لا يقبل أن نقول جملة مثل هذه.
المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يتغنون بكتاب (الخالدون ١٠٠ أعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم) للكاتب اليهودي الأمريكي مايكل هارت، والمفكر المسلم الكبير دكتور

عماد خليل ألف كتابا قيما تحت عنوان (قالوا عن الإسلام) جمع فيه شهادات الغربيين عن ملتنا وديننا.. فهل يستساغ أن يأتي اليوم قاصر الفكر ليرد كل هذه الشهادات والإشادات التي تخدم الإسلام ودعوته، بحجة أن النبي أرفع من شهاداتهم ولا ينتظر مثلها؟!

ما هذا الخبل المأفون؟! هو تماما ما يتشابه مع هذه القضية الخطيرة التي رصدها شخنا البيومي رحمه الله، حينما ذكر أن من المعروف أن بعض الكتاب الغربيين قد أنصفوا الإسلام، وتعرضوا في سبيل ذلك إلى هجوم عنيف، لأنهم أيدوا الحق ولم يخالفوا ضمائرهم.. لكنهم مع إشادتهم بالإسلام لا يعرف أنهم أيدوه في كل شيء، بل لعل لهم معه خلافات وآراء مغايرة، فلا يقبلوه كله حسب أفكارهم ومعتقداتهم التي نشأوا عليها، ومنهم (جوستاف لوبون)، فإذا بنفر من الكتاب المسلمين، يتركون كل ما كتب الكاتب من إنصاف لحضارتهم وتاريخهم وأمتهم وجميلها على البشرية، ويعدون على ما أورده في كتبه مما يخالف الإسلام، ليشنوا عليه حربا شعواء، ويتربصوا به، ويظهرونه بصورة من يدلس أو يضع السم في الدسم، وأن ما أظهره من إيجابيات لا قيمة له لأنه أنكر أو اختلف مع الإسلام في شيء، استنكر البيومي هذا الموقف وهذه العماية التي تفتقد الحكمة والدراية والبصر بأحوال

هؤلاء الناس والطريقة اللائقة للاستفادة مما قدموه من خدمات، وتجنب وإعذار ما خالفوا في الإسلام، كما أن هذا الموقف يضر كثيرا بما قدموه من خدمات جليلة وشهادات منصفة أفزعت الغرب وضايقته.

ثم أراد أن يوقف هؤلاء المتحمسين على خطورة الأمر ووعورة الموضوع، فذكرهم بما كتبه الحاقدون على الإسلام، وما ألصقوا به من التهم والمعايب، وكيف شوهوا حقيقته، وأرادوا خداع الناس بإفكهم، فعل البيومي ذلك حتى يحمدوا تصرف من أنصف الحضارة الإسلامية، وله بعض المخالفات التي هي في حقيقتها طبيعية بحكم عدم انتمائه للإسلام.

وهي نظرة وسطية معتدلة عاقلة حكيمة، فلا تفسد على الإسلام مكاسبه التي قد ينالها، ويحصل عليها ممن لا ينتمون إليه، فلا يجب إفسادها بشن الحرب عليه قاطبة.

هل نرد هذا المكسب الكبير للإسلام من أجل مخالفات الرجل لبعض مفاهيم التعاليم الإسلامية؟ أم تسوقنا الحكمة للاستفادة مما ذكر وأشاد؟

ونفس القضية عرضها شيخنا الغزالي رحمه الله في كتابه (مع الله) مع الكاتب الغربي تومس أرنولد، فقد أنصف الإسلام رغم مخالفته له في كثير من الأمور.

وعلى هذا النهج كان البيومي والغزالي يقفان أمام كثير من المسلمين الذين يحاولون طمس الحقائق التي قدمها كثير من الفلاسفة الغربيين، ويحاسبونه وكأنه كاتب مسلم ولا يقدرون ظروفه وأوضاعه، إذ يكفينا منه إنصافه، ومخالفته في بعض الأمور المتوقعة.

لا يفتى ومالك في المدينة

كان يقال قديما: لا يفتى ومالك في المدينة.

ولله درهم في احترام الفتوى وتقديسهم لمكانتها، وأن القائم بها في فهمهم لابد أن يكون عليما حكيما قديرا.

أدرك السلف من قديم أن العبث في الفتوى يجر إلى الريبة والاضطراب، وسوء الحال والمنقلب.

بل يدفع إلى الضلال والزيغ، ومن هنا كان إعلانهم المدوي: لا يفتى ومالك في المدينة.!

حينما كنت في المملكة العربية السعودية وتحديدا في عام ٢٠١٠ صدر قانون توحيد الفتوى وقصرها على الجهات المخولة رسمياً وشرعياً، استناداً إلى الأهلية الشرعية المعتبرة، ومنعاً لتداخل وتعدد الفتاوى، خاصة مع انتشار فتاوى الفضائيات والمواقع الإلكترونية، إن المملكة تسبقنا بسنوات على طريق

الوعي الديني والمجتمعي، وبغض النظر عن اختلاف المدارس والمناهج والطبائع بين واقعنا وواقع المملكة، إلا أن مصر في حاجة ماسة لمثل هذا القانون الرادع لكل أفاق ضال يعبث بمقدرات الدين وثوابته.

تقنين الفتوى في مصر سيغلق بابًا عظيما من الفتن والجدل والفوضى وتأليب المجتمع ومحاولة تشكيكه في معتقداته، وهو ما ينافي مقاصد الشريعة العظمى في تحقيق سلامة الخلق ومصالح البلاد في الامن والاستقرار.

إن العبث التي تشهده مصر في الآونة الأخيرة يضر بمكانة الأزهر وعلمائه، ولعل القانون يعيد لهم هيبتهم الكبرى في النفوس، واحترام مكانتهم في الوعي والعقول.

لا شك أن هذا القانون سيحدث صدمة عنيفة لدى قطاعات من العلمانيين والملحدين وأعوانهم من الإعلاميين المرتزقة التي يسترزقون على إثارة الفتن المجتمعية باسم الفتوى والتجديد والفكر وحرية الرأي، والدولة لا يمكن لها أن تترك أمر الفتوى هملا في أيدي حفنة من المارقين الذين يعبثون بثوابت الدين ويضرون بعقيدة الشعب، ولو نفذ هذا القانون وجعلت له عقوبته الرادعة فسوف نستريح كثيرا من عبث العابثين وجهل المريبين وزيف الحاقدين.

ولعل هذا القانون أن يمنع أمثال سعد الدين الهلالي ولا سعاد صالح ولا كريمة ولا أمثال هؤلاء الذين يضربون أفهام الناس وأحكام الدين المعلومة في حياتهم بالآراء الشاذة المرفوضة، وهم عندي أخطر من العلمانيين في إضرارهم للدين وعدائهم له.

جميل أن تتنبه الدولة لمثل هذه الهزل وتغلق بابه بالقانون، مع العلم بأنه لن يغلق باب الاجتهاد لمن يتقولون بهذا، فمن أراد الاجتهاد فليعرض اجتهاده على الهيئة ورجال الافتاء الذين يقومون الكلام وفق النصوص ومقاصد الشريعة، ولن تكمم الأفواه لكننا بالقانون نريد المرجعية ونبحث عن المآل الذي نثق فيه لنحمي حياتنا ووطننا من هذا الهرج.

لكن ما يدهشني في الموضوع هو إصرار وزير الأوقاف أن يجعل من الأوقاف إحدى هذه الجهات المخولة بالفتوى، وكأن الأزهر أو دار الإفتاء قصرتا في المهمة والرسالة المنوط بها كلاهما.. الوزير يحرص على رفعة مكانته وتحقيق إنجاز في عمله وهذا محمود له، لكن أن تظهر فتوى تغاير فتوى الأزهر الذي يقوم عليه علماء أكفاء منتقون بعناية ودقة وتكونت منهم هيئة كبار العلماء المصرية، ذلك تنوع مرفوض، ليس في صالح الدين والدعوة.

أرى أن يلتفت معالي الوزير بالدعوة ويعمل على البلوغ بها أسمى مراتب التمكين فتلك وظيفة رجال الأوقاف وأئمة مساجدها، أما الحديث عن الرأي القاطع والافتاء في مسائل الدين، فالأزهر وحده ومعه دار الإفتاء من يتحمل فيها الرأي والاجتهاد.

يمكن للأوقاف أن تحقق إنجازات عظيمة في خدمة الإسلام بعيدا عن دنيا الفتوى.. وإن كان الوزير يحسن الظن برجاله، فالأمر لا يحتمل حسن الظن من عدمه، فلدينا هيئة كبار العلماء ودار الإفتاء يقومون بالواجب على أكمل وجه.

لم ينافح يومًا عن الإسلام

في حديثي مع صديقي (أحمد سيف) أخبرني أن مجلة الهلال سارعت هي الأخرى على غرار مجلة الثقافة الجديدة، لتصدر عددًا خاصًا بالعميد الدكتور طه حسين، وأخذ يحكي لي عن بعض المقالات المهمة بالعدد، والتي كان منها مقال غريب في موضوعه ومضمونه قد استلفت انتباهي وراعني خبره، حينما أنبأني أنه يحكي عن دفاع طه حسين عن الإسلام ضد المبشرين، استغربت كثيرًا فما عهدت طه في كل ما كتب مدافعًا عن الإسلام في شيء، يمكن له أن يؤلف كتابا عن الإسلام أو

السيرة ، لكن أن يدفع نفسه ليكون من حماة الإسلام فذلك مالم يكن.

طلبت من صديقي سرعة تصوير المقال، لأن العدد غير متوفر لدي، فإذا المقال للأستاذ الكبير والعالم الجليل الدكتور (مصطفى رجب)، الذي أجله وأوقره، وبيني وبينه حديث وحوار، وأعده أستاذًا لي وأتشرف بمعرفته وهو مما أفخر به، لكنه كوالد قبل أن يكون عالمًا، لاشك أنه يسمح لتلميذ له أن يختلف معه في رؤاه وما طرحه حول العميد الدكتور طه حسين.

ابتدأ معالي الدكتور مقاله بجملة أثارتني حينما رمى من يختلفون مع العميد بالمتعصبين وقصار النظر، استنادًا إلى قضية الشعر الجاهلي، وذكر أن هؤلاء المتعصبين لا يعلمون أن طه حسين لم يقبل أن يهان الإسلام في بلد الأزهر الشريف، وأنه قاد حملات عنيفة ضد أولئك المبشرين الذين أرادوا بالإسلام وبمصر كل سوء في ثلاثينات القرن الماضي.

والحق أنني عبر قراءاتي الممتدة، كنت قد علمت بأمر هذه القضية، وقرأت عن الفرسان الكبار الذين وقفوا في أتونها يدافعون عن الإسلام، ومنهم الكاتب الكبير الدكتور هيكل، وكان مما فاجأني أن يذكر الدكتور طه في هذه القضية بصورة سلبية غير إيجابية، ففي كتابه عن الدكتور هيكل، ذكر العلامة

الدكتور محمد رجب البيومي، أن هيكل رأس تحرير جريدة السياسة وقت ظهور هذه الفتنة – فتنة المبشرين- في عهد اسماعيل صدقي، وأنه كتب ٣٠ مقالا يرد به هذه الهجمة الشرسة ويدافع عن الإسلام ويحميه من هذا العدوان، وأنت إذا طالعت هذه المقالات وراجعتها، لوجدت رائحة الغيرة على الإسلام تفوح منها بوضوح بالغ فيما تطرق إليه هيكل من حماية العقيدة والصراع بين الغرب النصراني والشرق الإسلامي.

وهنا يظهر الدكتور طه حسين بموقف عجب، فإذا به كما ذكر البيومي يسخر من جريدة السياسة التي تبنت هذه الحملة الشعواء على التبشير والمبشرين، وصبت كل تركيزها على التصدي لهم، ليكتب في جريدة (كوكب الشرق) قوله: "الحديث عن المبشرين فرض كفاية، فإذا قام به المراغي سقط عن الظواهري، وقد تحدث المراغي أول أمس فسكت الظواهري أمس، ولكن السياسة قليلة العلم بالفقه، فهي تعتقد أن على كل عالم من علماء الدين أن يتحدث عن المبشرين، والحديث عن المبشرين لا يخلو من ضرر، لا سيما حينما يكون المتحدث من أهل المناصب الكبرى، فهو قد يغلو فيستقيل أو يقال، وقد يقصر فتسوء به الظنون"

والحق أن عرض مثل هذا الكلام أمام ما كتبه معالي الدكتور مصطفى، يظهر لنا شيئا آخر وصورة مغايرة للرجل الذي حاول الدكتور مصطفى أن يصوره أنه من حماة الإسلام.!

فالرجل بدلا من أن تأخذه الغيرة على دينه في وجه هذه الحملة النكراء، فيدعوا الجميع للتصدي لها وحماية الإسلام منها، أخذ يثبط الهمم ويسفه جهود الأقلام، وقد أوشك أن يطالبها بالسكوت والصمت بصورة غير معلنة، ثم هو يتهمها بعدم الفقه والعلم، وقد وقع هو في ذلك بصورة بالغة، فإن الدفاع عن الدين في مثل تلك القضية، فرض عين على الجميع، لا فرض كفاية كما ادعى العميد.

قدر لي أن أتذكر ذلك الموقف للعميد أمام ما قرأته للدكتور (مصطفى رجب) عن مقالات العميد فيما يخص قضية المبشرين.

والدكتور مصطفى لم يؤلف أو يختلق مثل هذه المقالات المنسوبة لطه حسين، وإنما أوعزها إلى مصادرها، ونوه بمراجعها، وهي فعلا من مكتوب طه رحمه الله ولكن.

نعم ولكن.. نريد أن نقول: تحت أي معنى وبأي لغة وبأية روح، كتب طه حسين كلامه؟

هل كتبه فعلا نفاحًا عن الإسلام وغيرة عليه، أم كتبه بنمط آخر توافق وتضامن مع من كتبوا في الأمر حمية لدينهم؟

الحق الذي يتضح في كلام طه حسين ومما أدرجه الدكتور مصطفى، أن الرجل كان يتحدث بوضوح شديد، عن احترام الحرية الوطنية والزود عن حرية الرأي والقومية وإجلال القانون والنظام الذي يقضي بأن الإسلام دين الدولة الرسمي، وأنه لا إكراه في الفكر والدين، لا على المسيحي ولا على المسلم، ووجب على الحكومة أن تحمي كل دين قائم في أرض مصر.

وتحدث عن دور الحكومة في الإشراف على المدارس ومراقبة التعليم وسلوكيات الطلاب حتى لا تحدث مثل تلك الخروقات، وحق المصريين في رد ما يخالف طبيعتهم ومأثوراتهم.

ثم هو يطالب بالتصدي لهذه الفئة لا لأنها خطر على الإسلام، ولكن لأنها أفسدت المجتمع وعملت على نشر الفساد والرذيلة وأشاعت الانحراف الخلقي في المؤسسات التربوية، فأخذوا يغررون بالفتيات الصغيرات فيغرونهن بالحب ثم يتزوجونهن، بعد أن يرتددن عن الإسلام، أو يغتصبونهن ثم يتركونهن، وقد كشف طه عن هذه الأفاعيل الدنيئة في مقال ساخن تحت عنوان (فتنة)، وكل هذا يحمد له ويشكر له، أن يبحث ويتحدث فيما يحمي وطنه ويحمي الفكر والرأي ويحافظ على الأمن والاستقرار.. هو فعل سوي لا يمكن نكرانه أو

الاعتراض عليه، لكن محاولة إنزاله في منزل الغيرة والدفاع عن الإسلام ضد خصومه، فأرى أن هذا يحمل الصورة مالم تشر إليه أبدا، ومالم يقصده طه نفسه فيما كتب من مثل هذه المقالات!.

ففي الفقرة من صفحة (١٩٦) من المجلة كتب الدكتور مصطفى رجب : "وطالب –أي طه– الحكومة غير مرة بحماية هذا الدين والزود عن الإسلام وقد وصلت أصداء قضية التبشير إلى البرلمان...."

ثم أعقب بعد ذلك نصًا لطه حسين من مقالته تحت عنوان (إذن) ونظرت في المقال لأجد وأتحسس المطالبة بحماية الدين والزود عن الإسلام، فلم أجد إلا أن الرجل يطالب الحكومة أن تتحرك واستنكر عليها سكوتها وضعفها أم مشكلة اجتماعية سياسية أمنية في نظر طه حسين قبل أن تكون مشكلة دينية.

لم يكن لحفظ الإسلام والعدوان عليه والمطالبة بحمايته حظ واضح في السطور حتى يجعل منها الدكتور مصطفى سبيلا إلى الدفاع عن الإسلام

ثم يعود الدكتور مصطفى في نهاية المقال الطويل ليقول: "هكذا كان قلم طه حسين سيفا مسلطا على التنصير

والمنصرين في الوقت الذي يتهمه فيه أعداؤه بأنه كان ضد الإسلام، وهذه صفحات مجهولة من حياة هذا الزاهد العظيم"
وأكرر أنني لا أنكر أبدًا أن الرجل قد هاجم التبشير والمبشرين، وكانت له مقالاته اللاذعة في أمرهم، لكن المنطلق في حديث الدكتور مصطفى، لم يكن بهذا المنحى الذي وضع فيه الرجل، نحن لا ننكر على العميد أنه مسلم، ولا نكفره والعياذ بالله، ولا ندخله النار فأمره إلى ربه، بل أنا أقر دومًا بموهبته وأنعته بما نعته به محبوه من أنه العميد، لكن فكره ومواقفه من كثير من الثوابت الإسلامية غير مشرف، ولم تثبت عنه توبة معلنة، وقد تراجع عن بعض أفكاره، فيما ورد في بعض المؤلفات، لكنه لم يعلن البراءة الكاملة من كثير من أفكاره الصادمة، التي كانت تستحق توبة معلنة، مثل طعنه النقدي في القرآن الكريم الذي ورد في الشعر الجاهلي، وتشويه معالم ومجتمع الصحابة في كثير من مؤلفاته كالوعد الحق والشيخان والفتنة الكبرى، وغير ذلك مما ليس مجاله الآن.
وأريد أن أقول: حينما نقارن بين ما كتب هيكل في قضية التبشير، وما كتبه العميد، نرى الفرق هائلا، في الأسلوب والخطاب وبارقة الروح الإسلامية التي تجلت في خطاب هيكل، ليكون هو الأليق بما وصف به الدكتور مصطفى حالة العميد.

تابعت مقالات هذا العدد لأقف على غيرها مما كتب محبو العميد، فإذا بي أجد مقالة للدكتور الجليل (محمود خليل) وأراه فيها قد عبر عن ذلك المعنى لرأيي الذي ذكرته وأعلنته قديما في شأن طه حسين، وقد سعدت كثيرًا أن أرى قامة كبيرة كالدكتور محمود خليل نطق بما نطقت به، ووصل إلى ما توصلت إليه، وذلك مما أفرحني أن أجد عقلي يسير على خطى العباقرة.

لقد كتبت قديمًا عن رأيي هذا والذي أثار حفيظة المعترضين فقلت فيه:" توصلت في النهاية بعد دراسات طويلة عن طه حسين وتعمق في نفسيته ومواقفه وطبيعة شخصيته، إلى كلمة لابد منها خاصة عند المتشبثين بعودته الإسلامية وأوبته الدينية، إلى أن المسألة ليست مسألة عودة ولا تصحيح فكر أو براءة معتقد، ولكن هذا الرجل كان مضطربا متمردا لا يصبر على حال واحد، تراه كل يوم في شأن، وكل وقت برأي مختلف، اليوم معك ويمدحك، وغدا ضدك يذمك، اليوم ضد الإسلام، وبعد قليل معه ينصف كتابه، اليوم يمدح العبقريات ويثني على صاحبها، وغدا يذمها ويهوي بها إلى الأرض.

هكذا كان طه حسين، وهكذا كانت طبيعته، وأقول لكل من يظن أوبته الإسلامية: إنه لو قدر له العيش بعد ما كتب في مرآة الإسلام، لظهر له كتاب آخر ينكر فيه ما أقره سلفا، والدليل

على ذلك أنه لم تكن لديه نفرة، ولا براءة معلنة من أفكاره السالفة، مما يدل على أنها عنده لا تعدو كونها أفكارا، يؤيدها حينا، ويحيد عنها حينا آخر."

وهنا يأتي كلام الدكتور محمود خليل والذي أوافقه ويوافقني فيه، إذ يقول في مقالهِ بذات المجلة: " وظلت هذه المتلازمة المرتابة في معظم حياته- والمريبة في بعضها- تتعلق بالرجل تعلق الروح بالجسد، فراح في الكثير من أفكاره يترامى بين الشاطئين، ويتردد بين القطبين، ويعمل تحت الرايتين.. فمن قمة التشدد والجموح الإسلامي، إلى قمة التمرد والجنوح الإسلامي أيضا، ومن قمة الانتصار للشريعة الإسلامية، إلى قمة الخروج عليها وعلى نصها المقدس، ومن حصير الكتاب إلى شواطئ فرنسا ومن قمة الخوف والتواري، إلى قمة الشجاعة والمكاشفة والمصارحة، ومن هنا إلى هنا، ومن هناك إلى هناك"

وفي ظلال ما قرأت وعبر ما عاينت، أريد أيها القارئ أن ألفتك لنقطة مهمة وهي، أن بعض الكتاب أو القراء، قد تصادفه بعض مكتوبات طه حسين الإسلامية، فإذا به يحسن الظن به ويدافع عنه، ويرفع قامته إلى السماء، ويجزم بأنه من أحرار الفكر الإسلامي، وأن من يهاجمونه جهلاء بقيمته الدينية، ومن ثم ينقلبون على كل ما نكتب ونظهر ونبين.

وفئة أخرى تقرأ له ما ساقها لاتهامه بالانحراف، ثم يقع في أيديها بعض إسلامياته، فيحارون ويضطربون، ثم يخلصون في النهاية أن الرجل قد تاب بدليل ما يرون من مكتوبات الهداية والحق.

وهؤلاء وأولئك قد غفلوا عن رأينا الذي ذكرناه قبل ذكر أمرهم ورواية حيرتهم... وهو أن الرجل كان متناقضًا منقسمًا محيرًا لا يستقر على حال.

متدينون ضحية لويس عوض

لا أعلم كيف يبيت ليلهم هانئون أولئك الذين يتجنون على الناس بمقالات السوء والافتراء، ولا توخزهم ضمائرهم أن أساؤوا إلى غيرهم.. لكن عجبك يزول حينما ترى الوهم يفترسهم وهم يظنون أن هذا التجني خدمة جليلة يقدمونها للإسلام، وكلما أمعن أحدهم في السوء كلما كان في دخيلته أقرب الناس إلى الله وأشدهم حراسة للإسلام.!

والأستاذ العقاد رحمه الله وهو الذي نؤكد دومًا أنه من أشد العقول التي خدمت الإسلام، نراه في جملة ما أثير عنه من شبهات وأغاليط، لا يعدو أن يماثل غيره من الأعلام الذين

أثيرت حولهم مثل هذه المفتريات بفعل الاستعمار وخصوم الإسلام وجهل بعض أبنائه.

فأنت ترى عجبًا فيما يقال عن أعلام كبار خدموا الإسلام أعظم خدمه، وأبلوا في معترك رسالته خير بلاء، فإذا الضربة تأتيهم ممن؟ هل من خصومهم ومن يختلفون معهم عقديًا ومنهجيا؟ أبدا أبدا.. فالضربة القاصمة التي تريد تشويه شخوصهم ومسيرتهم، تأتيهم من إخوانهم وممن يسيرون معهم على ذات الدرب ونفس الطريق.

فترى متدينين يذيعون إفكًا وبلا دليل: أن فالأفغاني عميل وجاسوس وماسوني وسكير وخبيث وشيعي رافضي ومجنون ومخرب ومحشش ثم ملحد، وغير ذلك من التهم الشنيعة المنكرة التي يمكن كما قيل: ألا تجدها في إبليس ذاته.!

نعم يردد هذا المتدينون والمعنيين بالإسلام ودعوته ومستقبله، ولا يعلمون أنهم يدمرون هذا المستقبل وهم يشوهون عظماء الإسلام بهذا الجور العنيف.

بل انظر حتى لطليعة الأدباء الذين نحمد الله أن خرج منهم من لم يتأثر بلوثة الغرب، واستطاع أن يخدم دينه على أبهى ما يكون، فهذا الإمام محمد عبده معتزلي خائن وصديق للمستعمر، وهذا الأستاذ العقاد كل ما يهم من بعض المتدينين أن يثبت أنه كان لا يصلي، ويقولون عن الأستاذ فريد وجدي

أنه كان يقوم بتحضير الأرواح، وسبحان الله فهذان الاسمان وحدهما لا يضارعهما في خدمة الإسلام أحد في عصرنا الحديث لو كانت جماعة عظيمة أو مؤسسة لها روافد ونفوذ.!

ومع هذا يحلو للبعض متفيهقًا أن يهدم هذه الأعلام التي لو قاس المنتقدون أنفسهم بهم وبتراثهم لوجدوا حالهم حال الأقزام والأصفار على الشمال ممن لا قيمة لها لا وزن.

أتعجب كثيرا من كاتب ينتسب لمدرسة سلفية متشددة، وكل همه وسالته في الحياة أن يدمر الأستاذ العقاد، ويثير حوله المفتريات العظيمة والأكاذيب الضالة، والتجني المبتور، ويحمل أقواله مالم تحتمل، ويقف من خلفه جمهور يصفق له يعجب به، ويدعون له أن يرضى الله عنه لأنه أفهمهم وفتح مغاليق أفهامهم على الحقيقة، ووالله ما أمعن إلا في إضلالهم وخداعهم جهلا أو عمدا.

وليت أمرهم يقف عند الإعجاب وحده، وإنما يشيرون مقالته وينشرون طعنه، ولا يعلمون أنهم مع كل تصفيقه له، إنما يهدمون في الإسلام وينالون من حصونه، ويضربونه في مقتل، تماما كالدابة التي قتلت صاحبها.

وأنت تتعجب كيف لمتدين يهمه أمر الإسلام أن يردد شبهات الحاقدين على دينه، ويكون ألعوبة في أيديهم بهذا الشكل القبيح والصورة المنكرة؟! قطاع عريض من التيار السلفي يقع

في فخ (لويس عوض) وهو المفكر الصليبي الذي نجح في ضرب سمعة أكبر زعيم ومجاهد إسلامي عرفه تاريخنا النضالي، وانساق الفريق الجاهل وراءه كالقطيع الأعمى، يرددون شبهاته دون تبين وإبصار.

يقولون دومًا إن أخلاق الرجال ومواقفهم تدل على أخلاقهم وحقائقهم وقد قرأت أنه عندما ذهب إلي الآستانة طلب منه السلطان عبد الحميد أن يدع مهاجمة شاه إيران، وأنصت جمال الدين دون أن يرد، فلما طال إلحاح السلطان عليه قال منهيا الحديث: قد عفوت عنه.

وشده السلطان، وذعرت الحاشية! قد عفوت عنه؟ العهد بعلماء الدين أن يكونوا مدفوعين بالباب ينتظرون الجدا ويشكرون الندا.. فما بال هذا الرجل يناصي الملوك ويحاكم أخطائهم؟

قال المؤرخون: ما كان جمال الدين يري نفسه دون الخليفة.

يقول شيخنا الغزالي: "هل هذا السمو خلق عميل للماسونية كما يقال؟ إنه خلق متوكل وثيق الصلة بربه، راسخ القدم في دينه، وما سمعت قبله ولا في عصره من كشف أحقاد الصليبية العالمية وألب الجماهير ضدها وشن الغارات شعواء علي المستبدين والظلمة، ونفخ من أنفته في الشعوب في الشعوب الراكدة المستعبدة يحضها علي العمل لدينها ودنياها، إن الرجل

وحده كان صاحب هذا الصوت ويظهر أن تلك كانت جريمته"

ومالي هنا أحشر الغزالي وأنقل قوله، وهو نفسه متهم عند هذا القطاع الذي غفل عن غاية الإسلام وغابت عنه الحكمة في الدعوة وتجمد عقله أمام الفهم الصحيح الذي يريده منه دينه، وإن تعجب فاعجب حينما يكون الرجل عندهم ملحدا عميلا وكل تراثه الذي خلفه وراءه، ليس فيه كلمة واحدة تغضب الله أو تخدم مستعمرًا أو تخون أمة، كل تراثه وكتبه وما خطه بقلمه، لم يكن إلا انتصارا لله ورسوله، وهكذا يحكمهم الهوى والغرض، ولا يعلم أصحابنا أنهم بهذا التجني هم الخونة الحقيقيون لأمتهم ورسولهم ودينهم.

ألا سحقا للجهل.

إن من المهم إدراك أن الماسونية في ذلك الوقت، خاصة محفل كوكب الشرق في مصر، كانت ترفع شعارات (الحرية، الإخاء، المساواة). كانت تُقدّم نفسها كمنصة للنخبة المثقفة والسياسية لمحاربة الاستبداد والتدخل الأجنبي، ولم تكن صورتها في الوعي العام قد ارتبطت بعد بالمؤامرات السرية أو الصهيونية كما حدث في القرن العشرين. لذا، انضمام المصلحين لها كان بحثاً عن "وعاء تنظيمي" لمواجهة طغيان الخديوي إسماعيل والنفوذ البريطاني.

أقوى دليل يدافع عنهما هو الطريقة التي انتهت بها علاقتهما بالماسونية، حيث تمرد الأفغاني: عندما وجد الأفغاني أن المحفل يخضع لإرادة الإنجليز ويمنع الكلام في السياسة، ثار ضدهم وخطب خطبته الشهيرة التي وصفهم فيها بالجبن، ثم انشق عنهم وأسس المحفل الوطني الذي كان غرضه سياسياً وطنياً صرفاً.

إننا يمكن اعتبار أن دخولهما كان تكتيكياً لاستخدام المحافل كأندية سياسية، ولما تعارضت أهداف المحفل مع ثوابتهما الإسلامية والوطنية، تركاه وهاجماه

لابد من الدعوة إلى النظر في كتابات الإمام محمد عبده في تفسير المنار أو رسالة التوحيد، وردود الأفغاني على الدهريين والماديين؛ لنجد أن كل تراثهما يتمحور حول تقوية الأمة الإسلامية وحمايتها من التغريب، وهو ما يتناقض جذرياً مع أي أجندة ماسونية تهدف لتذويب الفوارق الدينية.

كثير من خصوم الأفغاني ومحمد عبده (خاصة من المحافظين أو الموالين للاحتلال) استغلوا هذه الورقة لتشويه سمعتهما الدينية. الدفاع هنا يعتمد على أن التهمة كانت "سلاحاً سياسياً" أكثر من كونها حقيقة عقائدية. فمن غير المنطقي أن يكون الشخص ماسونياً وفي الوقت نفسه يقود حركة إحياء إسلامي تقلق مضاجع الاستعمار الأوروبي في الشرق.. نعم

لويس عوض الصليبي وخلفه قطاع عريض من التيار السلفي المسبح بحمد الطغاة والملوك والرؤساء والأنظمة هم من تولوا كبر هذه الفرية ضد أعظم زعيم وإمام إسلامي.

ومن أروع ما يقال في تبرير الأمر إن وجد: يمكن الدفاع بالقول: إن الممارسة التاريخية لبعض العظماء قد تشوبها اجتهادات خاطئة في اختيار الأدوات. فلو سلمنا بوجود أسماء لهما في سجلات المحافل، فإن هذا يُفسر في إطار الاجتهاد السياسي الخاضع لظروف عصرهما، ولا ينسحب أبداً على عقيدتهما أو إخلاصهما للمشروع الإسلامي.

فتنة دمياط

الفتن الدينية من أشد الفتن عصفًا بالمجتمعات، لما تحمل من تعصب مقيت يضمر في طياته رياح الكراهية والبغضاء، وهي أشد أنواع الفتن كارثية على الأوطان، أخطر بكثير من الفتن السياسية، لأن الرجل يمكن له ساعة الجد والخطر أن يتنازل عن تعصبه السياسي إن عدا طوره وتجاوز مقداره، لكنه أبدًا لا يمكن أن يتنازل عن عصبيته الدينية حتى ولو كان الأجواء تنذر برعد المخاطر.

وعلى الفتن الدينية يلعب المستعمر، وهي أولى النقاط التي ينظر إليها ويركز جهده نحوها، لأنه يعلم أنها الفتنة التي تحقق له مأربه من قهر بلداننا ومجتمعاتنا، ومن ثم يسهل له السيطرة عليها، فعل هذا في كثير من البلدان، التي نزل بها، والتي ضعفت لُحمتها، لا من طبيعة شابت فيها، ولكن من فرقة دبت بين طوائفها، وما كان له من شغل إلا إذكاء نيران هذه الفرقة حينما وجد الأرض مهيأة لها، ولما جاء إلى مصر حاول التفرقة بين المسلمين والمسيحيين، لكن الوحدة الوطنية بين أبناء الوطن الواحد، كانت قوية عصية على الاختراق والتمزيق، وشهد التاريخ أن كل من حاول اللعب بورقة الأقباط في مصر كانت عاقبته خُسرًا ولم يفلح في شيء.

وأمام هذا التماسك البنيوي للمجتمع، وقع في الفخ وبجدارة ما نسميها بالتيارات الدينية، فالخصومة بينها منكرة تصل إلى حد التكفير والتفسيق، ولو أتيح لبعضهم أن يقتل بعض لفعلوا لولا الخوف من القانون وسلطة الدولة، بل إنك تتأمل حال هذه التيارات، فلا ترى أحدًا يكره أحدًا بمثل ما يكره السلفي الصوفي والصوفي السلفي، إذ يعد كل فريق صاحبه نَجَس يمشي على الأرض، فلا سبيل إلى وحدة أو ترابط، حتى مع وجود أصول واحدة يمكن لها أن تجمع ولا تفرق، ولكن لواء الحماقة يرفرف فوق عقول الجميع، وهم أجهل الناس

بمحن الحياة وأزمات الزمان، وفقه الأولويات الذي يجب أن يُتبع فيوحد الجميع تحت مظلة الإسلام الذي يحتاج إلى كل لبنة ليستطيع مقاومة من يريدون اقتلاع جذوره من الأرض.

ولكن أصحابنا في غيهم سادرون، وفي بلائهم مشغولون، وكلما جد أحدهم في النكير على صاحبه، كلما كان ذلك علامة على صحة انتمائه لجماعته أو تياره أو حزبه، وما دروا أن كل معركة تدور، إنما تمثل معولا لا يهوي به على صاحبه، بقدر ما يهوي به على الإسلام ذاته.

لقد وقفت المجتمعات الغربية موقفًا حازمًا أمام كل دعوة تسوق الناس إلى الفتنة باسم العصبية للفكر أو الدين أو الحزب، ليكون سلطان الدولة فوق الجميع والمظلة التي لا تسمح لأحد أن يخترقها ويتجاوز حدها.

قل ما شئت وأعلن ما شئت وصرح للدنيا بأي معتقد أردت، لكن حينما تركب مركب العصبية فتتجاوز حدودك التي تثير الفتن في المجتمع وتحدث العداوة والشروخ بين النظراء، فهذا غير مقبول، لتتحرك الدولة والقانون بكل قوة لوأد هذا الغلو والتطرف المنبوذ.

وإني لأعلم اليوم ومن خلال قربي ومعرفتي من بعض أبناء التيارين وما استحدث فيهما من غلو ظاهر وقمعية شرسة، أنهما لو أتيحت لهما فرصة النزال والعراك لحملوا السيوف

والمدافع رغبة لكل منهما أن يقضي على الآخر، وهكذا يهددنا العدو من كل جانب ولا هم للهمج إلا القضاء على أخوة الدين والوطن.

عجبًا عجبًا هذا أشعري وذاك سلفي، هذا يؤل وذلك لا يؤول، هذا مجسم مشبه وذلك معطل، صراعات ما أوجدها إلا الوهم والغفلة، وسيادة الجهل وقلة العلم.

ولعل هذه النفرة بين السلفية والصوفية أو بين الفكر السلفي والفهم الصوفي قديمة قبل أن يكون للتيار السلفي وجود في مصر بمعناه الذي نراه اليوم عبر مدارسه المتعددة.

ولقد مرت بمصر بعد الحوادث التي سجلت وجود الفتنة الدينية بين أبناء التيارات الدينية، فأحدثت شغبًا هائلا وكادت أن تزهق فيا الأرواح لولا لطف الله وكرمه بالناس، لقد دوى صوت هذه الفتنة في كل مصر وكانت عواقبها تنذر بمخاطر كبيرة، ما كان الباعث عليها سوى فكر صوفي وآخر سلفي، وجد كل منهما النصير والمؤيد، فاحتدمت الأمور ودبت المواجهة، واستشرى الخلاف.. ففي التاريخ عام ١٩٠٧م نقرأ عن ما يعرف بـ(فتنة دمياط) التي قامت بسبب "خلاف بين علماء الدين ، واشتعلت نارها بتدخل العوام فيها ورفع أمرها إلى مشيخة الأزهر والخديوي، وكان يستفحل خطبها بتحريض بعض العلماء ذوي الأفكار من كلا الفريقين، حيث

قام أحد علماء دمياط وهو الشيخ (حسن علي) فقصد ليله المولد النبوي مسجدا نفيس وقرأ قصه المولد الشريف خالية من الشوائب القصصية الممزوجة بكثر من القصص، وحض الحاضرين على اتباع القرآن الكريم وما صح من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وحذرهم من السجود للأولياء والاستنجاد بهم من دون الله، ومن النذور للأضرحة، وتعهد صناديقها بالبذل والعطاء، في حين أن الاعمال الخيرية أمامهم واسعة الأبواب وهي في حاجه إلى الدرهم والدينار من المحسنين، ثم علم شيخ المسجد الشيخ (النحاس) بما حدث وكَبُر عليه الأمر وثار ثائره، فذهب إلى اثنين من قدماء العلماء الذين لهم سلطان عظيم على قلوب العامة، وروى لهم الحديث ممسوخًا محرفًا، فرواياه كذلك للعوام فقالوا في الشيخ ما قالوا ورموه بالمروق من الدين والعدول عن الايمان بالله ورسوله، وزادوا من عند أنفسهم ما شاؤوا، هنالك قام رعاع القوم وسفهاؤهم منذرين مهددين، وشرعوا في رمي منزل الشيخ بالحجارة وانهالوا عليه شتمًا ولعنًا حتى اضطر الى الاستنصار بالحكومة"

وصدر الحكم بمنع هذا العالم من التدريس وقطع مرتبه وجرايته سنة كاملة حتى يقدم شيخ علماء دمياط شهادة بحسن سلوكه، وهو نفسه شيخ العلماء عبد الرحمن الخضري الذي

أتى بشهود في عريضته التي قدمها في التحقيق يرمون الشيخ حسن بالكفر والخروج عن الدين، وهم لا يعرفون ما كتب في هذه العريضة"

وأمام هذه الهوجة وجد الشيخ حسن من يؤيد رأيه ويرى فهمه ويدافع عنه ويواجه تهجم الصوفية عليه، ويرميهم بالجل والرجعية والجمود، وكان ممن رصد أحدث هذه الفتنة وندد بها في الصحف الشيخ علي الغاياتي في مطلع شبابه في جريدة الجوائب المصرية في مقالات متعددة وكان مما قاله: "إن الدين بعيد عن هذه المشاغابات والتحزبات، وإنما هي أمور لا يعبأ الله بها، وليست من دينه في شيء، وسيعلم الذين يخلقونها أي منقلب ينقلبون، فإنهم إنما يحاربون بها الدين من حيث لا يشعرون، ونأمل من حضرة شيخ العلماء أن يتقي الله في دينه ونفسه وينصر الحق حيثما كان"

ويبدو أن الغاياتي كان في صف الشيخ حسن الذي أعلى الفهم السلفي وطالب به الناس ودعا كل المصريين أن يتبرعوا للشيخ حسن الذي وقف راتبه.

كتب الغزالي ضرورة دعوية

من قديم أقول: إن العالم الأزهري حينما يقرأ كتب الشيخ محمد الغزالي ترى عقله يستنير ويصبح متوازنا منضبطا فاهما واعيا رشيدا، لا يفرط في حق ولا يناصر باطل، كما لا يمكن له ابدا أن يكون من المنافقين المتزلفين، إنها تربي فيه الغيرة على الدين، والانتصار للحرية، والاستهانة بالحياة، والاعتزاز بالمبادئ، والحفاوة بالقيم.

تعلمك كتب الغزالي كيف تكون رجلا مصلحًا صاحب رسالة وقضية تعيش لها وتؤمن بها، ولا تغيب ابدا عن حركاتك وسكناتك وحلك وترحالك ويقظتك وراحتك.

لقد كنا نقرأ كتب الشيخ فلا نتصور أن من نقرأ له مجرد عالم دين، وإنما نقرأ لزعيم كفاح وقائد أمة يحمل همومها وتثقل كاهله محنها.

لقد علمنا الغزالي، أن العالم الحقيقي، هو العالم المناضل الذي يعلن كلمة الحق والصدق، وليس هو العالم المنبطح الذي يسير مع التيار، وتغلب على أمانيه وغاياته مصالحه الشخصية، ومآربه الذاتية.

إن القراءة للغزالي في هذه الحقبة واجبة ضرورية، فنحن في زمن صُدرت فيه للعلم والعلماء مُثل هزيلة الهمم، ضعيفة العزائم مأجورة أو مرتزقة، لا توقر علما، ولا تملك هيبة، لا

يحمل الواحد في نفسه أي طموح لأمته ودينه، لأن قلبه وعقله لا يرى إلا نفسه..

وأنت أمام التجربة.. اذهب لأي داعية أو عالم أزهري، وآخر مثله، أحدهما قرأ للغزالي، والثاني لم يقرأ له وغاية العلم به أنه يعرف مكانته ويسمع باسمه، انظر للطرفين لتجد بونا شاسعا، وفرقا هائلا في كل شيء، في الفهم والوعي والإدراك والفقه والثقافة والهمة والعزيمة والروح والحماس والانتصار للإسلام والتعلق بمستقبله..

أما الذي لا يقرأ للغزالي، فتراه فاقدًا لكثير من معالم التربية الإسلامية التي تجعل منه خير تمثيل لدينه وعقيدته، حدثه وناقشه لتجد فكرا منغلقا سلطويا انهزاميا أنانيا حزبيا، وتجد كذلك عقلا جاهلا جامدا ونفسا هامدة لا يمكن أن تقول لباطل لا، لا صلابة فيه ولا قوة.

حدثه في قضايا المسلمين وإلزام نصرتهم أو حتى مجرد الشعور بهم، لتجد فيه تبلدها باهظا، تحقر معه العلم والعلماء.

إن كتب الشيخ الغزالي تصنع المسلم الحر الذي يحمل في رأسه فكرا ثاقبا يعبر بدقة عن حقائق الإسلام ويجسد الصورة الحقيقية التي يجب أن يكون عليها عقل هذا المسلم في مواجهة الحياة وما تحمله من قضايا تخص الإسلام ووجوده وحاضره ومستقبله.

علموا أولادكم أن يقرؤوا للغزالي، وقرروا كتبه في الكليات الأزهرية وغير الأزهرية، وأنتم يا هواة الكتب والقراءة، اقرؤوا كتب الشيخ وليكن في أول أولوياتكم، فإنها ستغير كثيرا مما أنتم عليه.

وعلى كل من أراد ان يختبر هذه الكتب، عليك أن تسجل آراء وانطباعاتك وأفهامك في كل القضايا التي فيها رأي ونظر، ثم اذهب بعد ذلك واقرأ كتب الشيخ، لتجد نفسك بعدها إنسانا آخر غير الذي كنت عليه من قبل.

وكأن الرجل قد وضع في سطوره ومع أفكاره خلطة من السحر تفتن القراء، فلا يترك أحدهم كتابا يطالعه من كتبه، حتى ينهيه ويأتي عليه كله، ويندفع بعدها إلى كل كتبه اندفاع العاشق أو لفهة المدمن.

متدينون منحطون

خذها مني واجعلها نصيحة في عنقك لا تفارقك أبدا ما حييت، مهما كان علمك ومهما كان فهمك ومهما كان حجم ما قرأت ووعيت واطلعت، بل مهما كنت خطيبا بليغا ومفوها موهوبا، ومهما كنت مقدما متميزا حافظا ضليعا، ومهما حزت أعلى الشهادات وأرفع الرتب والدرجات، فإن كل ذلك لا قيمة له إذا كنت مجردا من الأدب والخلق والفضيلة.

نعم هذه حقيقة معلومة، فإن أهم ما يتعلمه المرء قبل العلم هو التربية والتهذيب والخلق الرفيع والفضيلة والاستقامة، وإلا كان هذا العلم كما وصف الواصفون طلاء زائفا وغشاء خادعا.

ما دعاني أن أتكلم عن هذا الموضوع، ما رأيته من حال كثير من الشباب المنتسب إلى التدين، فهذا صوفي وهذا سلفي وذاك إخواني، فما أن تناقش أحدهم، وتخالف الرأي والنظر، إلا وينهال عليك سبا وشتما وقذفا وإهانة وتجريحا، وليته يبقي كراهيتك في صدره، فإن نفسه المحمومة تعلن هذا السباب على الملأ، حتى يدلل للجمهور القارئ على فساد طريقه وسوء جماعته، ورداءة انتمائه، وبدلا من أن يلعنوه وحده، يلعنوه وجماعته وطريقه ومنهجه الذي أخرج هذا النتن القبيح.

وأنت تعجب كيف يكون سلفيا أو صوفيا، وكيف يتكلم بالدين وفي الدين، وكيف ينافح عن الشريعة والأحكام، وهو بهذا القبح المستعر؟

أعرف وربي داعية يصعد المنابر، إذا تكلم أسمع، وإذا خطب أقنع، وإذا وعظ أوجل، وإذا هتف أجمع، يخوض غمار أعقد المسائل فقها وعقيدة، يمكن له أن يقارع بالحجج فحول العلماء، وأعيان الفقهاء، ولكنه مع هذا التمكن قليل الأدب،

ساقط الخلق، يمكن أن يسب من يعاركه أو يخالفه بأبيه وأمه، بل من الممكن أن يقذفه بما يوجب عليه الحد.

وظل هكذا حتى انفض الناس من حوله، وزهدوا في علمه، وهانت عبقريته في نفوسهم، وما عاد لخطابته تأثير في وجدانهم، لأن الأدب زينة، والخلق حلية، من تخلى عنهما لم يعد لما يقدمه أي قيمة حتى ولو كان ينطق بالجوهر، ويلفظ الذهب ويفوح منه الأزفر.

يُحكى أن الإمام الشافعي -رحمه الله- قال: "كنت أتصفح الورقة بين يدي الإمام مالك تصفحًا رقيقًا -أي ببطء وهدوء- هيبة له، لئلا يسمع وقعها".

هذه الحكاية لا تحدثنا عن إتيكيت القراءة، بل عن فقه الهيبة؛ فالعلم الذي لا يورث صاحبه تواضعًا ورفقًا بمن حوله هو علم خداج لم يكتمل نموه، فما نفع من يحفظ المتون ويحل المعضلات إذا كان فظ القول، متكبرًا على الناس بعلمه؟

كنا ننادي في الناس كثيرا ونحثهم على احترام الرأي المخالف، وتقبل الآخر، لكننا اليوم صرنا أمام أتباع تخطوا قضية احترام الرأي، فصرنا نطالبهم اليوم بالتزام الأدب والخلق والفضيلة، وأنت تتعجب أي صوفية هذه وأي سلفية هذه التي تنتج أمثال هؤلاء الشتامين اللعانين، وأيم الله إنهم سبة على سبلهم وطرقهم.

أذكرة أنني انتقدت شيخا من شيوخ الصوفية، بكل أدب واحترام وموضوعية، فلم يطق ذلك مريد من أتباعه، فإذا به ينهال علي شتما وسبا وقذفا، وإذا نظرت إلى السبب الذي جعله يقابلني بذلك، لظننت أنني طعنته في شرف أمه أو لوثت سمعة أبيه، وأبدا والله ما فعلت شيئا من هذا، ولكن فقت قلت رأيا لا يعجبه في شيخه المتلون.! وليت أمثال هؤلاء الأتباع يعبرون عن سخطهم بالشتائم المهذبة، بدلا من هذا الإسفاف المبتذل، ولكنهم ينحطون إلى درك سحيق يتساوون به مع من ربتهم الشوارع، ومحاضن العربدة والفجور.

بل أعجب لباحث إسلامي، أو كاتب كبير ربما ينعته بعضهم بالكاتب أو المفكر الإسلامي، وهو مع هذا إذا غضب على أحد، فيال سوء ما ترى من لسان ينطق بالصواعق، ويرمي بالحمم، ويقذف باللهب، لتجزم وقتها أن هذا المتحدث لم يعش لحظة أدب في حياته، وأنه تربى بين أدران الوقاحة، يشرب منها ويتغذى حتى طفح أمام أعيننا بهذا القبح القبيح والمشهد الآسن.

إن العلم بلا أدب كالسراج بلا زيت؛ قد يضيء للحظة لكنه سرعان ما ينطفئ أو يحرق من حوله.

"العلم بلا أدب كنار بلا حطب، والأدب بلا علم كروح بلا جسم"

قال الشاعر:

لا تَحْسَبَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ .. مَا لَمْ يُتَوَّجْ رَبُّهُ بِخَلَاقِ

وقال آخر:

تَعَلَّمِ العِلمَ وَاعمَل يا أَخي بِهِ .. فالعِلمُ زَينٌ لِمَن بِالعِلمِ قَد عَمِلا

واجعَل لنفسك حظاً من تأدبها .. فالعلمُ دون أدبٍ لاَ يُرى كَمُلا.

إننا في زمن كثرت فيه الشهادات وقلت فيه القدوة، وأصبحنا بحاجة إلى أدب العلم أكثر من حاجتنا إلى معلومات العلم، فالكتاب متاح لكل قارئ، والبحث متاح لكل مجتهد، لكن الأدب هو العملة النادرة التي تفرق بين حامل العلم والعالم الرباني.

وصدق سيد علماء أهل المشرق والمغرب عبدالله بن المبارك عندما قال: (نحن في حاجة إلى قليل من العلم وكثير من الأدب)

عقول مبتورة

لا تحسبن أن قطيع العلمانيين واليساريين والملحدين وحدهم من يجهلون مقاصد الإسلام، ويهرفون في نصوصه بما لا يعرفون.. نعم فإن هذه الطامة، لا تقتصر عليهم وحدهم، فهناك قطاعات غير مجهولة من المحسوبة على الإسلاميين،

يتناولون هديه بعقول مبتورة، وفهم جاهل أعوج، يفتن الناس عن حقيقة دينهم وقصده.

وإذا كان العلمانيون وكارهوا الإسلام يريدون صرف أتباعه عنه بالتنكر له، فإن هؤلاء الجهلة المحسوبين عليه، يصرفون أتباعه عنه بالجهل واللغط فيه، والترويج للخرافات والأماني الفاسدة، التي تنأى بالمسلم شريدا عن ساحة العمل به، وتحدي أعداءه الذين يريدون محو وجوده.

ماذا بك لو سمعت على المنبر يوما داعية جاهل يقول متمسكنا بصوت يملأه الشوق والحنين: قال تعالى: (ولسوف يعطيك ربك فترضى) ثم روى بعدها هذا الحديث الضعيف: ولن أرضى وواحد من أمتي في النار.

وحينما يلقى مثل هذا القول على آذان المستمعين السذج، فلاشك أن قلوبهم ستنفجر من الغبطة والتهليل، وتوقن وقتها بحسن الخاتمة والنجاة من النار في نهاية المطاف.

وإذا بأحدهم بدلا من أن ينظر إلى ذنوبه القديمة التي أبعدته عن ربه، ويبكي حرقة على اقترافها، إذا به لا يلقي لها بالا، لأنه في النهاية ستشمله رحمة الله ورضى رسوله وشفاعته.

بل بدلا من أن يسارع للعمل والاجتهاد في نيل الثواب، إذا به يتراخى ويتكاسل، فما الداعي لكل هذا العناء، وهو في النهاية ممن تشملهم شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم؟!

وأنا أتعجب هل يرضي الله عن فاجر فاسق محارب لدينه، لمجرد انتسابه لأمة محمد؟!

بل هل يكون معنى الرضا المحمدي، أن يساوي الفاسق الفاجر الطاغي، بالطائعين الصالحين من أمته؟ فأي دين وأي منطق هذا؟!

إن الله تعالى يقول في كتابه العزيز: (ولا يرضى لعباده الكفر) فهل معنى ذلك أن الكفر لم يقع ولم يحدث ولم يجاهروا به ربهم؟ بلى.. لقد وقع، وكذلك رسولنا الكريم، لا يرضيه أن يكون واحد من أمته في النار، ولكن عدم هذا الرضى، لا يعني عقاب الفاجرين بالنار.

وهكذا يكون العقل المسلم، إذا لم يكن واعيا فاهما لحكم الدين، فما أضل ما يسوق الناس إليه من هجر الأحكام والعمل للإسلام، وعلينا أن نتساءل مع هذا الافراط أو هذا الاستهتار بالجنة والنار لنقول:

لمن وفيمن نزلت هذه الآية؟:

{إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم} التوبة:١١١

هذا هو الإسلام الحقيقي، جد واجتهاد عمل وكفاح، تحد وتضحية، وليس أبدا على هذه الصورة الساذجة، التي تصيب الناس بالاستهتار واللامبالاه.

ومثله داعية يروي حديث: (لن يدخل أحد الجنة بعمله) وبدلا من أن يوضح قصده في عدم الاغترار بالعمل، والاجتراء به على الله تعالى، تركه حسب فهمه الحرفي الأعوج، ليغوي الناس ويصرفهم عن العمل الذي ينجيهم في الآخرة.

وأمام فهمه الكريه، ماذا وبماذا نفسر قول الله تعالى:(ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) الأعراف: ٤٣

إن خطر هؤلاء الضلال لا يقل أبدا عن خطر العلمانيين والملاحدة في صرف الناس عن دين الله.

لقد أخطأت يا رشيد

ما للقوم يخاصمون فهومي، ويقفون منها موقف المعارض الرافض المحتج، هل لأنني لا أحسن التعبير؟ أم لأنني لم أستو بعد في نظم الكلمات؟! لم أسارع أبدًا لأتهم أحدًا بالجهل أو قلة الفهم، وإنما إذا لمست الاعتراض، لا أنظر إلا لنفسي، أتفقد فيها مواطن الخلل، وأتلمس مواطئ الضعف، وأتبصر مكامن التقصير ومنابت العلة، ولكني سرعان ما أجد تعبيري سليمًا وقصدي موفقًا، إذن فلننظر إلى الساحة الأخرى من فهوم

الناس ومقاصدهم الخاطئة، التي استلهموها من كلماتي وطرحي.
حينما كتبت مرة أنتقد شهادة الشيخ رشيد رضا في نعيه لجرجي زيدان، ظن بعض القراء أنني أهين رشيد وأطعن فيه وأبخسه حقه، وأهيل التراب على مقامه وكيانه، وما كان ذلك أبدًا قصدي، فرشيد هو إمام المسلمين، ومن أعاظم رجال الإسلام، وأعده في نظري رائدًا ومجددًا أحبه من عميق قلبي، وكان له تأثير كبير في نفسي حينما قرأت قصة حياته، وطريقه العلمي والروحي، لكنني أحب الحق دومًا فوق كل ما أحب، وأؤمن بنظرية النقد الذاتي، التي تعلمناها من روح البحث والتقييم النزيه، فليس معنى أنني أحبك أن أسلم بكل ما تطرح، وأقدس كل ما تنطق به، بل يصاحب حبي لك، ميزان الحق الذي أقيم به الأمور، وحرية العقل التي تسمح لي أن أبدي رأيي وأنتقد ما لا يروقني، كل هذا يحدث ويكون كائنا قائمًا مع حبي لك وتقديري لقيمتك.
هكذا كتبت وهكذا أردت.. الأمر بسيط جدًا جدًا، لكن بعض الناس يفتقدون ثقافة الحرية في الفهم الثقافي، وقد تعودوا في فهمهم للحب، أنه لا يعني إلا التسليم والرضا بكل شيء يقوم به المحبوب، وأن أي اعتراض أو نقد، إنما يعني في الحقيقة الكره والعداء، وتلك إذن قسمة ضيزى.!!

ثم كتبت مقالا تاليًا بعنوان فاروق يقرأ، ولم يكن الكلام إلا كلامًا ثقافيًا بحتًا، ولم يكن أبدًا يرمز أو يرمي لمدح فاروق، أو تفضيل عهده وحكمه على عهد من تلاه، وقلنا: إن الرجل كان له متابعة للصحف وقراءة للمقالات، وتقدير جم للأدباء والمفكرين، للدرجة التي كان يمنحهم فيها رتبة الباشوية، فظن الناس أنني أعظم فاروقًا، وأشيد بحكمه وعهده، خاصة حينما ألمحت لشيء من المقارنة بينه وبين خلفه، الذي أذاق مصر كلها ويل الهزيمة والعبودية، فكانت هذه المقارنة هي العلة التي أسرت عقول الناس، وشغلت حماسة ردودهم، بعد أن أغلقت أفهامهم، فلم تبصر مغذى المكتوب ولا المعنى المقصود، واندفعت في ظنونها تدافع عن ناصر، وأنه كان العزة والكرامة والكبرياء، والله يعلم وعقلاء الأمة يشهدون، أنه ما كان إلا عارًا على مصر وعهد ذلة كانت فيه صاغرة.

المقال الأول يحمل في أكثر من موطن فيه، إشادة لامعة برشيد ومكانته العلمية، وقيمته الدعوية وقامته الاسلامية، ومع ذلك لم تنتبه الأعين المعترضة لهذه الإشادة، لأن ظنونهم سلكت طريقًا لا ترى غيره، ولا تُبصر سواه. والمقال الثاني يحمل إدانة لفاروق، وأنه كان طاغية منحلا، وإقرارًا صريحًا بأن المقال لا يعظمه أو يرفعه، وإنما هي لمحة ثقافية دفعه إليها مكانته كملك، يجب أن يعرف ما يكتب وما يدور حوله.

فلماذا إذن تنحرف أفهام الناس يمينًا ويسارًا؟ هل هو حبهم للنقد، أم قلة فهمهم وسوء ظنهم؟! أم إيمانهم بأن النقد ينافي الحب؟!

لماذا لا يقرؤون بتمعن، ويفقهون ما توحي به السطور التي لم تخرج أمام أعينهم في هيئة طلاسم أو رمزيات، تحتاج لعلماء الآثار كي يفكوا إشكالها ويظهروا مخبوئها.!

رجاء اقرؤوا واصبروا وافهموا وتأملوا.

عالِمُنا أحسن من عالِمهم

ومما أعجب له أن كل جماعة وكل مذهب وكل حزب من الأحزاب، يرى علماءه وحدهم هم العلماء، وأن ما دونهم أصفار على اليسار لا تساوي شيئًا.

حتى وإن كانت لهؤلاء العلماء آثار عظيمة تدل على سعة علمهم، واتساع معارفهم، وبراعة اجتهادهم. . حالة غريبة من الكفران، ترفض الإنصاف، وتريد محو الآخر والقضاء عليه.

لكن المثير للعجب أن يكون منتسب لجماعة أو مذهب، ولا تراث له ولا قيمة لعبثياته، ثم تراهم يلصقون به نعوتا من الأوحدية المتفردة، فهو شيخ الإسلام وفريد عصره ووحيد دهره، وتنظر إليه فلا تجد له أي تأثير في الدعوة والتمكين

للإسلام، وبعض هذه التيارات، كل ما يهمها في ادعائها هو إعلاء عالمها على كل العلماء، بمؤلفاته ومصنفاته وكتبه وأسفاره، بعيدا عن المجاهدة والمواقف المشرفة، وموقعه من الحق والباطل، بحيث لا تجد اسمه أو تراه في أي من سجلات الكرامة والبطولة.

ثم تجد حينا آخر عالما أحمقًا يعليه مريدوه العميان إلى مراتب النبوة جهلا وسفاهة، وهو لا هم له في ادعاءاته وحديثه إلا إثارة الشبهات، والحديث عن شواذ الآراء والاقوال التي تشكك الناس في دينهم، وتخلق في أذهانهم نظرة استحقار واستخفاف لتراثهم الفقهي الباهر الزاهي.

وتقابل فتى من أتباعه وهو مصر على أنه لم يأت، لا في السلف ولا الخلف من يدانيه في عبقريته، وسبحان الله قد يكون عالما مجيدا قديرا جاذبا يهدر بالعلم، ولكن أصحاب المذاهب والتيارات الأخرى لا ترى أي علم، ولا تبصر أي فضل، وكأنهم عميان عن الحق، فهم لا يرون إلا عالمهم فقط، وحينما يتكلم، كأن العصافير تشدوا وتغرد، ويبصرون دقائق وأسرار كل كلمة وكل حرف ينطقه.

وقد يكون التابع جاهلا لا فقه له ولا أي نصيب عنده من العلم والفهم، وتدفعه العصبية أن يتهم عالما بالجهل والخواء، لأنه من الحزب الذي لا ينتمي إليه.

بل ترى الجماعة حينما تريد أن تقرر على أتباعها كتابا في مجال أو موضوع بعينه، لا يقررون إلا كتابا لعالم من علمائهم، حتى ولو عرفوا وعلموا أن هناك كتاب آخر لعالم غيره أكثر ثراء ومعرفة وإحاطة ودراية.. فلا يهم علم أو معرفة، لأن العصبية تعلوا على كل شيء، ويوزن بها كل شيء.

وصورة أخرى لا ترى العلم والعلماء إلا في الأزهر، وكل من يتكلم في العلم دون عمامة، فليس من العلم في شيء.

فإذا شمخ غيرهم في فن من الفنون، حاولوا استخراج أزهري وزجوا به إلى الساحة قهرا ليبز هذا الذي لمع اسمه وسطع نجمه في سماء العلم في هذا الفن.

ما أبغض هذه العصبيات.

الذين غاب عنهم الأدب

لا أعرف لماذا يغيب أدب النبوة في التعامل مع المخالف عن قطاعات كبيرة من أبناء التيار السلفي، وأنا أقول: بعضهم وليس كلهم، حتى لا يكون هناك مأخذ يحزن بعضهم مني، ففهيم لا شك نماذج عالية في الأدب والذوق لا ننكر ذلك، ولكننا وسط هذا الإنكار نؤكد أن الأكثرية الكاثرة منهم،

يتحلون بالشراسة والوقاحة وسوء الأدب في مخاطبة من يخاصمونهم ويخالفونهم الرأي.

وأنا أتعجب كيف لشاب أو رجل يقضي حياته بين رحاب الحديث النبوي رواية ودراية، ثم لا يشتم منه أدب النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع المخالفين برفق وأناة وحنو ولين، وكأن ذلك ليس من هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وفي الوقت الذي يطابنا بعضهم بالتزام السنة، نراهم أبعد ما يكونون عن هذه السنة، وقت الخلاف، فيتحول أحدهم إلى لعان طعان فحاش بذئ وقح سليط لم يشم رائحة التربية الحسنة.

مع كل اختبار نرى هذه القطاعات العريضة من شبابهم يسقطون في الاختبار، والتي كان آخرها محنة الصلاة على النبي عقب صلاة الجمعة، وأنا حينما أبعث كل المحبة لمشايخنا المهذبين من التيار السلفي، أبعث في ذات الوقت لهم كل اللوم حينما لا يربون أتباعهم على لغة الحوار فيدلونهم على الأدب المفقود.

لقد رأيت صديقا لي قد عانى من البذاءات الوقحة التي تطاولوا بها عليه، وبدلا من أن يحاوروه باللطف والرفق، تحولوا وكأنهم أبناء شوارع لا أدب يلزمهم، ولا خلق يردعهم.

لقد كان بإمكاني أن أرد وأكيل الصاع صاعين، ولكن كيف لي أن أكون صفيقا وأنا أتحدث عن الأخلاق وألزم بها قلمي ولغتي وحواري، كيف أكون وقتها صاحب رسالة، لو استجبت لهذا السفه والكيد الرخيص؟

الخطاب الجمعي و الدعوة

أعرف داعية أزهريا نال الدكتوراه في الحديث، وهو جدير أن يكون عالما جيدا فمعارفه عظيمة ومعلوماته فسيحة، إلا أن الرجل للأسف لا يعيش إلا للتصوف، ولا يتكلم إلا في التصوف، ولا يخوض معاركه إلا من أجل التصوف، ولم أجد نفسي أمام شعوري بالخسارة الكبيرة على أمثاله، إلا أن أوجه له رسالة ونصيحة قلت فيها: لكم أتمنى أن أراك عالما لكل الأمة، وملاذا لكل الناس على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم، أنت عالم جدير فانذر حياتك للعلم الذي يجمع الناس ويؤلف بينهم، ولا ترم بنفسك في أتون المذهبية الضيقة، عيب فيك أن تكون عالما بهذا القدر وتكون ميادين عراكك على مسائل التوسل بالأولياء والتمسح بالأضرحة وجواز إقامة حضرات الذكر وشرعية الرقص والوجد فيها.

الدعوة اليوم تحتاج أمثالك أن يوحدوا صفوفها ويرفعوا لواءها.

انتهت رسالتي إلى الرجل ولا أعرف إن كان كلامي نال من عقله تفكيرا وتأملا أم لا؟ فبعض العارفين قد يرزق العلم ولا يرزق الفقه والفهم، الذي يقوده للصواب.. وأحيانا تكون العقبة فيمن حوله من حشود المريدين والأتباع، الذين يشكلون غمامة هائلة يمكن أن تحجبه عن الحق، حينما يتصور أنه وهم أهل البصيرة وحدهم وغرباء الإسلام في هذا الزمان.

كثير من الدعاة اليوم تابعون لمذاهب وأفكار خاصة متنوعة، وهي وإن كانت كلها من الإسلام وتمثله إلا أن لكل منها سمته وطبيعته الخاصة التي تميزه عن غيره وتعرف به، وتظهر تمايزه.

فإذا قرأت أو سمعت لصوفي، فمن السهولة جدا أن تعرف فكره وانتسابه ومذهبه، وكذلك الحال في السلفي والإخواني والتبليغ والدعوة وحتى الشيعة.

ومن هنا ظهر التصنيف، فمن خلال الكلمات أو المصطلحات المستخدمة، والتي تعبر عن طبيعة المذهب والطريق والثقافة التي نشأت عليها وفيها يمكن تصنيفك بسهولة، وليس الأمر مقتصرا على الكلمات فقط، بل يكون ذلك في طبيعة شكل ونوع القضايا والموضوعات التي يتناولها المتحدث، فأغلب ما يتناوله الصوفي في حديثه، هو قضايا الذكر والأولياء والتوسل

والتبارك بالصالحين وطلب المدد من الحجر والشجر، وكذلك تجد أغلب حديث السلفي حول التمسك بالسنن وفرضية اللحية والنقاب وتقصير الثياب، ويتخذ من المظاهر الدينية قضية حياة.

اما الإخواني فلا تشغل باله هذه المسائل، وإنما يتكلم دومًا في السياسة ويمزجها بالدين، ويركز على قضايا الفساد وفلسطين وغيرها من العموميات، وإذا استمعت إلى داعية التبليغ والدعوة، فإن قضية وجوده في الحياة، هي الخروج في سبيل الله، أما الشيعي فكل شيء في حياته هو الحسين، بل إن الحياة كلها لم توجد إلا من أجل الحسين، وهو الشمس والقمر والنجوم والكواكب وهو الهدف من الخلقة! وبعض طوائفهم يعبدون الحسين، فالحسين عقيدة ودين وحج وجهاد وكل شيء.

والداعية المؤدلج، دائما ما تراه مخلصا للمذهب قبل إخلاصه للإسلام بمجمل مفاهيمه، لأنه يتصور حسبما فهم وتعلم، أن مذهبه وطريقه هو الإسلام، وأن مذهبه هو الممثل الحقيقي لمفاهيم الدين، وهو السبيل الذي إن حرص عليه في الخطاب الدعوي، فإنه سيفرق الناس ويولد العصبيات، وينشئ التحزبات والخصومات، فكل طريق سيتعصب له أتباعه، ويقومون في وجه ذلك الداعية الذي يؤثر طريقه بالإعلان

والترجيح والحديث.. بل المشكلة الأعمق أن بعضهم صار لا يستطيع الابداع والتجلي إلا في إطار لونه الفكري الذي تشبع به، ويصير ما نطالبه به اليوم من قبيل الصعب المستحيل.

ومن ثم نرى أنفسنا في هذه المرحلة أحوج ما نكون إلى الخطاب الجمعي الذي يتناول الإسلام بشموله، ولا يقف عند تصورات خاصة، نريد للجميع أن تجمعهم مظلة واحدة، ولا يضيقون واسعا، ولا تأخذهم العصبية بعيدا عن توحيد الكلمة والغاية.

سمعت أن بعض العلماء حينما ذاعت شهرتهم، وطلبهم الناس والتفوا حولهم، تركوا جماعاتهم التي كانوا يعملون في ظلالها وينتسبون إليها، بحجة أنهم اليوم صاروا علماء ومن واجب العالم، أن يكون لكل الناس، ولا يقف عند تيار بعينه.

وربما يقرأ هذا الكلام بعض من لا ينتمون لأي طريق أو مذهب، ويقولون الحمد لله الذي عافانا من التيارات والمذاهب، وإذا بهم يخلقون خطاب الكراهية لكل الاتجاهات، وأحب أن أقول لهؤلاء: أنتم أيضا محسوبون بفهمكم كتيار له سمته وخطابه وسماته، وتجسدون اتجاها آخر وهو اتجاه (اللامنتمي) وأن خطابكم لو لم يكن مجملا بسياج الالفة والمودة والرفق والتعقل، فسوف تشقون صفوف المسلمين،

وكثير من أتباع هذا التيار، يكونون في أمس الحاجة لفقه الخطاب الجمعي ليكون سبيلا لجمع الصفوف.
وأنا أعلم أن هناك صواب وخطأ، وهناك راجح ومرجوح، بل هناك حق وباطل.. وكل تيار يرى نفسه الأحق بالحق، وكل سبيل يجمع لنفسه من الأدلة والبراهين، مايرى نفسه بها أنه أهل البينة، ولن تستطيع مهما كانت حجتك أن تقنع المخالف بصلاحية منهاجك، وأنك الأهدى سبيلا.
وإذا كنا على هذا الحال، فلا منجاة امامنا إلا أن نلزم الخطاب الجمعي في الدعوة إلى الله، وأن نرابط على الأسس والأصول الدينية التي تجمع بين المخالفين وتؤلف بين المتباينين.
ليتخلى كل داعية عن عصبيته لجماعته وطريقه، وليكن هاديا للإسلام وحده بالصورة التي يقبلها الجميع ويقبلها الله ورسوله، بلا تعنت أو تحيز أو تشنج أو مغالاة.

على أي شيء يتعاركون؟

من يتابع العراك بين الصوفية والسلفية يدرك أنه عراك أبعد ما يكون عن التصوف الحقيقي بمفهومه الإسلامي الذي ينشد القرب والصفاء والزهد وإخلاص النفس للخالق الواهب.

ذلك أن المعارك بين الصوفية والسلفية في أغلب حالاتها حروب عقدية، لا حروب إحسان وإنابة وسلوك.

ومن ثم نرى بعض الصوفية حينما ينظرون إلى هذه الحرب، يغيب عنهم فحواها العقدي، وينظرون إلى السلفية المحاربين والمنكرين لهم، أنهم يرفضون السلوك الصوفي المبني على الاخلاص والزهد والإنابة إلى الله تعالى، مع أن أساس المعركة ليست في المعنى الصوفي، وإنما فيما ألبسه بعض الأتباع لهذا التصوف من إيماءات عقدية تختلف مع صحيح الدين.

الصوفية هم أكثر الناس استخداما لعملية التأويل، حتى يلينوا المفاهيم فتقبل بعض المنكرات والبدع الظاهرة في أقوال بعض رموزهم وأئمتهم.

وأنت لا يمكن أبدا أن تجد فارقا أو خصومة بين التسلف والتصوف المتسنن، لا يمكن أبدا أن تجد نقيضا بينهما، فأئمة السلفية أنفسهم يعدون من أبرع الصوفية، فيما أثر عنهم من مواقف وأشعار وكلمات تدل على بلوغهم في عالم التصوف وعلمه مبلغا عظيما، فانظر مثلا للإمام ابن تيمية وهو يقول:

أنا الفقير إلى رب السموات * أنا المسيكين فى مجموع حالاتى
أنا الظلوم لنفسي وهي ظالمتى * فمن مجيري من المستمكن العات
وتلك حال عباد الله أجمعهم * فعنده وحده ألقيت حاجاتي.

وقوله الشهير: "إن قتلوني ففي قتلي شهادة، وإن حبسوني ففي سجني خلوة، وإن نفوني فنفيي سياحة"
ويروي عنه تلميذه ابن القيم في كثير من الحالات عددًا من المشاهد والمعاني التي بلغ فيها القدح المعلى من سمات الصوفي وتفانيه.
ومن ثم إذن ندرك أن التصوف لا يخالف التسلف أبدا إذا تجرد من بعض المفاهيم والسبل الصوفية التي تنكرها السنة الصحيحة.
بل أن إذا نظرت في أهم مراجع السلفية وهي الفتاوى الكبرى للإمام ابن تيمية لوجدت الرجل يشيد ويمتدح كثيرا من أئمة التصوف ويعلي قدرهم ومقامهم، لأنه ثبت عنده تسننهم واتباعهم وبعدهم عن البدع والخرافات التي لا تستقيم مع السنة القويمة.
وعلى هذا ندرك أن الالتزام الديني سياج يجمع بين الطرفين، أما التعصبات والخلافات فلا يقوم أكثرها إلا على مفاهيم عقدية، يعتبرها بعض الصوفية أساس المنهج الصوفي.
وإذا كان السلفيون ينسبون أنفسهم للسلف الصالح ويعتقدون بهذا أنهم من المعين الأول، فإن الصوفية كذلك يرون أنفسهم على نهج أوصى به رسول الله ﷺ وأقره ونوه به، لكن للأسف مما يزيد الشقاق بين الطرفين حالة اللاوعي

والافتقار إلى الفقه والحكمة والرشد، وظهور تيارات عدائية قمعية تحاول إزكاء نيران العداوة وخلق فتن محدقة وحالة ملتهبة من الخصومة المستمرة، توحي للدنيا كلها أن لا يمكن أن يكون بين السبيلين ثمة التقاء.

وكذلك نجد أغلب غلمان الصوفية فإنهم لا يعادون السلفيين فقط لاختلاف منهجهم مع ما يرونه من العقائد والتصورات والسلوكيات التي اشتهر بها التصوف ويتهمه فيها غيره بأنها بدع وضلالات، فإنك تجد أن سلوكهم العدائي يتمدد كذلك حتى مع أبناء طريقهم ممن يدعون إلى التصوف الرباني السليم الذي يرفض البدعة ويدعو إلى السبيل المستقيم، إنهم لا يعدونهم متصوفون، أو أنهم لا يفهمون التصوف العميق القائم على الخرافة، فكلما كنت منحرفا دينيا عن الفهم السليم ولك فيه تأويل، كلما كنت صوفيا أصيلا، وكلما كنت راضيا بالبدع والأضاليل ولك فيها تأويل، كلما كنت الصوفي الفاقه الفاهم الصادق.

اذكر قديما كيف كانت موجة العداء الرهيبة من التيار الصوفي ضد الإمام محمد زكي إبراهيم الذي هو صوفي في المقام الأول ومع هذا حاربوه وأنكروا عليه وخالفوه بل رفعوا عليه قضايا في المحاكم لتنحية وجوده من دنيا التصوف وهيئاته، وما كان

الرجل ينشد إلا الرشد لأهل الطريق وتنقيته من شوائبه، وتطهيره من الأدعياء.
وتلك إذن مصيبة كبرى، مع أن الطرفين أحيانا يلتقيان في بعض المصالح والرؤى والتوجهات، كما نرى مثلا في طاعتهم للسلطان.
وعندي أن كلا المنهجين خاليا من التطرف، ولكن التطرف الحقيقي يتولد على عصابة من أغيلمة الطرفين والمتعصبين والحمقى الذي يريدون وحدهم أن يجعلوا الإسلام خاصا بهم، وأنهم وحدهم من يمثلونه ويعبرون عنه أمثل تعبير.. وقد رأينا من شطط وغلو بعض دعاة الصوفية اليوم من خرج في أحد المقاطع ودعا إلى نبذ تفسير ابن كثير لا لشيء إلا لأن أتباع السلفية يقرؤونه، وهذا سفه وغلو مقيت، فكيف بتفسير يعد من أشهر وأعظم التفاسير القرآنية أن نجد من يدعو إلى نبذه وهجرانه بهذه الطريقة السفيهة، اللهم إلا جهلا وحمقا وغلوا وإزكاء لروح العداوة والبغضاء بين المسلمين.!
حتى وصل نكرانهم وجحودهم أن ينفي كل منهما ما للأخر من جهود علمائه وفقهائه، والتحقير من مكانتهم والتقليل منهم واتهامهم بالجهل والخطأ، وربما التفسيق والتكفير.
آفتنا إذن هي الغلو والتعصب والحل عندي يكمن في إيجاد تيار يجمع بين السبيلين.. فإذا توفر لدينا تيار يقوم على السلفية

الربانية التي تجمع بين عقيدة السلف وروحانية التصوف السليم، حيث تعتبر السلفية "الربانية" التصوف الروحاني شرطًا للسلفية، والتصوف "الرباني" يعتبر السلفية شرطًا له لضبطه بالنصوص الشرعية الصحيحة. يمكن القول إن هذا الجمع ممكن لمن يجمع بين منهج سلفي يركز على العقيدة والحديث، وبين تصوف سليم يركز على تزكية النفس والروحانية.. ولله در أئمة التصوف الذين أقروا تسلف الصوفية في قولهم: "من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقق"

السلفيون الأحرار

كل التحية والاكبار للسلفيين الأحرار فلهم مني كل امتنان وتقدير.

من هم ومتى ظهروا وكيف تسموا بهذه التسمية ومن سماهم بها؟

اصبر فسوف أجيبك عن كل هذا في ثنايا هذا السطور.

المحنة الأخيرة التي سميت بمحنة الشيخ برهامي وحالة التخذيل المنتنة التي ظهر بها الرجل، قلبت الدنيا رأسا على عقب.. تلامذة الرجل أصابهم الهلع الشديد من تصريح سيدهم، فذهب قوم يدافعون عنه بأن حديثه تم تجزئته، وقوم

آخرون ذهبوا يقرون بأن قوله موافق للعلم والشرع ولم يأت بمنكر في الدين ومن من يخالفونه يشنعون عليه ويسبون ولم يرد عليه واحد منهم ردا علميا واحدا، مع أن المسألة لا تحتاج إلى رد علمي.

والحق أن من يدافعون عن الشيخ ماتت ضمائرهم وأفئدتهم وصاروا يتبعون الهوى، لأن إصرارهم على اتباع رجل كهذا رغم ما جاء به من كارثة إنسانية ودينية يدل على أن الفتية قد مسخت عقولهم وأسنت أفهامهم وطبع على قلوبهم.

والحق أنه قد ظهر في أتون الغضب فريق سلفي ثالث ما كنت أتوقع ظهوره أو أتوقع غضبته، نعم لقد ظهر طرف ثالث رفض كلام برهامي وسبوه على صفحاتهم علنا، وتنكروا لقوله ورفضوه، ومنهم من دعا عليه بدعوات لو أن الله استجاب لهم لأنزل نارا إلى الأرض أحرقته.. وهؤلاء هم السلفيون الأحرار الذي يمثلون تيار اليقظة في المسار السلفي والصورة النقية التي يجب ألا تغيب عن أذاننا إذا قومناه ورصدناه وهو التيار الصادق والفريق الثالث قوم لم تتلوث فطرتهم السلفية بإفك المداخلة ونفاق حزب الزور.

فإذا ما هاجمنا السلفية وصببنا عليها من حمم الغضب فيجب أن لا ننسى هؤلاء الأحرار وننقذهم من بينهم حتى لا يصيبهم

عوار من يتدثرون باسمهم وأشكالهم. وهم من سميتهم اليوم بالسلفيين الأحرار وأرسلت لهم سلامي وتقديري..
وأمام هذه الدعوات التي تزعم أن الرجل لم يخطئ وأنه تكلم بالعلم وأنا كل من هاجموه لم يناقشوه علميا حاولت أن أهدئ من روعي وأرجع إلى كتب التفاسير والعلم لعلي أجد للرجل حجة أو علة فماذا وجدت؟:
يقول الله تعالى: "وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير"
قال الأمام الطبري تعليقا على هذه الآية: "وكان حقا على المؤمنين الذين آووا ونصروا إذا استنصروهم في الدين أن ينصروهم إن قاتلوا، إلا أن يستنصروا على قوم بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم ميثاق، فلا نصر لهم عليهم، إلا على العدوِّ الذين لا ميثاق لهم"
لاحظ هنا أخر كلمتين للإمام الطبري والتي لا تحتاج إلى تعليق وكذلك قوله تعالى: {إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ} قيل في تفسيرها :"ميثاق -أي عهد بترك القتال، فإنهم إذا أراد المؤمنون المتميزون الذين لم يهاجروا قتالهم، فلا تعينوهم عليهم، لأجل ما بينكم وبينهم من الميثاق" ويعني هذا أن النهي في الآية قائم على دعوة بعض المؤمنين لقتال عدو لهم، أي أن هؤلاء المؤمنين الداعين للقتال، لم يحتل العدو أرضهم

وينتهك عرضهم ويقتل أطفالهم ونساءهم ويدمر مدنهم ويصب عليهم كل يوم عشرات القنابل التي توشك أن تبيد شعبهم كما هو حاصل الان.

إنما هم مجرد مجموعة لهم عدو ربما يدعونك لنصرتك لكن لابد هنا أن تحترم الميثاق حسب نص الآية، لكن الشيخ برهامي تماكر وتخابث وحاول أن ينزل مفهوم الآية في غير محله ولا مكانه اللائق به.. علق صديقنا الشيخ محمد مفتاح بقوله: "هذا إن كان بعض المسلمين مقيما في بلاد الكفار واستنصر بالمسلمين ولا علاقة له بحالة احتلال الكفار بلاد المسلمين وهذا ظاهر من سياق الايات "ولم يهاجروا..." يعني انهم مقيمون في بلاد الكفر، فلا تنسبوا لابن كثير ولا لغيره ما لم يخطر له ببال اصلا"

وهنا يظهر بجلاء أكبر شناعة الفكر السلفي الحرفي النصوصي المتحجر الذي يأخذ بالظاهر دون فهم لمعنى الآية وروح الحديث ومقصد الإسلام.

يا شيخ برهامي ويا أتباع برهامي أجيبوني:

ما يحدث واليهود يحتلون أرضك ويقتلون قومك وينتهكون شرف أمتك؟ فهل تطبق هذه الأحكام وهل يليق تطبيقها على هذا النحو الذي يريده ويتصوره برهامي ألا إن الله تعالى يرضى ولا يشرع بهذا الهوان.. فالله تعالى ينظر إلى المسلمين على

أنهم أمة واحدة وليسوا دولا متعددة والمؤمنون كلهم كالجسد الواحد.

ونحن هنا لا نناقش شرعية المعاهدة من غيرها لكننا نقول: إن إسقاط الشيخ برهامي منكر وإفك لم يقل به الإسلام ولا أقره الشرع ولا علماء الإسلام.

إن أي معاهدة لا قيمة لها أمام دماء المسلمين في عرف الإسلام وشرعه.

لكن الواقع والقانون الدولي فرض علينا أمورا تمنعنا من تطبيق ما يريده الواجب منا، فهذه نقطة أخرى، لكن صورة عالم الدين الملتحي، وحديثه عن المقاومة والمجاهدين كيف تكون؟

هل تكون بهذا الخلط والزيف والتجاهل المُر لفقه الواقع وطبيعة العدو وشكل المعاهدة ونية المحتل.؟

وإذا كان الشيخ برهامي المتعالم يستشهد بالقرآن والحديث، في قوم بيننا وبينهم ميثاق وعهد، فلماذا تجاهل القرآن الكريم الذي يقضي بأن اليهود قوم لا ميثاق لهم في قوله تعالى :

"فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ"

إذا كان الشيخ يتكلم بالشرع والقرآنَ فهذا الشرع والقرآن يخبرك أنهم هؤلاء الفجار لا عهد لهم ولا أمان وهو ما ذكره الامام الطبري بنصه من جواز نصرة إخوة الدين على قوم لا يحترمون المواثيق.

هل أنت أعلم أم الطبري الذي كان آية الله في دينه؟!

رسالة إلى شباب الأزهر

مع الوقت تبين لي من خلال معاشرتي لكثير من خريجي الأزهر، أن العلم وحده لا يكفي لصنع عالم فاهم واع مدرك متجرد عليم بفقه المؤامرات التي تحيق بدينه ومستقبله.

بعض الأزهريين اليوم منغلق على نفسه ويظن أن العلم والدعوة والاسلام محصور في الازهر ورجاله، ويجعل من بعض العلماء المفرطين المستهترين النفعيين المنبطحين قادة وأعلاما وقمما تناطح الجبال، وهم في ميزان الاسلام أوهى من الذباب.

الشباب الناشئ تحت ظلال العمامة لا يُقوَّم العلماء اليوم بالوعي والإدراك والجهاد في وجه أعداء الإسلام بالقلم واللسان والعمل المخلص بكافة الوسائل والسبل لنصرة الإسلام.. وإنما قيمتهم عنده بمناصبهم ومواقعهم الوظيفية التي اختيروا لها، فإذا ما شغل عالم من هؤلاء النفعيين الذين لا يهتمون بأمة ولا يشغل عقولهم أو يؤرق بالهم مستقبل الاسلام وقادمه من حاضره، رأيتهم يصبون عليه أقداحا من التقديس

والتبجيل لا طاقة لهم بها ولا يستحق أحدهم حرفا من وصفها.

ومن هنا رأيت كم يفقد كثير من شباب الأزهر معنى الوعي الحقيقي الذي تفرضه عليه الثقافة الاسلامية الحرة النبيلة، التي تضع الأمور في نصابها والموازين في أقساطها.

عالم من هؤلاء كانت يعتبر نفسه ويصرح بأنه موظف مطيع، وأنه لا يحق له ان يبدي اي اعتراض او رأي في أي توجه غريب ومريب يخالف التصورات الإسلامية، ثم ترى حفنة من الأزهريين إلى هذه الساعة ورغم هنات الرجل، يلبسونه مسوح الإسلام وعباءة شيخ الإسلام.

منذ أيام دعا شيخ الازهر أحمد الطيب في لقاء تلفزيوني جماهير المسلمين أن يقرؤوا كتاب عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالي.

والحق أنها دعوة صائبة، لكنها في ذات الوقت خطيرة على قرار ومستقبل كثير من الشيوخ في نظرة أتباعهم لهم، فالقراءة للشيخ الغزالي تُعلم الحرية وتنشئ الوعي وتخلق الإدراك، وتنمي الفهم، وتجلب الثقافة، وفوق هذا تميز العالم الرباني الصادق، من الدعي الكاذب المرتزق، تلزم العالِم بدوره المنوط ومسؤوليته المكلف بها امام ربه ودينه، تضع له الصورة التي لابد أن يكون عليها في زمن الهزائم والانكسارات.. ولو قرأ الشباب الازهري للشيخ الغزالي ستسقط في رؤاهم كثير من

الأقنعة التي تواري خلفها أقزاما يتجملون بالعمائم.. سيعرفون التمييز بدقة بين كثير من السبل الضبابية الغائمة.
قد تجد عالما كبيرا ضليعا في العلم، يزعم الولاية والريادة، لكنه يفتقد الوعي وينخلع من قلبه معنى الولاء للإسلام وقضيته، وصدره لا يتآكل كمدا حزنا على مستقبل أمته.
إنه لا يرعوي إلا للمناصب فقط يلهث وراءها، ويسيل لعابه طمعا فيها، فهل يمكن لأمثال هؤلاء أن يكونوا قادة أمة أو أئمة هداية؟
هل يجوز لنا أن نشبههم بالعز ابن عبد السلام وابن تيمية وغيرهم من أحرار العلماء.؟
إن ذلك عبث وهراء.
وهنا أقول: إن العلم وحده ليس هو الغاية، وإنما السبيل أن يكمن العلم في عقل واع بصير مثقف غيور فطن مدرك، العلم وحده ليس مشكلة، فما أكثر العلماء، ولكننا نريد المواقف التي ترينا العالم الرباني الذي يصدق دينه، ويجهر بالحق، ويعرف واجبه ولا يتخاذل عنه.
كان علماء الأزهر قديما زعماء أمة و قادة شعوب، تنقاد لهم الجماهير جبا وكرامة.
إن الناس كلها تجعل من الشيخ أحمد شاكر آية الله في العلم، وقد سقط الرجل سقطات جائرة جره إليها علمه الذي يفتقد

إلى وعي وفهم وانتماء وبصر، وهي اللحظة التي شد فيها الشيخ الغزالي هجومه العنيف عليه، وقال: رجل كهذا يجب أن يطرد من زمرة العلماء.

أيها الشباب الأزهري، إن عليكم أشواطا في تحصيل الوعي قبل تحصيل العلم أو معه، حتى تسيروا على هدى وتعرفوا كيف تخدموا دينكم وامتكم وأزهركم؟ بل تعرفوا طريق التمييز الدقيق بين النفوس والأشخاص لتضعوا كلا منهم حسب مواقفه في مكانه الحقيقي، فليس كل من يرتدي العمامة إمام زمانه وحجة عصره وولي دينه، فكم طفت العمائم على رؤوس نتنة وأدمغة كريهة، بل أقول لك ما هو أفدح: كم تزيا بالعمامة عدو للإسلام نظنه نحن من شيوخه الأعلام.

جريمة غزالية

بعض شباب التيار السلفي رأى أن مواجهة الشيخ الغزالي، واتهامه بالانحراف والبدعة من أوجب الوجائب، فراحوا وفي هذا الزمن بالتحديد، يتحدثون ويتهمون، ويؤججون لهيب الحرب على الشيخ القابع في قبرة منذ أكثر من ٢٠ عاما، بجوار الجسد الشريف في المدينة المنورة، وبين أحضات رفات العظماء من قادة الإسلام في البقيع.

نعم كان هذا هو جهدهم وخدمتهم للإسلام، في زمن تستعر فيه أوار العلمانية الغاشمة، ورموزها القمعيين الذين يريدون وأد الإسلام وذبح وجوده في الحياة، واجتثاث جذوره من أرض مصر.

رأى هؤلاء العميان وأصحاب العقول الضالة والبصيرة الزائفة، أن التصدي للغزالي من أوجب الواجبات، قبل التصدي حتى لليهودية والعلمانية واليسار والإلحاد والمشركين، بل حتى قبل الشيطان نفسه بطغيانه وضلاله المعروف، وكرهه لبني الإنسان.

فهو في نظرهم أولى بالعداء والخصومة.!

وبدلا من أن يفتحوا منافذ بصيرتهم على ما قدم الرجل من خدمات للإسلام، وكيف استطاع قلمه أن يقهر كثيرا من القوى الغاشمة المعادية؟ التي لو اجتمعت لها جيوش العلماء والشيوخ والمؤسسات، لما استطاعت أن تنفذ فيهم كما نفذ الغزالي، غضبا وهولا وعمقا وشراسة وإيلاما.

لم يدرك هؤلاء الأقزام أن هذه القوى فرحت بموت هذا الرجل، رأت فيه انطفاء شعلة مضيئة للإسلام، فكان فرحهم فيه أشد أو يماثل فرحهم في سقوط الخلافة الجامعة.

اليوم هب فتيان السلفية يعيبون سيفا بتارا للدين، وجيشا عرمرما للإسلام، وحصنا من حصونه المنيعة.

وياله من ضيق أفق يتجلى في أسمى معاني الغدر والظلم وانعدام الإنصاف.

ولو أنهم صرفوا أوقاتهم لتتبع ما قدم الرجل للإسلام، لظلوا شهورا وسنوات يروون آثاره ويذكرون مشاهد العزة التي حققها وأنجزها لهذا الدين، ولكنه جهل القلب وظلام العقل، الذي يحجب النور ويطرد الهدى، ويغلبه الهوى ليرد الحقيقة.

وكان من أعجب ما رأيت من أحد شباب السلفية الذين أقدر غيرتهم على العلم والدين، ولكن للأسف كان أغلبها في غير محلها، عجبت من أحدهم وهو يناقش وينتقد الغزالي، لأنه يستخدم الأسلوب البلاغي البياني في عرضه وحججه وشرحه لمعالم الدين، واجتهد في إظهار خدائع الشيخ الذي ملك ناصية البيان والبلاغة، في كتبه وعرضه وألفاظه وتعابيره، ليخدع به الناسويغرر بهم ويلبس على عقولهم فيما يريد طرحه من رؤى وآراء، ليخلص بعدها في النهاية أنه أديب لا عالم ولا داعية.

وهكذا يتحول البيان الذي هو نعمة من الله، وسمة القرآن، ومعلم من معالم النبوة، والسلاح الأوفى من أسلحة الداعية لتحقيق أفضل النتائج في التمكين لدعوته، إلى خطأ وزيف وتلبيس وطريق ملتو للخداع والتغرير بالقراء.

جعل صاحبنا من البيان الذي كان من أبرع وسائل الغزلي في الكيد لخصوم الإسلام، ليكون اليوم بمثابة السحر والمكر

الذي استخدمه للضحك على العقول، وتعمية البصائر، وتحدي العلم الشريف.

ويالها من لفتة شاذة غريبة، ومنطق أعرج كسيح، جعله بدلا من أن يحتفي بهذه الميزة، التي تفرد به هذا العملاق، لتكون ذات الوسيلة التي يجهز بها على قامته، ويحاول عبر الإمساك بتلابيبها أن يخرجه من زمرة العلماء، ويجرده بامتيازها من أن يتكلم في العلم وفروعه ومقاصده.

الشيخ الغزالي رحمه الله الذي كان يرتدي زي الحرب، ويمتشق حسامه وينصب دروعه في معارك الإسلام الكبرى، ثم يعود لنا بالنصر والظفر، حاميا للملة ناصرًا للشريعة.

نقرأ اليوم عنه هذا الكلام، أو نجد للأسف من قنع به ولقن فحواه.

الشيخ الغزالي الذي كانت جهوده وحروبه وانتصاراته ومكاسبه التي حققها للإسلام، تملأ دوي الدنيا، ويتسامع بها القاصي والداني، كنا نرى في ذات اللحظة فتية صغار يقبعون خلف جدار الإسلام يشغلون أنفسهم باللحية والنقاب، وتقصير الثياب.

لم يكن يدرك الغزالي وهو في قلب المعارك الطاحنة والمواجهة الضروس، أن خلفه غلمان أغرار يطعنونه في ظهره، ولا يكفون

عنه أذاهم وتهتمهم، بدلا من أن ينصروه ويوفونه حقه، ويقدروا مجده وبطولته التي تليق به.
وهكذا أجرمت السلفية، حينما ربت أجيالها، وجرأت أطفالها، أن يطاولوا الأعلام وينالوا من القمم، وهم قصار الفهم، ضعاف الوعي، ضئيلو العقل.

من الذي أهان العمامة؟

سعيد أنا جدًا أن يخرج في الأزهر من يُمثل واجهة مشرفة لعلمائه ويعبر عنه أمثل تعبير فيتكلم باتزان وحكمة ويعرف ما يقال وما يقصد وما يراد منه وما يريده هو.
كان هذا هو الانطباع العام الذي قرأته لأحد كتاب جريدة الوطن تلك الجريدة التي تنتهج خط روز اليوسف في الاستهانة بالدين وشيوخه على يد الكتاب المتغربين المنفلتين، مما يجعلني أقر بأن ما نقرأه على صفحاتها من إشادة بعالم أزهري شيء مبهر وتطور كبير وإنجاز غير مسبوق.
الكاتب هو الأستاذ (حسين القاضي) أحد كتاب هذه الجريدة المعروفة، وقد جاء مقاله تحت عنوان "المفتي في ضيافة صالون حداد" الذي تديره الدكتورة آيات حسين حداد عضو مجلس النواب.. أقيم الصالون في رحاب مسجد عمرو بن العاص، ودار النقاش حول الفتوى ودورها في تحصين الأفكار، كان

الكاتب معجبًا جدًا بالخطاب المتزن للمفتي الدكتور نظير عياد، ورأى من وجه نظره أن ما نطق به يمثل عقلا فريدًا يمكن أن يجسد أفضل صورة للعالم الأزهري.

ثم طرح نقطة مهمة حينما قرأتها وجدت في نفسي انفعالا كبيرًا ورغبة جامحة في التعليق والرد.

يقول الكاتب الألمعي: " وأول ما لفت نظري هو حرص فضيلة المفتي على الحضور في موعده، وسمته الجميل، وأسلوبه اللين، الذي يليق بالعلم والعلماء، وهذا يعطي انطباعا إيجابيا، في التأكيد على إعادة الثقة في المؤسسات الدينية، لا سيما أن الجماعات المتطرّفة تحاول هدم الثقة بين الناس وبين مرجعياتهم الدينية، وهي محاولات فاشلة".

ثم يقول: "وهو ما يدعونا لأن نكرر الدعوة إلى الحفاظ على مرجعية الإفتاء، لأن الحفاظ عليها نوع من الحفاظ على الوطن"

وهنا ومن هذه النقطة تحديدًا كان لابد لي من التعليق والحديث وتوجيه اللوم في وجهته الحقيقية لا الوهمية الزائغة، فنقول للكاتب المحترم: الجماعات الإرهابية لم تكن وحدها من هدمت مرجعيات الناس الدينية وعملت على تشويه صورتهم كما تقول، فمن قبلهم وكان أنجح منهم أثرًا هو الإعلام والدراما المصرية ومنذ عقود مضت، حينما كان الشيوعيون

والملحدون يحتلون منصات التوجيه والإرشاد في بلادنا، فعملوا على إظهار شيوخ الدين وعلمائه بمظهر السخرية والاستهزاء.

ففي كل فيلم أو مسلسل يعرض تستبيح مشاهده عرض العلماء وتنال من شرف العمامة وتهين شموخها في الوحل، حتى صارت العمامة رمزا للمسخرة والهزأة لكل من يرتديها، وإذا لبسها العالم تبادر إلى ذهن العامة ممن يرونه في الشارع صورة الممثلين أمثال حسن مصطفى وعبد المنعم إبراهيم والذي تخصص ببراعة في ربط العمامة والزي الأزهري بأوضاع كوميدية ساخرة، استطاعت أن تسقط هيبة الزي والعلماء في أنظار المشاهدين.

وأنا أتساءل دومًا هل يمكن للمسيحيين أن يفعلوا ذلك بزي القسيس ويظهرونه بمظهر السخرية والاحتقار؟ إنني أرى منهم كل توقير واحترام إلى حد لم ينل علماءنا نصفه أو ربعه.!

كيف سمحنا للسفلة الفجرة أن يهينوا الزي الأزهري في الأفلام الساقطة والمسلسلات الهابطة التافهة؟

كان الأجدر بالأزهر قديمًا أن تكون له وقفة حازمة ضد هذا الهزل الذي يمس شرف العمامة وكبرياءها.

بل انظر مؤخرا للمنحطين -الحوش- الذين تعمدوا إهانة الشيخ الشعراوي ومس مكانته في قلوب الجماهير، ونعته بأقبح

الألفاظ والنعوت غيرة منهم وحسدا على الحب المتدفق الذي علق في قلوب الناس تجاه الشيخ.. ألا يلفت نظرك أيها الكاتب أن هذا أيضا هدم للمرجعيات والرموز الدينية وذبح لمكانتهم العالية؟ ألا يستحق هؤلاء الهمل كلمة نقد منك؟!

ولكن دعك من الإعلام وغيره الآن، ولننظر أيها الكاتب المجيد للجريدة التي تكتب فيها هذه السطور الطيبة، انظر إليها وهي تضم أحقر الأقلام التي تناصب الدين العداء، ويمكن لها أن تسمع الرعد ولا تستمع إلى عالم دين، وتُسخِر مدادها ومقالات كتابها ليل نهار في الكيد للدين وعلمائه.. كان الأولى أن توجه اللوم لمثل تلك الجريدة، قبل أن توجهه للجماعات الإرهابية! في الحط من هيبة رجال الدين والمرجعيات.

كان الأولى أن توجه اللوم للإعلام المصري العريق الذي غذى أدمغة المصريين بصور السخرية والاستخفاف والاحتقار والاستهزاء بالشيوخ.

الجماعات الإرهابية لا تتحمل ثمن أو سدس إهانة الإعلام المصري للرموز الدينية، لكننا الآن بدأنا نفيق وندرك على قولك أن احترام الفتيا والمرجعيات الدينية نوع من الحفاظ على الوطن.. سيعد أنا جدا بهذا الكلام.

غباء الداعية

لا شك أن محنة الإسلام الكبرى تأتي في أحيان كثيرة من داخله لا من خارجه، وأن بعض العقول التي تظن أنها تنصره، خلفت في كثير من المواقف حماقات عادت عليه بالخسارة الفادحة، في الوقت الذي يظنون فيه أنهم نصروه وأعزوه.

لقد تعلمنا في مدارس الدعوة أن الفهم والفقه والوعي والذكاء، صفات لازمة للداعية المصلح، وأن التركيز على المصالح الصغيرة وغض الطرف عن المصالح الكبيرة، سوء تصرف وغياب وعي إذا تعارضت المصلحتان.

وفي هذه المرحلة الحرجة التي يضرب فيها الإسلام من حدب وصوب، وتتعالى عليه صيحات الجاحدين والمنكرين، لابد من اعتماد الخطاب الإنساني في الإسلام، حتى نقطع الطريق على المرجفين الذين يغتنمون غلظة البعض وتشنجاتهم فيما يخدم غايتهم في تصوير الدين والمتدينين بالظلامية ومجافاة الفطرة الإنسانية، والعداء للرقي الحياتي.

إذا جاءتك امرأة متبرجة سافرة تعادي الإسلام وقيمه وتعاليمه، وطُلب منك التعامل معها، فمن الحماقة الكبرى أن يكون أول حوار لك معها أن تدعوها وتلزمها بالحجاب والتستر، نعم.. يفعل هذا بعضهم في مثل هذه المواقف، وهو

يظن أنه يقيم حكم الله ويدعو لتعاليم الإسلام، وما هو إلا زائغ عن فقه التعامل وسبل الوصول.
امرأة كهذه لا يمكن أبدا أن تأمرها بالحجاب أو أن تأمرها بأي شيء يريده الله منها، فهي في جفوة ونكران، وأي إلزام لها سيشعرها بالقيد الذي تندفع إلى التحرر منه.
ومن ثم لا هدف ولا نتيجة مرضية تقنع نفسك أنك توصلت إليها.
يشعر بعضهم بالراحة حينما يخيل إليه أنه أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ولكنه للأسف قد زاد المنكر وأوقد هجر المعروف.
إن امرأة كهذه لابد أن تخاطبها ابتداء بعظمة الخالق ونعمه على الإنسان، ورفقه بالبشر، ورغبة الدين في تحقيق سعادة للحياة والأحياء، وأن تبصرها بالنماذج القيمية التي جاء بها هذا الدين، والنماذج الفريدة التي أثبتتها حضارته ورموزه في عالم الفضيلة.
أيقظ في قلبها ابتداء حب الله، أحيي في روعها عظمة الإسلام في أخلاقه وفضائله وسمو تعامله مع النفس.
لا تشعرها أنها عدوة لله، أشعرها أن الله يحبها ويدعوها إليه، ويدخر لها من الجزاء العظيم حينما ترتبط به، وتصير في معيته.

عبر هذا الطريق وحده يكون التمهيد لمن جعل الحجاب غايته الكبرى، والذي يتصور في عقله أنه تمام التدين والاستواء على عرش التقوى.

هل تزعم أنك كداعية حينما تأمر وتنهى بأنك قد أديت رسالتك؟ أبدا أبدا.

إن رسالة الإسلام والدعوة إلى التدين، تحتاج إلى رعاية ومتابعة، وتسجيل موقف مؤثر في نفس المدعو، لكن أجلافا كثيرة بدلا من أن تسجل موقفا مؤثرا في النفوس، سجلت جرحا غائرا وطعنة عميقة لا ينساها المدعو على طول الزمن.

رحم الله الشيخ محمد الغزالي حينما قال: "إن للإسلام خصوما متربصين فلا يجوز إعطاؤهم حجة على سوء فهمنا وسلوكنا"

لاحظ هنا كلمة سلوكنا، وهي التي تشير إلى التصرفات، وردود الفعل التي تراعي الجانب الإنساني بين الناس.

منذ أيام نقل صديقي الشاعر المثقف يحيى سلامة موقفا ذكرته الإعلامية الكبيرة كريمان حمزة في كتابها (رحلتي من السفور إلي الحجاب) وهي تروي عن اللقاء الأول لها مع الشيخ عبد الحليم محمود وزير الأوقاف حينئذ وشيخ الأزهر فيما بعد فتقول:

ذهبت لمقابلة الوزير وكان الوقت صيفا ولم أكن محجبة فاضطررت لوضع بالطو والدتي علي فستاتي وإيشارب علي

رأسي وبينما أنا منتظرة قدوم الوزير خلعت الإيشارب والبالطو وأشعلت سيجارة ادخنها مع فنجان قهوة قد طلبته من الساعي واذا بي وأنا علي هذه الهيئة أتفاجأ بدخول الدكتور عبد الحليم محمود وجلوسه علي مكتبه دون أن يكترث بوجودي ولم يعيرني أي نظرة أو اهتمام او حتي صرخ في وجهي موجها لوما او عتابا وقتها تملكني الغيظ والحنق فالرجل تعامل معي علي أني شيء لاوجود له.

الي هنا انتهي كلام السيدة كريمان حمزة وهي تصف اللقاء الأول مع الدكتور عبد الحليم محمود لتروي في باقي فصول الكتاب عن تعدد الزيارات وتوطد العلاقة بينهما وكيف أنها أصبحت أول مذيعة محجبة متخصصة في البرامج الدينية بالتليفزيون (وقد ارتدت الحجاب طواعية)

وما يهمنا في هذا السياق هو تصرف الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود (وهو ماهو) أمام امرأة متبرجة تدخن السجاير في مكتبه وهو وزير أوقاف فلو أنه أمعن النظر الهيا لأدركت بحسها الأنثوي أنها أمام رجل ينظر لامرأة وأن هذا الشيخ المعمم يتساوي مع أي رجل أخر سواء كان معمما أو غير معمم."

انتهى كلام صديقنا الأستاذ يحيى، ولكني أحب أن أقول : ماذا لو صرخ الشيخ عبد الحليم في وجه الإعلامية المتبرجة، وقال لها: حرام عليك هذا السفور والتبرج وشربك للسجائر.؟!

ربما لتمادت وأصرت على طريقها غير عابئة بتقريع الشيخ، لكن ما حدث ساق المرأة فيما بعد للحجاب، حينما التقت بالشيخ الذي كان تصرفه من أسباب هدايتها وتحجبها، ثم بعد ذلك كان هو من كتب مقدمة كتابها الفريد (رحلتي من السفور إلى الحجاب).

وأمام هذا المكسب الكبير الذي تحقق للإسلام، نجد كذلك من ينكرون على الشيخ عبد الحليم لقاءه بمتبرجة، وهذا لعمري خلل في الفهم والتقدير.

إن هناك جماعات في حقل الدعوة ربت أتباعها على الجفوة والغلظة، ونجحت أن تجعل منهم منفرين من الإسلام لا دعاة يجمعون القلوب عليه، ويجذبونها لإنسانيته.

الحوار ..والرأي الآخر

ماذا يعني الحوار؟

إنه يعني أن نفسح المجال للرأي الآخر ليعبر عن نفسه، ويبرز فكره ووجهة نظره، فلعل الخير كل الخير في وجهته ورؤيته..حتى وإن كان خطأً..فماذا يضيرني لو أفسحت له المجال ليعبر عن نفسه فيشعر باحترامه وكيانه أولاً، وتزيد مساحة الود بيني وبينه ثانياً ؟!!، أما الثالثة فإنها سبيل لتعليمه

، فكونه غير صائب؛ فالحوار طريق سهل لإقناعه بالحق والصواب ، أما لو صادرت رأيه وكبت فكرته ، فإن عصبيته للخطأ تزداد أكثر مما كانت عليه ..وعلى هذا ..لابد أن نفسح المجال للآراء لتعبر عن ماهيتها حتى ولو كان خطأً.

وهذا هو الأسلوب القرآني ، حين تحدث مع المشركين ..فالحق تعالى يتحدث عن باطلهم ويذكره ويعرض به في أسلوب دعوى ، ويطلب منهم مع كونهم على الباطل، أن يعرضوا موضوعهم ، ويأتوا بما لديهم، يقول تعالى: {أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ }الأنبياء٢٤

فليس هناك مجال لمصادرة العقول ، ورفض الرأي الآخر ..لابد من تبادل الحجج، وبغية الحق ، ونشدان الحقيقة ،الحقيقة وحدها،..فلا مكان في ثقافتنا لتكميم الأفواه ، وفرض الرؤية الأحادية ، كما أن صاحب الحق والصواب،لا يخاف من النقاش أو يهابه ، إنه يتجول به بين المجالس ، ويخاطب به العقول ، ويقرع به الآذان.

إن الإسلام قد اعتمد في حواره مع الخصوم، على العقل والبرهان، وتجلية الحقائق الغائبة عن أذهانهم؛ ثم بعد ذلك.. يترك لهم المجال بحرية فائقة وتامة ،يقيمون ويختارون ..فلا مصادرة ولا إكراه ؛ وإنما هو الإقناع والإقتناع. إن إتاحة

الوجود للرأي الآخر ، يضمن لنا فائدتين، إما أن يكون صائباً ويكشف لك ما خفي عنك فتأخذ به ، وإما أن يكون دونك، فيتضح لك سلامة اختيارك، ودقة فهمك،
وفي كلاهما يكون سيرك، بلا عصبية أو علو ، لأن الغاية طلب الحق والحقيقة، فأنت إذا تتكامل بآراء إخوانك.
ولله در القائل :

إذا عن أمر فاستشر فيه صاحباً ❋ وإن كنت ذا رأي تشير على الصحب
فإني رأيت العين تجهل نفسها ❋ وتدرك ما قد حل في موضع الشهب.

وقال آخر :

الرأي كالليل مسود جوانبه ❋ والليل لا ينجلي إلا بمصباح
فاضمم مصابيح آراء الرجال إلى❋ مصباح رأيك تزدد ضوء مصباح

ويقول ثالث:

اقرن برأيك رأي غيرك واستشر❋ فالحق لا يخفى على الاثنين
والمرء مرآة تريه وجهه ❋ويرى قفاه بجمع مرآتين

انظر لبيان أديب الدعوة الدكتور- محمود عمارة- كيف صاغ وصفه لملحمة الحوار بقوله : (لا بأس في الإسلام من تعدد الآراء ، لتتسع الدائرة التي يتحرك فيها المكلفون ، تيسيراً وعوناً ، ذلك بأنها ليست أهواء تتناطح ، بيد أنها زهور تتكامل وتتلاقح، زهور متعددة الألوان والأشكال والروائح.

وبعد الخلاف يبدو أكثر من لون ، وأكثر من طعم، وأكثر من رائحة، وذلك أمر ضروري حتى لا نصاب بعمى الألوان ، فلا نبصر إلا لوناً واحداً!

إذاً فلا خلاف على ضرورة الإختلاف ، لكن المهم ، كيف نتفاهم؟!

وكيف نوسع قلوبنا وعقولنا.. لنستقبل آراء الآخرين بحفاوة؟)

فلنتعلم كيف نقبل الآخرين.. دورن مصادرة أو إقصاء أو تجريح أو تهوين.. فهذا طريق الحضارة والنهوض.

الترمومتر الديني

سمعت يوما من أحد أشرطة الشيخ كشك رحمه الله، أن الكنيسة عزمت يوما على تنصير عدد من المصريين، واشترطوا أن يكونوا من عامة الناس والفقراء الذين لا يعلمون ولا يفقهون، حتى يكون التأثير عليهم مجديا، والحقيقة أن الكنسية جمعتهم واطعمتهم وكستهم وبذلت معهم ما في وسعها من الجهود، وأخذت تعلمهم معاني الثالوث، الاب والابن والروح القدس.

استجاب العوام لكلام المنصرين واستمعوا لمواجيدهم الدينية، وبينما في غمرة هذه الروحانيات الكنسية، إذا -بعربجي- يحن لطبيعته والنداء الذي يردده في الطرقات بين الحين والحين، فقال بصوت عال وسط الجلوس: وحدووووووه، فقال الحضور جميعا :لا إله إلا الله.

وفشل الترتيب وخاب الجهد وضاع الأجر.

قرأت يوما للدكتورة نعمات احمد فؤاد قولها:

"ترى لو لجأ الحسين إلى مصر، فهل كان يناله حيف أو يعلوه سيف؟"

والكاتبة تشير بهذا القول إلى الانتماء الديني المتغلغل في نفوس المصريين، والذي ظهر لدى استقبال السيدة زينب والطفل زين العابدين، خرجت مصر بجموعها لاستقبالهما، حتى الوالي نفسه والمحسوب على الدولة التي قتلت الحسين، لم يضع أي حسابات أخرى في حسبانه، وخرج ليلقى حفيدة بيت النبوة.

كانت الفاجعة من أول الفواجع في تاريخ الإسلام.

أريد أن أقول وخاصة من وحي قصة -العربجي- في الكنيسة ومشاعر المصريين مع المكلومة زينب: أن هذا الشعب المصري لم يكن مجرد شعب مسلم او متدين يقبل او يرفض و يقتنع أو يتشكك في الايمان.. لا فالمسألة الدينية في حياة المصريين،

صارت طبعا في نفوسهم لا يمكن اقتلاعه مهما علا صوت المرتابين.
طبع المصريين الديني الذي أشربت به أرواحهم، صار حائط صد منيع أمام محاولات الانحلال والتشكيك والانحراف والفجور.
العقبة الاولى اليوم أمام الملحدين والعلمانيين، ليس الأزهر او جماعات التيار الديني، وإنما يتمثل في طبع المصريين الديني المكسو بالعصبية للإسلام، والتي تمنع قبول أي حيف او تعد عليه.
وكما قيل: الطبع يغلب التطبع
رأيت مؤخرا صديقا لي منزعجا جدا من الحملة العاتية الرافضة والمستنكرة لمركز تكوين.. إنه يتأفف كثيرًا التفاعل الشعبي الغاضب أمام هذا التجمع الشيطاني.
فصديقي يعتقد أن هذه دعاية للمركز وأهدافه وجراثيمه، وأن الصمت أولى بنا في مواجهته.
والحق أن هذا نظر غير دقيق، فمثل هذه الأحداث أراها بمثابة الترمومتر الذي يقيس مقدار الحرارة الدينية لدى أبناء الأمة، وهل مازال لديهم اعتزاز بدينهم وعقيدتهم، أم أن الحرارة صارت فاترة.؟

إن التأليب على الباطل ولو كان بمقدار ذرة، شيء محمود مقبول، بل محاولة لها أثر أبعد من هذا، حينما تهدف إلى وأده في مهده.

وإنه لأحب إلي أن أرى الدنيا هائجة من أجل الحق، بدلا من هياجها في الباطل.

ولكني لا أعلم من أين ينطلق فهم صديقنا للموضوع؟

ومن أين جاءه الاستخفاف بالأمر؟

مركز يقام ويدعم بالملايين، وتقوم عليه حفنة تشاق الله ورسوله وكتابه، وينتظر له في القادم فعل الكثير من الكوارث، بل أعده بمثابة مركز تبشيري او مركز إلحادي... ثم بعد هذا تطلب منا الصمت والهدوء؟

إن تأليب الجماهير عليه لرفضه ومقته واجب ديني مقدس.

علمت من بعض المصادر في جامعة الأزهر، أن بعض طلاب كلياته العلمية، صاروا يرددون الشبهات التي يثيرها بعض من أسسوا هذا المركز.. حدث هذا دون كلام أو حراك أو رد، فهل مازلت تؤمن بالصمت والسكوت كحل للمواجهة، حتى نرى الإلحاد يتمكن من العقول، بل يتسرب إلى الازهر ذاته معقل الإسلام وحصن الشريعة.

إن إثارة الهياج الشعبي ضد هذه الطغمة الآثمة، له أكبر الأثر في إسكاتهم وإخراسهم، بل له أكبر الأثر في تسريب مشاعر اليأس والإحباط إلى قلوبهم.

ومع هذه الانطفاضة، يحدث النقيض، حينما تتسرب مشاعر الطمأنية إلى قلوب المؤمنين، إن الدين مازال له قيمته في النفوس التي تلتهب غيرة عليه.

قرأت إن أحمد لطفي السيد دخل الانتخابات وكان له خصم خبيث ماكر، اجتمع يومًا بالفلاحين وقال لهم: إن لطفي السيد من مؤيدي الديمقراطية، عارفين ايه الديمقراطية يا مؤمنين؟ الديمقراطية أن يكون للمرأة أكثر من زوج.

امتعض الناس وهاجوا ضد أفكار لطفي السيد، ولما جاءهم يروج لانتخابه، سألوه، هل أنت تؤيد الديمقراطية؟ فكان جوابه: نعم.

ومن ثم سقط في الانتخابات.

إنه الحس الإيماني الشعبوي العامي، الذي يجب اغتنامه او استغلاله في المعركة مع الملحدين، وإذا كان الملحدون لهم مكاسبهم من الإعلام والمال، فلدينا نحن ما هو أثمن وأقيم وهو الطبع الإيماني للجماهير الذي يغلب أي تطبع يريدون.

فلا تبتئس بما يدور من أزمات، ولا تحزن من ردود الأفعال عليها، فهي كما قلت لك: بمثابة ترموموت يقيس حرارة

التدين.. وهل مازال هذا التدين المطبوع في قرائحهم بنفس درجته وتوهجه، ام خفا وخفت نداءه وصوته؟

أهم حاجة أزهري

روعتك وشهرتك وإبداعك الحقيقي، ليس في كونك مفكرا او كاتبا أو عبقريا او ملحدا او علمانيا أو يساريا..

نعم لا يعد كل هذا من مقومات الإبهار فيك، فما أكثر عينتك، وما أوفر من على شاكلتك، ولكن الاعجاز الحقيقي فيك، لو كنت تحمل شيئا من هذه المعاطب وفي ذات الوقت كنت أزهريا، تحمل سهادة الأزهر وتعليمه.!

لو حدث ذلك لكنت الرهان الكاسب واللقطة المناسبة التي يسعون إلى تحقيقها وإيجادها، فالإقناع بالباطل قديما لم يكن يستطيع سدنته أن يحققوه بين أوساط الجماهير، وهم يهرفون في أمور الشريعة، فما أيسر وأبسط أن يردهم المحاور لهم بقوله: أنت لست أزهريا، أنت غير متخصص، هل درست في الأزهر.؟

ظلت هذه الأسئلة مسار فزع للعلمانيين والملحدين والشيوعيين وأصحاب الهوى على طول الزمان.. ومن ثم كان

لابد من تكتيك جديد، وعمل مبتكر يبطلون به طرح هذه الاسئلة التي تقف حجر عثرة في طريق الضلال والتضليل.
لابد أن يخرج من الأزهر نفسه من يتبنى أفكارنا، ويقول بأقوالنا، ويدافع عن مفاهيمنا، لابد أن يخرج من الازهر ذاته من يعادي الشريعة، ويقوض اركان وجودها وركائز عمادها.. هنا فقط تتحقق الغاية ويسقط الإسلام.
نحتاج مثلا إلى شيخ أزهري يرقص ويمثل ويحضر الخمارات والمراقص وبيوت الدعارة، ونحتاجه أكثر أن يكون علمانيا او شيوعيا أو حتى ملحدا كافرا، نريدا شيخا أزهريا مذيعا يقدم البرامج ويستضيف الفنانين الساقطين والفنانات العاريات، وتجلس امامه الراقصة ولا مانع ابدا أن يقول لها: أرينا شيئا من إبداعاتك.!
فإن قام معترض طالبناه وقتها أن يخرس لأم المذيع شيخ أزهري.
قديما هللت الدنيا لكتاب الإسلام وأصول الحكم، وهو كتاب تافه رد عليه العلماء الكبار وأبطلوه بحجج العلم، ولكن الدنيا قامت به وروجت له لأن كاتبه شيخ أزهري، بل وعضو هيئة كبار العلماء، ترك الناس كل شيء، وتمسكوا بكلمة أزهري، وكأنها العصمة التي تمنع المؤلف أن يُخطئ، مع أن الأزهر كله بجلاله أعلن غضبته عليه.

كتاب من هنا نبدأ لخالد محمد خالد حمل الفكر اليساري، ولم يكن به اي ابداع لان خالد كتبه في مطالع شبابه، فأسلوبه وقتها لم يكن به أي نضج، وحينما تقرأ الكتاب تتقزز من سطوره ولا ترى فيها أي فتح أو تناسق، لكنه تصدر المشهد الثقافي وانقلبت لأجله مصر، لأن كاتبه شيخ أزهري.. شيخ ازهري يساري.

مؤخرا حاول اليساريون في مصر تقديم نفس الصورة الخرافية البلهاء، فأعدوا شابا ساذجا وألبسوه العمامة والكاكولة الأزهرية وأطلقوا عليه اسم الشيخ ميذو، وأطلقوه كالمسعور في البرامج والقنوات، يخرف ويضل ويفتري ويكذب..

الفتى ليس لديه أي علم أو فقه، لكن كل مكتساباته أنه أزهري ويتزيا بزي الأزهر، وهذا هو المطلوب.

وهذا المطلب او هذا المشهد مستمر منذ،قيام علي عبد الرازق وإلى اليوم.. ابحثوا عن شيخ ازهري وامنحوه المال والشهرة وخلخلوا ضميره شريطة أن يمرر غايتنا وأهدافنا ويحقق لنا مالم نحققه، ونخرس به ألسنة المعترضين الذين كلما كلمناهم، عارضونا بأننا لسنا أزهريين.

جميل جدا جدا أن يخرج أستاذ جامعي أزهري فيخوض في ثوابت الدين ويخلخل جذورها، أما البقية فعلينا نحن، ولسوف نحيطه بهالة إعلامية ضخمة، ونسانده كما ساندنا من

قبل طه حسين، لنروج بين السذج إنه الشيخ المستنير، والعالم المتنور، والأزهري الثائر على التقاليد، ومحرر العقول من الموروثات البالية، وغير ذلك من الجهالات والخرافات التي تخدع البسطاء، أما هو فما كانت حقيقته إلا شيخ مفتون أغوته الدنيا والمال والشهرة، فصار عبدا لها من دون الله.

الوعظ بالموسيقى

أخشى أن يأتي ذلك اليوم الذي يصعد فيه الأئمة منابرهم، وهم يصحبون معهم أنغام الموسيقى التي تستحضر عاطفة الناس وتؤثر على مهجهم وتسحر أرواحهم.

أو أن تقرر وزارة الأوقاف يوما ما، أن تلقى خطبة الجمعة مع عزف موسيقى عبر آلات تصاحب الميكرفون ومذياع المسجد.!

كانت هذه الخاطرة الشاذة والتصوير الغريب، إثر ما أسمعه من المقاطع الدينية لبعض الشيوخ الذين يتكلمون في الدين وخاصة ذلك الداعية الذي ظهر حديثا باسم الشيخ- جابر البغدادي، الرجل صوفي وتُبث له مقاطع صوتية يتحدث فيها حديثا عاطفيا، عن محبة النبي والارتقاء الخلقي الذي يستهوي كل مسلم يحب الله.

الشيخ صوفي يلعب على وتر العواطف، وينطق بالأحاديث الضعيفة والموضوعة أحيانا، كما ينطق بعبارات تخمش سلامة العقيدة، والحديث عن الله سبحانه بما لا يليق بجنابه.

لكن دعنا من هذا كله، فليس هو مجال الخاطرة، فإني أرى أن الموسيقى اليوم، قد أصبح البعض يتخذها سبيلا من سبل الهداية، والرجوع إلى الله، ولو أنك جربت الاستماع لهذا الشيخ مجردا من سحر الموسيقى ولو دينية، لفتر استماعك إليه.

إن الشيوخ الربانيين، يمنحهم الله تعالى هيبة الهداية في قلوب المستمعين.. تتنزل عليك سحب اليقين، وتغمر كيانك هبات الإيمان، من مجرد النظر إليهم.. ناهيك عن الحديث.

لون من الوان البدعة يستخدم في تجميل وتزيين الأحاديث الربانية، والتي تسوق المتدرب عليها ومدمنها فيما بعد للاكتفاء في استحضار مشاعر الخشوع والهداية، بسماع السيمفونيات، وألحان الموسيقى الدينية، لنعرض عن الهدى والعلم واليقين الذي يؤخذ بالتلقي.

أسلوب جديد في التسويق لشيوخ يراد لهم أن يتصدروا المشهد، ليفسدوا عقائد الناس ويرمون بهم في أعماق بحار تصادم العقيدة الصحيحة.

تلبيس الشيطان

كم هاجمتهم في أوكارهم، فلامني عشاقهم، رفضوا قولي وجافوا حرفي، ويعلم الحق انني ما انتصرت إلا للحق، الذي هو واضح أبلج، بين مشرق، لا تخفيه الغشاوة او تحجبه العماية.

هنا أقول لك:

من تلبيس الشيطان عليك، والذي يساعده فيه عدم درايتك أو قلة معرفتك، أن تكون صاحب ذنب من الذنوب، أو علة من علل النفس والقلوب، ثم يوما ما تفتح جوالك او تلفازك، لتسمع وتشاهد شيخا أو داعية يتحدث فيما أصابك، ويشخص لك الدواء، بعد ان وصف ما فيك من الداء، فيبهرك منه أنه اطلع على حال نفسك، ومكنون خبرك، وعلة قلبك، وحيرة ذاتك، فياخذ كلامه بيديك إلى الهدى بعد الضلال، والاستقامة بعد الانحلال، وهنا ينشأ بينك وبين هذا المتحدث رباط روحي عظيم، فيعده قلبك إمام الهداية، وبحر العلم والدراية، ويكون قريبا إلى هواك وروحك، فلا تسمح ان تقال عنه كلمة سوء، أو وصفا موبوء، او نقدا مرزوء.

وهنا بداية الإفك ومنشأ الخرق.

إن صاحبنا قد يكون آية من آيات الوعظ، ماهرا في الحديث والفصاحة، موهوبا في البيان والبلاغة، لكنه على المستوى

السلوكي والعقدي والفكري والتطبيقي، من اهل الإفك والضلالة، منحرف الفهم والاستنتاج، صاحب عقيدة باطلة تجافي الحق، يعلن البدع والمنكرات، يسبح بحمد الظلم والطغيان.

رأيت أحدهم يوما معجبا بحسون، ويعرض في صفحته مقطعا له وهو يتكلم في الزهد والرقائق، يشغف القلوب ويأسر الألباب فقلت له: بالله عليك ألا تدري ما حسون وما أمر حسون؟

الا تعلم من واقعه شيئا؟

ولما اخبرته كأنه أفاق من ثبات وهم عظيم، ومنكر وخيم.

وهكذا في ساحتنا كثير من أئمة الضلالة، ماهرون في الوصف والحديث، يأخذون بمجامع الروح وتلابيب القلوب، وإذا لم تكن متنبها لزورهم وإفكهم، فما أضيعك بمعسول كلامهم، وجميل خداعهم.

شيخ صوفي مبتدع، عظيم من عظماء الخطابة، علم من أعلام البلاغة، أمهر من رأيت حديثا في عيوب النفس وأمراض القلوب، يشدك إليه ويطريك، ويستميلك ويستهويك، ليصير الأفضل في عينك والأعلى في وعيك، ولكنه ضال المعتقد منحرف الفهم، يغرف من الأحاديث الموضوعة المكذوبة،

يوغل في استخدام الخرافات التي يغرم بها ضعاف العلم والهمم، يخدر بها اسماعهم، ويرخي بها أشواقهم.
وهذا للأسف حال خطير إذا لم نتنبه له، صرنا فيه كالعجماوات، نساق بلا وعي ولا بصيرة.
اجعل كتاب الله وسنة نبيه ميزان عقلك ومبعث حكمك ومنطلق رشدك على الدوام، واسأل دوما أين الحق وأين طريقه، وأين الصواب وأين سبيله؟ لا تدع قلبك يقودك، وظالم لنفسه من ظن العاطفة يوما طريقا للحق.

جماعات غارقة في الغباء

كثير من أتباع الجماعات الدينية ومريديها يظنون أنهم يحملون رسالة الإسلام، ويقدمون مسيرة التدين للمجتمع والعالم من حولهم، ويخوضون ملاحم الدعوة وهم واثقون أنهم يقدمون واجبهم الذي فرض عليهم تجاه دينهم وملتهم، لكن الحقيقة التي نلمحها من واقع كثير من أتباع هذه الجماعات اليوم، أن الدعوة لديهم لم تعد للإسلام كدين عام مطالب أن يكون له من يمثله من دعاة صادقون يعبرون عن حضوره ويترجمون وجوده للناس، ويقفون كذلك في وجه خصومه الذين لا يكلون عن الكيد له كلما سنحت لهم الفرصة وأغراهم

الحديث، لأن كثير من هؤلاء الأتباع مشغول بالدفاع عن جماعته والنفاح عن أدبياتها ورموزها وطرائقها ومسالكها بجوار نقده لمسالك الآخرين من أتباع الجماعات المغايرة.

لقد أصبحت الجماعة هي القضية الكبرى التي خلق وجوده من أجلها، بل صارت هي ومناهجها رسالة الحياة الكبرى التي يعيش لها، وأنت تجد أن مما يؤلم حقا، أن تجد خطيبا يصعد المنبر لا ليشرح حقائق الإسلام وسماحة شريعته، وإنما ليواجه خصوم طريقه وجماعته ومذهبه، ويبطل حججهم ويثبت خطأهم، ويعتمد في هذا على إيقاظ خلافات علمية قديمة مرت عليها قرون وأزمان، بل تدهش إلى اليوم حينما تجد داعية صوفيا يستميت في إثبات ولاية السيد البدوي وأثره وبركته، ويعطي هذه القضية كل كيانه وهواه ونشاطه وحماسته، أو أن يدافع عن قضايا تأويل الصفات ويفهمنا في العرض أنها قضية الاسلام الكبرى التي لا يستقيم الوجود إلا بالإيمان بها، يحدث هذا الجهل والهرج والعلمانيون على أشدهم في إثارة الشبهات حول الاسلام وقيمه وتاريخه وشريعته ورموزه، فتنظر بعينيك من يقف لهذه الزيوف فلا تجد، لأن قطعانا من الدعوة أثروا هجر هذه المعارك وترك الاسلام فيها وحيدًا أعزلا لينازلوا إخوانهم في ميادين أخرى لا يكسب الاسلام منها إلا مزيدا من الهزائم والانكسار.

وهي قضايا لا تهم العامة في شيء، ولا يفقهون منها أي شيء، هي قضايا تخص أهل العم وحدهم، بل ربما خاصة الخاصة منهم.!

وقد تحزن حزنًا شديدًا حينما تجد المتحدث عالما ثقيلا ولديه حظ وافر من الاطلاع والقراءة والحفظ، ولكنه للأسف ما أغناه ذلك في شيء، لأنه افتقد الفهم والبصر والرؤية الصحيحة التي تأخذ بيديه إلى تحقيق معنى الاولويات في حياته وتصرفاته وحديثه، والإيمان بفقهها في تحديد مسارات الخطى التي يجب أن يخطوها في دعوته إلى الله.

يظن بعض الاتباع أن ولوغه في أدبيات جماعته وشرح طرائقها ومبادئها ومعتقداتها هو شرح للإسلام وخدمة للدعوة، لكنه لا يخدم الاسلام في شيء، لأن معارك الاسلام التي تتطلب منه أن يكون أحد جنودها، في ميدان آخر لا صلة لها بما يستحدثه من شرح وحديث.

هذا داعية متسلف لا هم له إلا أن يقضي على كل مظاهر الصوفية من حوله حتى لا تقوم لها قائمة، وفي اعتقاده أن مجاهدة هذه الأهواء حسب ما يراها، هو مطلب الاسلام الاول وسبيلة الأمثل، أما ما يلاقي دينه من حرب وهدم وتكذيب وافتراء، فإنها قضايا ثانوية لا تهمه، لأن تنقية العقيدة في فهمه مقدم على كل شيء، ونسي أن صاحبنا أن الرجل

الفاجر نفسه يمكن أن ينتصر به الإسلام، فماذا عليه لو أنه نحى هذه الخلافات جنبا ودعا إلى مزيد من التعاون والتآزر بين إخوانه ليكونوا جبهة واحدة أمام كل مارد عنيد.

لقد قرأت ما جاء في أوائل سورة الروم وما جاء في سبب نزول آياتها حيث اعتبر القرآن الكريم النصارى والذين هم كفار حسب المعتقد الإسلامي، اعتبرهم أقرب إلى المسلمين من المجوس عبدة النار، وبين سبب النزول أن المسلمين كانوا في حزن لما غلب الفرس وانتصروا على الروم الذين هم أهل كتاب سماوي ، بينما كان موقف المشركين مغايرا إذ فرحوا لانتصار المجوس، وهنا ينزل القرآن الكريم ليبشر المؤمنين بتغيير هذه الأوضاع عما قريب وأن النصر سيكون في صف الروم، يقول تعالى: (الم ﴿غلبت الروم ﴿ في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ﴿في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ﴿ بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم)

ثم يجيئ التعبير القرآني بلفظ يستحق منا أن نقف أمامه متأملين معتبرين حيث يقول الله تعالى: (ويومئذ يفرح المؤمنون ﴿ بنصر الله)

وكذلك جاء في الحديث عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه – قال : كان فارس ظاهرا على الروم ، وكان المشركون يحبون

أن تظهر فارس على الروم ، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس ; لأنهم أهل كتاب وهم أقرب إلى دينهم ، فلما نزلت : (الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين) قالوا : يا أبا بكر ، إن صاحبك يقول : إن الروم تظهر على فارس في بضع سنين ؟....إلخ)

وهنا كذلك تأمل قول ابن مسعود (وهم أقرب إلى دينهم)

ألا يتأمل كثير من أتباع الجماعات الذين يستأسد بعضهم على بعض مثل هذه الألفاظ؟ لقد فرح المسلمون واستبشروا لانتصار كفار لا يتوافقون معهم في دينهم لمجرد أنهم فقط أهل كتاب سماوي وإن كان محرفا، فهل يمكن أن يستبشر أتباع الصوفية أو أتباع السلفية بنصرة إخوانهم وهم يقفون معهم صفا واحدا في وجه خصوم الإسلام؟

هل يمكن أن يعدونهم قريبين منهم على حد قول ابن مسعود، ويقررون معهم مسألة القرب التي صرح بها في الحديث؟!

إن الغلو والسعار للأسف يجاح ساحة الفريقين وغيرهم من مختلف الجماعات والأحزاب والتكوينات، وليس لأي أحد منهم أدنى استعداد لكلمة سواء تبعث الرحمة بأخيه أو يخفض له الجناح.

لقد جاءت آثار كثيرة من السلف الصالح كانت تشير إلى سعة المخالف وقبوله والرضا عنه رغم وجود الخلاف بين الطرفين، والحق أن سلفنا الكريم قد ضرب المثال الأقوم في تحقيق هذه الألفة رغم تغاير العقول والآراء وخلفوا لنا آثارا طيبة نرويها ونتباهى بها ونضربها مثلا لكل من يضيق بالخلاف ويعتد برأيه ويهجم على إخوانه، لكنني اكتشفت كذلك أنه قد وردت للأسف بعض الاثار تؤكد على جذور هذا التعصب المقيت والتحيز المتطرف الذي يأتي على حساب الأخوة ويؤجج فجوة الكراهية، وكان التشتت الذي نراه في العصر الحديث ما هو إلى صورة مكررة من التعصب في العصر القديم فكان له قدوته وجذوره وتياره الذي يمثله.

يقول الدكتور القرضاوي: "مما يؤسف له أن نجد بعض الكتب ككتاب (السنة) الذى ينسب إلى عبد الله بن أحمد بن حنبل، ففيه أقاويل عن الإمام أبي حنيفة، تقشعر من فظاعتها الأبدان، والحق أني لم أكد أصدق أن يشتمل كتاب من كتب السلف على هذا الهجوم السافر على رجل من أئمة الهدى، لم يؤسس مذهبه من فراغ، إنما أسسه على ميراث المدرسة المسعودية في الكوفة، وهى مدرسة كان فيها من جبال العلم، وأعلام الهدى من لا يشك فيهم مسلم له صلة بالعلم الإسلامي.. وقد كان المذهب السائد طوال عصور الخلافة

العباسية، والخلافة العثمانية . فكيف ينتقص من إمام هذا المذهب، ويتهجم عليه، إلى هذا المستوى الذي قرأته ورأيته؟
كما أورد الحافظ الخطيب البغدادي في كتابه (تاريخ بغداد) في ترجمة أبي حنيفة أقوالا لم يكن لها ضرورة تسىء إلى الإمام رضى الله عنه .. مما جعل العلامة التركى الحنفى الشيخ محمد زاهد الكوثرى وكيل المشيخة الإسلامية في تركيا ينتقده بكتاب (تأنيب الخطيب على ما ساقه في شأن أبي حنيفة من الاكاذيب) وربما تجاوز فيه أيضا، فهذا الميدان إذا دخل الناس فيه أسرفوا وبغى بعضهم على بعض إلا من عصم ربك . وقليل ماهم..
ومما ذكروه في التعصب للأئمة قول العلامة الحنبلي أبي إسماعيل الانصاري الهروى صاحب (ذم الكلام) و (منازل السائرين) وغيرهما، حكى الذهبي في (الاعلام) عن محمد بن طاهر قال: سمعته ينشد على منبره:
أنا حنيلي ما حييت، فإن امت * فوصيتي للناس أن يتحنبلوا !
وحكى عن غيره قوله:
وإني حياتي شافعي، وإن أمت * فتوصيتى بعدي بأن يتشفعوا!
ومما يأسى له المسلم أن يجد بعض العلماء الكبار، الذين لهم شأن عند الأمة، والذين تركوا وراءهم تراثا علميا عريضا، وذكرا حسنا في الآفاق، دخلوا في هذا النفق المظلم، واعتبروا مذهبهم هو الأحق من المذاهب الأخرى، وربما أداهم هذا إلى

التطاول على الآخرين، والتنقيص من أقدارهم، ومن هؤلاء : إمام الحرمين أبو المعالي الجويني (ت ٤٧٨ هـ) فقد ألف كتابا -ليته لم يؤلفه - سماه (مغيث الخلق في اختيار المذهب الأحق) (٤) حمل فيه على مذهب الحنفية، وأعلى من مذهب الشافعية والشافعي عال بعلمه وفضله وليس في حاجة إلى من يعليه، وما أظنه - رضى الله عنه - يرضى عن هذا التوجه الذي لا يليق بمنهجية الفضلاء من العلماء."

نعم كان هذا التعصب المقيت موجودا وله آثاره المحزنة في حياة السلف الصالح، والتي ربما تستهوي بعض المتشنجين اليوم لتبرر لهم تماديهم في هذا الغي الموحش الذي يدمنونه ولا يخرجون عنه أبدًا!

ولله در الامام السيوطي في قوله في رسالته جزيل المواهب: "ومن العجب أيضا: من يأخذ في تفضيل بعض المذاهب على بعض، تفضيلا يؤدي إلى تنقيص المُفَضَّل عليه وسقوطه، وربما أدى إلى الخصام بين السفهاء، وصارت عصبية وحمية جاهلية، والعلماء منزهون عن ذلك.. وقد وقع الاختلاف في الفروع بين الصحابة رضي الله عنهم، فما خاصم أحد أحدا، ولا عادى أحد أحدا، ولا نسب أحد أحدا إلى خطأ ولا قصور.. فعرف بذلك أن اختلاف المذاهب في هذه الأمة: خصيصة فاضلة لهذه الأمة، وتوسيع في هذه الشريعة السمحة السهلة."

ولنا هنا أن نقول بكل صراحة: إن من يؤجج نيران هذه الصراعات ويزكيها ويزيد من توهجها إنما يتحمل أي ضعف يصيب الدعوة وتكون عليه تبعة أي هزيمة تصيبها، ويجني وحده ثمار هذا الخزي والشتات.

بدعة الأكفان

الحمد لله انتهينا من صلاة الجمعة، وجلس الجميع في أدب ووقار كل يصلي على سيده صلى الله عليه وسلم، والحمد لله فلا الدين انهدم ولا الشريعة تمزقت، ولا الدنيا انقلبت، ولا مات الإسلام، ولا الناس عبدوا محمدا من دون الله، كل ما كسبناه تلك الحسرة والكمد الذي أعلمه في نفس إبراهيم عيسى وخالد منتصر وهم ينظرون لمصر كلها وهي تصلي على نبيها العظيم، صلاة تؤهل الأجيال لحبه والتعرف على سيرته وسنته، وتمكن لاحترام الرسول من النفوس، والاعتزاز بالهوية الإسلامية.. في زمن غلب فيه الإلحاد وعلا صوت المرجفين من العلمانيين.. شكرا لكل من دعا إلى فضيلة وخير حتى ولو كان مشركا أو مذنبا أو مقصرا أو صاحب غرض... ليكن إذن صاحب غرض ويفيد ديننا، ليأت اللوم بعد ذلك على ضياع الوعي والعقل والرؤية البصيرة والتفكير الناضج

الذي لا يخدم الإسلام أبدا.. الحرفيون والنصوصيون يلاحقوننا بعقباتهم وجمودهم الذي أثبت ضياع الدين على أيديهم.. نفس القضية وشبيها بها.. أم كلثوم تصرح بحب الله والرسول والقرآن فقامت الدنيا ولم تقعد، لقد جعلتها كرابعة العدوية، لقد روجت للهو والفجور، لقد شجعت على المعازف والغناء، ولكني أقول: رجل ملحد أو كافر أو مذنب صدر ما منه ما يدلل على احترام ديننا، فما الضير في الاشادة به وحمد ذلك منه، خاصة إذا كان له جمهور كبير سينزل على رأيه في تقدير القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم.

نحن نعاني محنة وعي وأزمة عقل... حمدنا سجود محمد صلاح في الملاعب، مما أعلم العالم كله اعتزاز المسلم بدينه وشكره لربه، والجماهير العريضة التي أحبته وتعلمت على يديه بهذه الخصلة أن تلجأ إلى شكر الله ساعة الرضا والفوز، فقالوا بدعة ومنكر ومحدثة ضالة، ولكن ما الضير في هذا وكيف تكون بدعة وهي سنة حسنة له أجرها... وهي كلها أفعال خدمت معنى الدين والهوية في حياة الناس.

إنني ممن يفكرون وينظرون من بعيد خارج الصندوق، خرجت من نطاق البدعة والسنة إلى النظر لمصلحة الإسلام وما يصب في دعم انتصاره ووجوده، قد تختلف معي هذا من حقك وقد ترى أن هذا العمل وهذه الدعوى تهدم الدين،

لكنني أؤكد لك أنني اليوم وأنا في المسجد، وحينما رأيت الجميع ثابت وجالس يصلي على الرسول، حينما رأيت هذه الأجيال الغافلة من الشباب والصبيان وهم يقفون على معنى تعظيم الرسول، قلت ما أعظم الدعوة وما أبهى النتيجة، بل قلت يا ليتها دعوة تتجدد، لتورق وتثمر.

مما نتباهى به في تاريخنا الجهادي في الإسلام واقعة جيش الأكفان.

حينما بلغ السلطان ألب أرسلان خبر نزول الروم إلى أرض المسلمين، وحلف ملكهم رومانوس أنه لا راد له إلا الظفر بمكة وبلغ حشدهم أكثر من ٢٠٠ ألف ... جمع السلطان جنوده وقال لهم إننا اليوم آخر حصن يقف ضد الكفار فمن أراد السلامة فليرجع لأهله. ومن أراد العزة فليلبس كفنه ويطلب الموت توهب له الحياة... "أججوها حمما وابعثوها همما... هي الشهادة أحلى مطلب والعيش في ظل السيوف جنة المنقلب. خرج في عدد قليل جيش لا يتخطى ٢٠ ألف مجاهد، فبادر ولبس البياض وتحنط استعدادًا للموت، وقال: إن قتلت فهذا كفن، فإن انتصرنا فتلك نعمة من الله، وإن كتبت لي الشهادة فهذا كفني وحنوطي جاهزيْن، وأكملوا معركتكم.

لبس الكفن ومضى جيش الفرسان كالسهم المسوم على الشياطين شهاب حفته ملائكة الرحمن يخترق صفوفهم كالسيل

العرم... فماهي إلا أن علت صوارم جند الله على رقاب الكافرين وشربت السماهر من دائهم وتنزل مدد السماء بالعز والتمكين، ودارت الدائرة على العدو الكافر، فتناثر من قتلاهم ما لا يحصى، وجيء بالأسرى وإذا مقاتل صغير الجثة يسوق أمامه قائد الأعداء رومانوس."

أعلم أن أحدهم يقول ما المناسبة في هذا بما نحن فيه من بدعة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم؟

والمناسبة يا عزيزي هي بدعة الأكفان، ذلك الرجل الذي انتصر الاسلام على يديه وهو صاحب بدعة لم يفعلها رسول الله ولا صحابته الكرام لعلكم تفقهون.. لكنها أججت في النفوس مشاهد الحمية للشهادة، كما تؤجج دعوة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم معالم التوقير والتعظيم والاحترام في جيل سحقته العلمانية سحقا وكادت أن تسلخه عن دينه ورسوله.

شكرا خالد منتصر

حقيقة اسمحوا لي تجاوزا وعلى غير العادة، أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير للدكتور خالد منتصر، نعم إنه هو ذلك العلماني الذي كثيرا ما قلعت حذائي ورميته في وجهه.. وأحيانا كنت أبصق عليه.. فلا تتعجبوا

اسمحوا لي اليوم أن أشكره هذا الشكر العاطر ليختلف حالي عن ذلك الحين الذي كنت أكيل له فيه كثيرا من السب والشتم والرمي والقذف والطعن واللعن والتجريح.
وانا حقيقة أعترف أنني أمام هذه النوعية من أمثال الدكتور خالد، أجد أدبي ينحرف ولساني يزلف، وقلمي يرمي بالألفاظ الحادة التي تشبه الصواعق الرعدية.. حالة غريبة تجتاحني حينما يقع بصري على تعليق أو منشور للدكتور خالد منتصر.. وكان من آخر تسلطي عليه أن أطلقت عليه لقب لقيط العلمانية، واقترح علي بعض الاصدقاء الكرام أن يكون هذا لقبه من الان ودائما.
لكننا اليوم ولأننا نحب الإنصاف ونأمر به، لابد أن نسير في اتجاه آخر أجبرنا عليه الدكتور خالد نفسه، إذ نقدم له شكرا عميقا لما اسداه إلينا من معروف كبير، وكان سببا مباشرا في تعريف الجماهير في مصر كلها والوطن العربي بل والإسلامي بشخصية نبيلة سامية شريفة عظيمة، كانت مجهولة غير معلومة، حتى جاء هو وأخرجها إلى النور.
الدكتور خالد جعله الله سببا في هذا الكشف.
ونحن نعذره ونومن أنه لم يكن هذا قصده أبدا، ونؤمن أكثر وأكثر أنه لو كان يعلم أن هذا سيحدث ما فكر ابدا أن ينشر

صورة البروفيسور النقيب.. لكن شاء الله أن يحدث هذا التتويج على يديه.
حالة الدكتور منتصر تذكرني بالحديث (إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر)
وقول الشاعر:
إذا أراد الله نشر فضيلة **طويت أتاح لها لسان حسودِ
لولا اشتعال النار فيما جاورت **ما كان يعرف طيبُ ريح العودِ
الدنيا كلها ومعها الدكتور خالد كانوا يتوقعون أن ينظر الناس للحالة على أنها مجرد لحية طويلة فارهة الطول لرجل عادي ربما يكون له انتماء ديني معين، أو أنه متدين في نفسه بلا انتماءات، فهو إذن حالة تشبه فريسة وفرصة ذهبية للدكتور منتصر، حتى يجعل منه أضحوكة ومسارا للسخرية.. لكن المفاجأة أن تغريدة منتصر كانت الشرارة التي تسببت في انفجار هذا البركان الهائل من المعرفة بالأخلاق والشمائل والفضائل الهائلة التي تحلى بها هذا الرجل، والتي كانت دفينة حبيسة لا يعلمها فقط إلا المقربون منه، والمحيطون به، وما أن نشر منتصر الصورة حتى انطلق تلامذته ومحبوه وكل عارف بفضله، في الحديث عن مكارمه العظيمة وأخلاقه الرائعة التي

لا تجعل أي عقل يستمع إليها ويقرأ عنها، إلا ويحترم الرجل ويجله.

منذ نشر الدكتور خالد تغريدته وتتابعت أسفلها التعليقات السخيفة الممجوجة لمن يفتقدون الوعي والرشد ولا يحترمون الدين، حتى انطلق في جهة أخرى كثير من تلامذة الدكتور ومحبيه وعارفي فضله، فقصوا على الناس حقيقته وضربا من سماته وسجاياه، وقرأنا مع القارئين ما كتب فزاد حبنا للرجل، وزاد شكرنا كذلك للدكتور خالد أن كان سببا ولأول مرة في حياته وعلى غير المعهود في إظهار المتدين بهذه الصفات النبيلة الكريمة التي تفوح منها الإنسانية العالية.

وليسمح لي القراء الأعزاء أن أنقل هنا شهادة من تلك الشهادات لتلميذة من تلميذاته واسمها جويرية مالك، لتقص علينا جانبا من شخصية هذا الرجل الذي يشبه الأنبياء في خلقه وطبعه.

تقول: في إحدى قاعات كلية التربية - جامعة المنصورة يحاضرنا أ/ د في محاضرة صباحية وعلي غير عادة الكثير من دكاترة هذه الكلية الشامخة سمح الدكتور بدخول طالب جاء متأخراً، أذكر وده وتلطفه وبصوت أبٍ حانٍ يسأله: لماذا أتيت متأخراً ؟ ليرد الطالب: نمتُ متأخراً فيسأله الأب الحنون: ولماذا لا تنام باكراً فيردُ الطالب أنا أعمل وقت الدراسة

وانتهي في وقت متأخر لهذا استيقظت متأخراً فجأة ينادي الدكتور .. على القهوجي ويطلبُ منه أن يُحضِر للطالب قهوة أو شاي لا أذكر كي تساعده لينشط ويركز كانت محاضراته لا تخلو من المزاح والقصص والفوائد كان يصبر علي طلبته ولا يكلفهم ما لا يطيقون ولا يشق عليهم رحمةً بأهليهم.

* أتصل عليه أطلب منه أن يطّلع علي وريقات كتبتها لبحث

– ما اسمك : قلتُ ... –في أي كلية يا بنيتي: قلتُ كلية تربية عام – قسم لغة انجليزية

يجيبني: احضري في تمام الساعة.. في مكتبي وسوف أطلع علي بحثك.

ذهبتُ في الموعد المحدد إذ بدكتور له هيبة . شديد التواضع أخذ مني البحث وقال لي: الأسبوع القادم أتناقش معك فيه وفي نفسي (غفر الله لي ظني) أن الأمر أكيد مع انشغال الدكتور سيطول اتصلت قبل الموعد المحدد بيوم قال لي أنتظرك غداً في مكتبي أذهب لأسمع نصائح وتنبيهات ومناقشة بخصوص بحثي المتواضع الذي أثني علي مجهودي فيه وأحالني علي بعض الكتب لتساعدني في إثراء بحثي فأخبره أنها ليست بحوزتي فيقول :سأعيرك أي كتب تحتجينها إن شاء الله، فاستغللت الفرصة وقلت له: أختي طالبة مع حضرتك وأوصتني أن أسألكم عن كذا وكذا في البحث

المطلوب مها في مادتكم، قال لي: قد تفهمين شيئًا خلاف ما تريد أختك أن تسأل عنه قولي لأختكِ تأتي بنفسها وتسأل عما تريد لأنها هي من ستُحسن السؤال والاستفسار
وتعلمتُ من هذا الموقف درساً مهماً كل إنسان يحسن عرض مسألته قد أوصل معلومة خاطئة وفق فهمي أنا فبدل أن أساعدها أضرها وأضيع مجهودها
* اتصل عليه أستفتيه في شيء يُفتينى أستنصحه في أمر فينصحني أطلب منه مساعدة في خير فلا يتأخر عني ما جلسنا بين يديه يوماً إلا ولمستُ فيه صدق الصالحين، وخشية المتقين، تسمع له فإذا هو بحر علم، موسوعة لغوية، لسانه عربي رجلٌ دقيق منظم حييّ شديد التواضع هينٌ سهل صاحب خلقٍ دمث رحيمٌ عطوف لا يبخل بنفسه عن الناس كنتُ في عزاء ابن صديقةٍ لي وهي امرأة أحسبها صالحة صابرة، اتصلتُ عليه لأمرٍ ضروري فوقع في نفسي أثناء المكالمة أن أخبره أنني في عزاء شاب حافظ لكلام الله مات وهو ذاهبٌ يصلي الفجر وأمه صابرة محتسبه
فهل هناك حرج لو تصبّرونها وتواسونها (رُغمَ أنه لا يعرفها)
والله بتواضعٍ جم وأدب وافق
وبكل رحمةً تكلم مع والدته وعزّاها وذكّرها بالله وانتهت المكالمة

وأجد منها فرحة شديدة وشكر وامتنان عظيم لهذه المكالمة التي لم يُرَتب لها وقالت لعل هذه رسالة تثبيت من الله لي.

- إيجابي ومتعاون .. إذا سألته في أمر أو طلب

والله يسبقك ليبذل لك النصح والمساعدة

اتصلت صديقةٌ لي تسأله عن أفضل نوع كرسي متحرك لوالدتها (شفاها الله وعفاها) بحكم أنه يرأسُ مؤسسة خيرية كبيرة تُقدم خدمات طبية فعرض عليها كرسي من المؤسسة علي أن يكون صدقة جارية لمن تبرع به وبعدما تنتهي منه تُعيده، وأوصلته المؤسسة إلي مدينتها التي تبعد عن المنصورة سفر ساعة، فأعانها في قضاء حاجتها ووفر عليها المال والجهد.. حريصٌ شديد الحرص علي نفع الناس، خلوقٌ شفوق علي الناس لا يُشدد عليهم في أمر ما استطاع يسعي في إسعاد الغير مهما كلفه الأمر.. أذكر أن ابنتي الكبرى كانت ذاهبة في رحلة لمعرض الكتاب تابعة للمؤسسة (وفرت أتوبيس للمقيمين من أهل المنصورة بسعر رمزي يعينهم علي حضور المعرض) السفر كان السادسة صباحاً وزوجي في سفر خارج مصر فاعتذرت عن حضورها وحزنت البنت لهذا والله هاتفتني زوجته (أم يحي بارك الله فيها) ليلاً تقول سنأتي ونأخذ جويرية معنا المعرض وسأعتني بها لا تقلقي وبالفعل يأتي بنفسه بعد صلاة الفجر ومعه زوجته حتي لا تُحرَم ابنتي من فرحة حضور

المعرض مع صديقاتها وتعتني بها كما لو أنها أنا، وتعود ابنتي بنفس الطريقة ليلاً مع أحد أصحابه وزوجته (جزاهما الله خيراً) وهي سعيدة رضية ومعها هدايا المعرض ما بدأنا في لقاء إلا ذكّرنا بإخلاص النية لله ما سمع المؤذن إلا ترك المجلس وقام لصلاة الجماعة إذا رأي طفلاً خفض له الجناح

وتبسم له وقبّله وسمع له وشجعه يذهب زوجي (الله يحفظه)ومعه ابننا سفيان وكطفلٍ حديث السن يتحرك ويلعب من دون حرج فيأمره والده أنً يجلس مهذباً، فيطلب منه أن يتركه علي راحته ولا ينهره، ثم ينادي سفيان ويأخذه في حضنه طيلة الجلسة ويقبّله ويسأله عن نفسه لنتفاجأ في الزيارة التالية بهدية لـ سفيان مجموعة من الحيوانات / وهدية مكعبات وفرح سفيان بها غاية الفرح لأنه يحب الحيوانات والمكعبات جدًا وقال فهمتُ من كلامه المرة الماضية حبه للحيوانات والمكعبات ويظل سفيان محتفظاً بهديته من حبه له ويزيد حب سفيان في كل لقاء يلمس فيه حنانه ورحمته ورفقه حتي أن أصغر أولادي صاحبة السبع سنوات(مُليكَة) كما يناديها لا تفوت زيارة إلا وتجلس معه من شدة حبها له إنه الأستاذ الدكتور المربي الناصح الأب الوالد شيخنا الكريم أحمد النقيب والله ما رأيتُ منه إلا خيراً ولا سَمِعتُ منه إلا خيراً جزاه الله عنّا خير الجزاء

وبارك علمه وعمره وعافيته، وبعد هذا كله.. ألست معي في أنني كنت على حق حينما شكرت الدكتور خالد منتصر؟!

الفتاوى العاهرة

الداعية السلفي ياسر برهامي الذي يشغل منصب رئيس الدعوة السلفية، أثار جدلا واسعا عقب تصريحاته في إحدى المحاضرات التي ألقاها في أعقاب العدوان الرهيب على غزة من قبل اليهود الغاصبين، حول فتوى "الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين" بوجوب نصرة أهالي غزة عسكريًا في مواجهة العدوان الإسرائيلي، برهامي اعتبر أن الفتوى التي أصدرتها هيئة علماء المسلمين، والتي تنص على ضرورة مناصرة الفلسطينيين عسكريًا من قبل الدول الإسلامية، غير واقعية وخاطئة، وأضاف أن المقاومة وأهالي غزة قرّروا خوض الحرب منفردين، دون التشاور مع بقية المسلمين، باستثناء إيران، وفقًا لتسجيل صوتي تداولته وسائل التواصل الاجتماعي، وأكد كذلك أن مصر ترتبط بمعاهدة سلام مع دولة الاحتلال الإسرائيلي، مشددًا على أن المسلمين يجب أن يلتزموا بالمواثيق الدولية، رغم إقراره بأن الاحتلال الإسرائيلي

قد خرق الاتفاقية في عدة مناسبات، وانتهك المقدسات الإسلامية، ومنها المسجد الأقصى.
هذه التصريحات أثارت موجة واسعة من الجدل والانتقادات، حيث تفاعل رواد مواقع التواصل الاجتماعي بشكل كبير مع تصريحاته، وقد اعتبر العديد من المغردين أن تصريحات برهامي غير واقعية ولا تواكب الأحداث الجارية على الأرض.
فكتب أحد المدونين ردًا على كلام برهامي قائلا: "تصريحاته مليئة بالمخالفات الشرعية والواقعية التي تمثل العبث ذاته: جهله بتأويل كتاب الله تعالى، حيث إن آية سورة الأنفال "إلّا على قوم بينكم وبينهم ميثاق" لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالحال الراهنة، ومن يراجع تفسير أهل العلم سيكتشف بسهولة جهله. تدليسه على الناس باسم المعاهدات المخزية، في حين أن المجامع العلمية أوضحت موقفها من هذه المعاهدات مسبقًا. كذبه على أهل غزة، إذ ليس لديه أي بينة تثبت أنهم أخبروا إيران بما عزموا عليه، كما زعم". هكذا نقلنا تعليق بعض المواقع على هذا الخبر.
ومع الأيام يتبدى لنا مواقف كثير من علماء لسلفية المخزية التي لا تخدم غير الباطل والظلم والخزي، لقد كنت والله أسخط على ذلك البرهامي وأصب عليه من لهيب قلمي ما يفتح الله به علي، وكان تلامذته الوقحون يدخلون علي ينالون

مني ويقولون لي: غدا يوم القيامة سينتقم منك الشيخ ويأخذ حقه.

ويعلم الله أنني من أشد الناس خوفًا من ظلم الناس وحسابي عند ربي في أذيتهم، إلا أنني والحق يقال: لم تأخذني من هذا الرجل أي موجة من شعور بندم أو مظلمة، بل كنت أرى نفسي أنني لم أوفيه حقه من الأذية والنكال.

لكن أمرا كان يحزنني أن بعض الناس رغم أخطائه الفادحة يتعاطفون معه ويعتقدون فيه العلم ويريدون أن يطبقوا عليه حرمته.

حتى جاءت المحن وجزا الله المحن خيرا لأنها عرت وكشفت وبينت لنا حقائق المنافقين وهتكت أستارهم ليتبدى لنا قباحة لا نظير لها.

قل لي بالله عليك: من يقدر على مساعدة المحتلين ويشرع لظلمهم وطغيانهم كما يفعل شيخ السوء، من يكفر بحق الإخوة الإسلامية ويسر لدم الأبرياء كما يفعل رجل تدثر بدثار الإسلام وهو منه بريء.

بئس العالم أنت وقبح الله لسانا ينطق بالزور.

أي إسلام وأي شرع يدعي الرجل أنه يعلنه وينطق به.

والله للإسلام منه بريء والرسول منه بريء والقرآن منه بريء.

دم المسلم الذي تهتز له السماوات والأرض، وتزول أمامه حرمة الكعبة ذاتها، يأتي داعية الرخص ليبيحه بفتاوى عاهرة.
دائما أتساءل ما هي طبيعة العقول التي تجلس إلى مثل هذا الرجل وأي إسلام وفقه يتلقونه على يديه، إن هؤلاء ليجسدون في حياة الأمة الإسلامية قنابل موقوته تهدم الدين وتزيف حقائقه.. كان من الممكن أن نقول: إن الرجل مأمور بهذا أو أن هناك من ضغط عليه بهذا الحديث الظالم، لكن الرجل يقرأ ورقة قدمت إليه أي أن هذا فهمه ووعيه وإدراكه.
قارن بين صاحب هذه اللحية الزائفة وبين العالم الأزهري الجليل محمد أبو موسى الذي صرخ صرخة حق لعن بها الأعداء وغدرهم، وواسى بها الأبرياء في حتفهم. هكذا العالم وقت المحنة إن لم يسعه أن ينطق بالحق فلتعبر عنه الدموع.
لكننا اليوم نشهد رجلا عجبا وليته صمت ولم يخرج علينا باسم الإسلام والفتوى بما يجعلك تشك أن هذا الكلام يخرج أساسا من مسلم.. يا رجل نحن لا نطالبك بحرب أو أن تكون داعية جهاد، كنا ننتظر منك عطفا تجاه إخوانك أو غضبة يتقد نارها في صدرك على عدونا وعدوهم، كنا ننتظر منك وقد جاءك السؤال أن ترفع أكف الضراعة إلى الله أن يهلك القتلة الفجرة.
لكن ما أشد برودك وأقبح هيأتك.!

ولله الأمر من قبل ومن بعد.
لكن العقول الحية والضمائر النابضة مازالت والحمد لله ترفض هذا الإفك وتمجه أذواقها التي تشربت الإسلام والدين والمروءة وعرفت معاني الإخوة الإسلامية، فاندفع كثيرون يستهزئون بهذا الخرف والجهل والافك الذي يشبه إلى حد بعيد فقه العملاء.
نعم هذا الفقه.. هو فقه العملاء وليس فقه الإسلام ولا الشريعة ولا الهدي الرباني
قال القائل واصفا هذا العهر الذي تلبس بلباس الدين:
"ليته أخرس لسانه؛ وما أنبت بنانه؛ سكت دهرا؛ ونطق فجرا؛ باع دينه بدنيا غيره؛ فلا ربحت تجارته؛ ولا راجت بضاعته؛ قبح فعله؛ وبدى للقاصي والداني خطره"
وقال آخر: "نفاق برهامي مفضوح جدا، والسلفية من هذا الصّنف عُبّاد التبعية المطلقة لرموزهم وهذا داخل في الشرك بالله.. وكان الواجب ان ينفض السلفيون كلهم عن شيخهم فضيلة الحاخام اليهودي ياسر برهامي! ولكن لا أظن ذلك، لأن اتّباع شيخهم (الاتّباع نفسه) هو إلههم من دون الله! ولو صلى برهامي مستقبلا حائط المبكى لاعتقد السلفيون انها القبلة الجديدة ولولّوا وجوهَهُم شطره!!

ثم قال الأصور الجريء: "الأنبا ياسر برهاموس، كبير سلفجية حزب الزور، ورئيس ما يسمى بالدعوة السلفجية، ينتقد فتوى اتحاد علماء المسلمين بوجوب إعلان الجهاد، ويتغوط: "نحن الآن في معاهدة مع إسرائيل لا يجوز نقضها .. آه يا ابن...."
ثم وضع الشال صورته وقال يخاطبه: "ألم تتعلم ما يسمى بفقه التأدب في حضرة البلاء.. ألا ترى أن ما نحن فيه ليس وقت تنظير ليتك تشعر بمعاناة الثكالى واليتامي؟..."
لقد كانت سعادتي كبيرة وأنا أرى بعض أبناء التوجه السلفي الأحرار والأنقياء الملتزمين وهم يلعنون هذا الهوان ويسخطون على ذلك الانبطاح ويدعون الله أن يرمي بلعنته من ينطق به.

فليحرق برهامي كتبه

في مقالنا السابق الفتاوى العاهرة الذي انتقدنا فيه موقف الشيخ ياسر برهامي حول تخذيل أهل غزة والتجرد من كل مشاعر الأخوة الإسلامية، فإننا قد اضطررنا أن نرد عليه بالردود العلمية التي أبطلت براهينه العوراء وفضحت منهجه المريب، وما دفعنا إلى ذلك إلا ما وجدناه من استفزاز صبيانه حينما أخذوا يرددون ويشيعون أن كل المنكرين على شيخهم

(وهُبَلِهم)، كلها زعق وشخط وسب وصراخ وعويل، ولا يوجد واحد ممن أنكر على الشيخ ردّ ردًّا علميا.
فلما ظهرت الردود وبينت وأوضحت جهل وعوار الشيخ الذي صفّق له اليهود أنفسهم قبل أتباعه من السلفيين، وكانت دهشتهم به عجيبة، وكادوا يصنعون له التماثيل. لّما تبيّن جهله الفاضح وفهمه المعوج وحقيقة تثبيطه للأمة وخذلان مجاهديها.. لم يجد تلاميذه المتعصبون ردا يستر حرجهم وخجلهم من افتضاح علم شيخهم، الذي تبين أنه علم قاحل قاتم، لا يمكن أبدا أن يُعبّر عن آلام الأمة أو يجسد جراحها، ناهيك عن أمانيها وطموحاتها ومستقبلها، فإذا بهم قد سقط في إدراكهم وعرفوا في قرارة أنفسهم، أن هذا فقه وفقيه لا يخدم إلا الأعداء، ولا يمكّن إلا لبقاء الطغيان.
لقد درسنا الاسلام وعلمناه، ولا يمكن أبدا أن يكون ديننا وتعاليمه بهذا الخزي العجيب...ولكنهم للأسف جرفتهم العصبية العمياء للشيخ الذي يرونه معصوما.
لكن مما أثار دهشتي وحيرني كثيرا في طبيعة بعض العقول وتفكيرها، حينما هيّأ الله لنا أن نردّ على بعض تلامذة الشيخ المتعصبين له، ونظهر لهم بالأدلة والعلم وأقوال العلماء خطأ كاهنهم، إذ بأحدهم يقول بعدما تبين له الدليل والبرهان: يكفي أن الشيخ ألف أربعة كتب في هذا الموضوع.

ضحكت كثيرا جدا؛ فصاحبنا يريد أن يُفهمنا أن كون الشيخ ألّف أربعة كتب في الموضوع؛ فذلك حجة وأقوى الأدلة على صدق دعواه، وأنه أعلم الناس بالموضوع وأحقهم بالحديث فيه، وأنه لا يمكن أن يُخطئ في أمره.

ويبدو أن الشاب المفتون بشيخه لا يعرف طبيعة العلماء المتلونين المؤدلجين، فهو على استعداد أن يُحل الحرام ويحرم الحلال بما يتماشى مع هوى أسياده الذين يأمرونه ويوجهونه.

ولأن لديهم عقيدة فوق عقيدة الإسلام نفسِه هم يعرفونها جيدا، ولا داعي لذكرها.

وانا أتعجب واتساءل: هل معنى أنني ألفت كتابا فذا موضوع ما، أنني أحق الناس بأمره والحديث فيه، وأنني لا أخطئ فيه؟

إن الدكتور علي جمعة له كلام عن ابن تيمية يكاد يرفعه لمراتب النبوة، فلما صار مفتيا وظهرت له مصالح أخرى أخذ هو وفصيله يلعنون الإمام ابن تيمية.

وأنا أقول لهذا الشاب: أولى بشيخك ان يمزق كتبه أو يحرقها أو يبيعها لمحال (الروبابيكيا)؛ فهي كتب منكرة ما أُلّفت إلا لنصرة الباطل على الحق، وأن كاتبها تكلف نفسه بما لا طاقة له، فالرجل كان طبيب أطفال، لم يجهد نفسه وهمته في العلم من جذوره حتى يتأهل لأن يُفتي في مثل هذه المسائل الكبرى التي لا يفطنها إلا عالم قدير جدير.

يمكن للشيخ برهامي أن يتكلم في حكم اللحية والنقاب وتقصير الثياب، فمثله وتياره يفقهون جيدا مثل هذه القضايا، أما ان يتكلم في الجهاد وتحرير الأرض والعرض؛ فسوف تصيبنا نكبة ونكسة إن اتبعنا كلام أمثاله.

وحينما ضج الأمر وتأججت الفضيحة حاول الشيخ برهامي أن يصحح قصده أو يلطّف قوله، ولكنه لا يعلم أن من الأخطاء مالا يغتفر، وأن هذا الخطأ بمثابة الختم الناري الذي يختم به على سمعته واسمه وتاريخه ومذهبه وتياره؛ فالأمة يمكن أن تغفر كل شيء إلا الخيانة أو ما يقاربها.

وختاما، أقول لهذا الشاب وأمثاله: كان الأولى بك أن تتبع الحق وحده وأن تتمثل قول الإمام علي -كرم الله وجهه-: اعرفوا الرجال بالحق، ولا تعرفوا الحق بالرجال.

وتأملوا ما قاله فارس الدعوة الإسلامية، الشيخ المرحوم محمد الغزالي -رحمه الله-:

"علمني ديني ألا أنظر بتهيب إلى من قال، ولكن أنظر بتأمل إلا ما قيل".

هدانا الله وإياكم إلى سواء الصراط

إنه حليق

نقول: إن العالم الفلاني صنع وصنع وحقق للدعوة أكبر المكاسب، وأبلى في سبيلها أعظم البلاء، ونشر العلم في ربوع الدنيا، وكانت أحاديثه وكتبه وفتاويه سببا في هداية آلاف الحائرين وإرشاد ملايين المضللين، ونظل نعدد هذا العظائم، حتى يأتينا غر صغير أهوج ليقول لنا: إنه حلق، أي يريد أن يقول لك: إن كل ما عددته من محاسن الرجل لا قيمة لها لأنه حليق اللحية.

ولا شك أن هذا ظلم كبير، وجور فادح، يعبر عن قصور نظر، وبلادة فهم، وضيق أفق، وانحسار وعي، وهب أن الرجل كان حليقا وكانت الحلاقة ذنبا ومعصية، ألا يرحمه ربه بما قدم وبذل في سبيل دينه ودعوته؟

إن هؤلاء تماما كمن ينظر إلى جبل كبير من الذهب والجوهر، ثم يقول: إنه قائم على الأرض والتراب، أي أنه لا نفاسة له لأنه يلامس الأرض!

أو يعيبون سيوف المسلمين التي هدمت الطواغيت وقهرت أمم الظلم، لأنها لا مقابض لها، حيث كان السلف يلفونها بالخرق والقماش!

او يعيب درعا قوية تقي من مطارق الأعداء، وحدة أنصالهم، لأن بها نقطة صدأ لا تراها العين!

قال أحدهم: إن أي عالم حليق لا أقتنع به، ولا يزن في عقلي جناح بعوضة، وأي قارئ حليق لا أستمع إليه او يبهرني صوته.. وكأن اللحية عنده صارت من أركان الإسلام ودعائمه الثابتة، بل لربما يعدها شرطا أساسا لدخول الجنة أو ولوج النار، وأنا لا أعلم ما هي المحاضن التي آوت هؤلاء الناس فخرجت لنا هذه العقليات الضحلة الآسنة؟!

نحن لا ننكر السنة ولا ننكر وجوب اللحية، ولكن هذا القمع المريع والتجني الباهظ، لا يستقيم مع سماحة ديننا الذي أعذر الناس، ونظر ووازن بين حسناتهم وسيئاتهم، وأعلمنا كتابه أن لنا رب غفور رحيم، وعلمتنا سنته أن الله تعالى غفر لبغي لمجرد أنها سقت كلبا يلهث من شدة العطش، وأعلمتنا كذلك أن رسوله ﷺ قالَ: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوانِ اللهَّ تَعالى مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بلَغَتْ يكْتُبُ اللهَّ لَهُ بهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْم يلْقَاهُ" لقد عملنا ديننا أن نقيم الاعتبار الأعظم لأعمال الإنسان قبل مظاهره وهيأته، لجوهره قبل صورته، لشعوره قبل شعره.

نشر صديقنا الدكتور العسيلي صورة للإمام محمد أبو زهرة وأخرى للشيخ المنشاوي وكتب يقول: "شيخان كريمان فاضلان مبجلان ينتقدهما بعض الغلمان لأنهما حليقان: الإمام/ محمد أبو زهرة والشيخ/ محمد صديق المنشاوي" وإننا

لنقف هنا أمام رجل ما زلت أوابل الحسنات ترسل إليه بعد موته بسبب قراءته العزبة للقرآن، وما زالت آذان المسلمين تتشنف بأجمل صوت تلا كتاب الله وأحكمه، فمن يا ترى يعادل نفسا كنفسه وعملا كعمله؟ ثم انظر إلى هذا الشاهق صاحب العقل العظيم الجبار الإمام أبو زهرة، الذي حمل رسالة الفقه ورتبة الاجتهاد، وكانت له رؤاه التي عز نظيرها في أحكام الإسلام، وبين أيدينا مصنفاته الخالدة التي أفادت الباحثين والمجتهدين من طلاب العلم والحقيقة، وتفسيره القيم في فهمه للقرآن، فمن يعدل في الموازين ما قدم أبو زهرة، ومن أزهرت أعماله كما أزهرت أعمال أبي زهرة؟
كيف نقبل لهذه الجبال الشم أن تناطحها هذه البراغيث؟
تلك إذن قسمة ضيزى.

بشر لا ملائكة

لكم توقفت كثيرًا أمام حادثة الصحابي الجليل أبي محجن الثقفي الذي شرب الخمر وحبسه سعد بن أبي وقاص ومنعه من القتال في معركة القادسية لكن سلمى زوجة سعد، أطلقت سراحه فأبلى بلاءً حسنًا في القتال وعاد ليقيد نفسه، فسامحه سعد وتعهد أبو محجن بترك الخمر بعد ذلك.

لقد اشتعلت نفس الرجل كمدا أن حرمه سعد من القتال وقيده في الأصفاد وهو الفارس الشجاع الذي لا يشق له غبار، وكان في حبسه لو دام خسارة كبيرة لمعركة الإسلام ضد خصومه الفرس.. لقد فكه سعد وأسقط عنه الحد عرفانا ببلائه العظيم.

أمام تلك الحادثة تساءلت: لماذا ينظر البعض إلى النزوات الشخصية نظرة سوداوية، فيمحو عن صاحبها أي فضل وأي امتياز؟ لماذا إذا ذكر فلان أو علان وعرفت عنه بعض النقائص، يكون السقوط حظه في كل شيء فلا يقام له أي فضل، ولا يحمد له أي صنيع.

لماذا نخلط ولا نفصل بين بعض المعايب الشخصية، والنظرة إلى قيمة الشخص فيما يحسنه؟

أتذكر أنه كلما جاءت سيرة الزعيم سعد زغلول وجدت من يقول: كان مضياعا يلعب القمار، وإذا جاءت سيرة الزعيم مصطفى كامل وجدت من يقول: كان يقترض الأموال ولا يردها!

وكأن من يذكرنا بهذه التهم يريد أن يسقط بلاء الرجلين في الدفاع عن الوطن، وزعامتهما الكبيرة في معترك التحرير الوطني، وهل كون هذا الزعيم أو ذاك كانت له أخطاءه الشخصية، ومعايبه النفسية، فهل يكون ذلك سبيلا وشفيعا أن

نسقط معه جهاده وسيرته وبطولته؟ وقد غاب عن وعيهم أننا نتعامل مع بشر لا ملائكة؟

حينما نقول عن أحدهم: كان عظيما، ونشهد له بالبطولة، فإننا لا نقصد بها البطولة المطلقة وعلى كل المستويات العامة والخاصة، وإنما نشهد له بما قدمه من فداء وتضحية وجهد في سبيل القضايا العظيمة التي تصلح بها حياة البشر فكرا وعقلا، وتنهض بها رفعة البلاد.

إن محاولة استدعاء الحياة الخاصة والتصرفات الذاتية المعيبة، خلل كبير في عملية التقويم، وعوج ظاهر في مسار الإنصاف.

بل أذكر كيف كان بعضهم ينتقص من قيمة الشيخ أحمد حسن الباقوري ويقول: إن بناته متبرجات غير محجبات، لقد سقط الرجل من نظره لهذا الصنيع، وأضحى في تصور القائل من العمائم الزائفة وربما المنافقة، ولا أعلم لماذا هذه القسوة في الحكم دون معرفة الحقائق، ومن أدرى هؤلاء المدعين أن الشيخ لم يأمر بناته بالحجاب، ولم يحثهن على نبذ التبرج، ومن يدريه أنه قدم النصح وطالب بالمعروف ولم يقصر في شيء من التربية؟ وهل كان يريح العائبين أن يقهر الشيخ بناته ويجلدهن بالسياط قهرا على فعل الواجب؟

بل ما زلت أتذكر بعض المناضلين السياسيين، وقد أراد خصومه تحطيمه وإسقاط قيمته من أعين الناس، فنشروا صورا

لابنته بالمايوه، وآخر أثبتوا شربه للخمر، وكاتب شهير رصدوا علاقاته النسائية، وفضحوه وجرسوه، بينما الرجل صاحب فكر متميز في قضايا الخير والعدل والحق والاستقلال.

إنني أريد القول: ليس معنى أنني عاصيا أنني أكره ديني وأحرم من الحديث عن سماحته وقيمه، وليس معنى أنني صاحب نزوة أن يحرم علي أن أشارك في مستقبل وطني ويكون لي رأيي الواضح في كل قضايا الحياة.

لقد كان نابليون مدمنا في اتخاذ العشيقات، ومع هذا كان أعظم قائد حربي عرفته أوروبا، بل هو إلى اليوم فخر فرنسا وأكبر رموزها التي تعتز بهم، فهل قام منهم من طعن في سيرته لاتخاذه العشيقات، بل هل قام منهم من ذكر صفاته الشخصية المتدنية التي تتنافى مع قيم الفرسان أصحاب النبل والمروءة؟

يقول شيخنا الغزالي في علل وأدوية: "وقد أُلِّفت عشرات الكتب عن نابليون تنوه بأمجاده وتتواصى بالسكوت عن غدره وشذوذه وخسته. القوم إن رأوا من عظمائهم خيراً أذاعوه وإن رأوا شراً دفنوه"

إنهم قبلوه ورضوا بحسناته وسيئاته، وعرفوا فيه ما أنكرناه نحن من أنه بشر، لا يتطلب منه أن يكون عظيما في كل شيء، ولم يسمحوا لأنفسهم أن يكون تسفله في علاقاته النسائية،

سبيلا لمحو إنجازاته التي جعلت منه عظيم الحرب وسيد المعارك.

وبعض الشيوخ المعاصرين ممن بلغ التصدر في الفتيا والاجتهاد، أحب فتاة جزائرية، هام بها وولع بقربها ثم تزوجها، فقامت عليهم القيامة وكأن الحب حرام، أو كأنه اقترف معرة كالزنا والخمر، فشنعوا على الرجل وحاولوا إظهار نقصه، وفق تصورات أدمغتهم القاصرة، ونسوا أنه بشر، ولم يقل يوما: إنه ملك من الملائكة.

لقد كان شوقي امير الشعراء يعاقر الخمر، وهو مع هذا الذنب اعظم من مدح رسول الله ﷺ في نهج البردة، فهل نمزقها ونعرض عن التغني بها لسلوك صاحبها؟ أو أن نسقطه من عرش الشعر لذنب جناه ولعله تاب منه؟

أذكر أن المتنطعين نشر صورة للشيخ الغزالي في زفاف ابنته على ابن إحسان، وكانت العروس كاشفة عن شعرها فقال: "أي شيخ وابنته بدون حجاب شرعي، على من يضحكون على الناس أم على الله ياربي رحمتك من هذه الامة الباطلة"

فجاءه الرد من فاهم فقيه: "يا عدو الله ألم تعلم أن الأب ليس مسؤول عن أولاده إذا بلغوا؟ أهل عاقب الله نوح بكفر ابنه؟ أو لوط بكفر زوجته؟ في ديننا كل بالغ مسؤول عن نفسه أمام الله، ألم تقرأ يا حمار قوله تعالى: "لا تزر وازرة وزر أخرى"؟

وقد يحسب البعض أننا نريد أن نجمل الخطأ ونبرر له، أو أننا ندافع عن بعض الرموز بلا لوم لما اقترفوه سواء كان برغبتهم أم خارج عن إرادتهم؟ وهذا مالا نقصد أو نريد، فأنا فقط أريد ألا تمنعنا بعض المساوئ من جحود كثير من الحسنات التي كان لها فضلها وأثرها وخيرها في فعل كثير من الرجال، وإذا كانت لأحدهم بعض الهنات فلا يمكن أن نتغاضى عن ضله العميم وما قدمه من حسنات تعجز غيره من اللائمين.!

ترخيص بالفتوى

"كل واحد يلزم داره، الإفتاء للأزهر الشريف بقيادة مولانا الأجل الامام الأكبر الدكتور أحمد الطيب حفظه الله ورعاه وايده بمدده"

كان هذا كلام صديقي الذي أحبه وأقدره ولكني أختلف معه شكلا وموضوعًا، لأن هذا القرار بهذا التعسف جار على حق إسلامي وقيمة دينية تتعلق بعلماء أجلاء لم يتعلموا في أروقة الأزهر، وإنما قدر لهم أن يتشربوا العلم من معين آخر ومدارس مغايرة، لأن العلم ليس حكرا على الأزهر ورجاله وحدهم، وإنما هو فتح يمنحه الله لمن يشاء ويدعوا إليه كل

الناس، ولم يخصص لهم الازهر فقط كقبلة للعلم الشرعي، ولا يقبل منهم أن يتوجهوا لأي قبلة أخرى غيره.!
هذا المنحى وهذا التصور يجب أن يدركه كثير من الناظرين والحاكمين على الأمور، وإني أرى إن كل أزهري يتحمس للقرار بهذه الصورة التعسفية، إنما تطغى عليه روح التعصب المقيت، الذي يعميه عن الرؤية السليمة، فقد رأينا رجالا كبارا نالوا من العلم ما لم ينله علماء الأزهر، وشهد لهم القاصي والداني والعدو قبل الصديق، بالتميز والتفرد في العلم أو التخصص في جانب من جوانبه، حتي وجدنا الأزهر نفسه بجلاله ومقام شيخه ينعون بعضهم حال رحيلهم، ويشيدون بعلمهم وآثارهم.
المتعصبون والطرقيون وأصحاب الأيديولوجيات وحدهم هم الأسعد بهذا القرار، لأنه يخدم مساراتهم الفكرية ويروج لمذاهبهم، حينما تخرس أصوات المنتقدين لهم من المخالفين لأفهامهم، وحينما بات لهم السيطرة القابضة على مفاصل الأزهر وصاروا قادته وزعماءه.
ومن ثم لن يجدوا على الساحة غيرهم، لنشر أفكارهم.
لقد كان من أكبر وأشد الحجج وراء القانون الأخير، هو منع فوضى الإفتاء والتخبط والهوي الذي اتبعه كثير من الفوضويين المستهترين من أصحاب الزيغ والأهواء، وأنا لا

أخالف القانون، بل على العكس، أنا أؤيده تماما وأدعمه وأنادي به، ولكن وفق آليات وطرق متبعة، تضمن حقوق المذاهب والطرق، ولا تجور على حقوق الأئمة والدعاة في كل طريقة ومذهب، متبع معترف به.

نحن اليوم لدينا سلفيون لا يوجد أغلبهم أو لم يتعلموا في صحن الأزهر الشريف، فما ذنبهم أن يحرموا من الفتوى ولديهم قطاع عريض كبير في مصر يتبعهم ويمشي وراء علمائهم؟

لدينا صوفيون احتلوا منابر الأزهر وأرفع المناصب الدينية، ويلعنون قمع مخالفيهم، ليكونوا وحدهم الناطقين باسم الدين، ويريدون لفتاويهم أن تكون سيفا على الجميع حتى من لم يتبع مذهبهم أو يرضى بمسالكهم.!

ثم إن الأزهر نفسه يلام على هذا حينما درّس كل المذاهب ولم يدرس المذهب الحنبلي ويكون له فيه اعتباره الملموس ورجاله الدارسين، حتى نأتي اليوم وقد مثله علماء من غير الأزهر ثم نمنعهم من الفتوى.!

وهنا أقترح، لماذا لا يوجد تصريح بالفتوى يمثل الاعتبارية لهذه التيارات السنية، يوجد لها الفسحة التي تمنحها أن تباشر عملها الدعوي والفقهي والتواصل مع أتباع مدارسها، حتى لا نضيق الأمور ونحتكر الدين؟!

هذا التيار وكل تيار من حقه أن يكون له من يمثله ويعبر عن هوى أصحابه في ضوء العلم الشرعي وميثاق الكتاب والسنة والاعتدال، فلماذا لا يمنح هؤلاء ترخيصا بالفتوى على غرار تصريح الخطابة الذي تمنحه وزارة الأوقاف لكثير من الأئمة غير المعينين شريطة اختبارهم والتأكد من سلامتهم الأمنية والعلمية؟!

ومن العجيب أننا نرى هنا أن القانون الأخير حينما جاء لتقنين الفتوى وسد الطريق على أصحاب الزيغ والشهرة والأهواء، نرى أحد هؤلاء العلماء المصرح لهم بالفتوى، وهو يثير كل يوم غرائب الأقوال وشواذ الأحكام والمفاهيم، ما يجعله حديث الساعة، ولا تمر فترة وجيزة من الأيام حتى يطلع علينا بمفاهيم وأراء صادمة للمألوف والسائد والمقرر من شريعتنا الدينية، ومع هذا لا يوقفه أحد أو يمنعه عن هرفه، بل نجد ما يشايعه ويصفق له ويزعم أنه علم الزمان وحجة المكان ورسول في زمن عقمت فيه السماء عن الرسل، وهو ما يجعلني كذلك أدعو لإيقاف كل من يصرح له بالفتوى إن هو زاغ عن الحق وأمعن في التشتيت وأثار مفاهيم الناس وشككهم في دينهم وأحكامهم وتراثهم.

أنا لا أطالب بحق السلفيين وحدهم وإنما أرجو أن يراعي القانون مختلف التيارات وفق ضوابط وأطر يقررها ويسير في ضوئها.

الليلة الفقهية السوداء

كنا نقرأ قديما عن التعصب المذهبي، وكيف كان يقود أنصاره وأتباعه للعداوة والكره والمقت والبغضاء، كان شيئا عجيبا ما حدث، فالفقه الذي هو علم الدين، أو علم الفهم في الدين، كان في بعض فتراته حينما تجرد من التربية والتقوى، صار أصحابه روادا للجهل، وصارت نفوسهم التي كان يفترض لها أن تتهذب وترتقي، على حالة مذهلة من الشقاق والعراك.

ناهيك عن الأحكام القاسية التي لم يتورعوا أن ينعتوا بها بعضهم بعضًا، فهذا فاسق وهذا مبتدع، وهذا ضال، وربما كافر بالملة، وخارج عن الإسلام.

لم يقتصر الأمر على التراشق اللفظي، وإنما كانت هناك مساحات واسعة، ومواقع مشهودة معلومة للعراك اليدوي، الذي لم يحترم دينا ولم يقدر سابقة، ولم يستح من علم، فكم من أئمة كبار طالهم الأذى بسبب اجتهادهم في المسائل الفقهية،

واختلافهم مع مذاهب أخرى لها أنصار ومريدون، يحمونها ويدافعون عنها بالعنف والقوة، قبل العلم والحجة.
ومن العجب أن تتكرر مثل هذه الصور القديمة في العصر الحديث، ولم العجب؟ فالتقوى إذا غابت وضاقت الصدور، وعم الجهل، وأكلت العصبية المأفونة عقول الناس، يمكن لذات المواقف أن تتكرر وتعيد أيامها الخوالي.
حكى سعادة السفير (شعبان شعيب) في بعض ذكرياته ما حدث في قريته وهو صغير فقال: "كان الشيخ عبد الخالق رحمه الله إمام وخطيب المسجد الغربي لفترة من الزمن، ومنذ حوالي ٦٠ سنة، وفي أول ليلة من رمضان، اقترح أن يلقي درسا بسيطا قبل العشاء عن الصوم، وكانت ليلة ليلاء غاب فيها القمر، فبعد أن بدأ في إلقاء الدرس، إذا بالحاج عبد الحليم رحمه الله يسأله سؤالا غريبا عجيبا، لا أصل له ولا فصل ولا معنى ولا منطق، وهو أن رجلا كان يتسحر شعرية طويلة مسلوقة، ولأنه في عجلة من أمره، كان يبتلع الشعرية بأعوادها السليمة دون مضغها، وفجأة أذن الفجر وعود شعرية نصفه داخل البلعوم ونصفه الثاني يتدلى من فمه..!! فماذا يفعل يا شيخ عبد الخالق يا عالم يا أزهري يا لي بتعطي دروس عن الصيام؟

تعجب الشيخ عبد الخالق ومعظم الحاضرين، وقال له: إن هذا من الصعب حدوثه، فقال له: هو ده اللي حصل، عندك إجابة ولا لأ؟، قال الشيخ عبد الخالق: مادام الأمر كذلك فإنه يمكن للرجل أن يقطع عود الشعرية، ويبتلع النصف الموجود داخل البلعوم ويلفظ النصف الخارج من فمه... قال الحاج عبد الحليم: إن الاجابة غلط، وبكده ممكن تضل الناس بغير علم... فقال الشيخ عبد الخالق: يا سيدي أنا غلطان واذا كان عندك الاجابة قلنا عليها ومنك نستفيد.. قال الحاج عبد الحليم: إن الحل هو أن يبقى الرجل على وضعه هذا طوال اليوم، وأن يظل فاتحا فمه ونصف عود الشعرية في داخل جوفه والثاني متدلي من فمه، ولا يبتلع ريقه حتى أذان المغرب.

علت كثير من أصوات معترضة على هذه الاجابة الشاذة الغريبة، فكيف لأي أنسان أن يتحمل ذلك، في حين علت

أصوات أخرى تؤيد فقه الحاج عبد الحليم، وترى أن هذا هو الحل الأضمن لصحة الصوم، تكهرب الجو بتبادل الشتائم والسباب، ثم بالتشابك بالأيدى بين فقهاء المذهبين الجليلين، وفجأة طار قبقاب خشب صوب فانوس المسجد فهشمه

تهشيما، فساد الظلام وسادت الظلمة والجهالة، وبدأت المعركة الضروس.
وانتهت الليلة الفقهية السوداء بأن تفرق الجميع، وكل منهم يضمد جروحه ويداوي آلامه، وغادر الناس المسجد دون أن
يستمعوا لدرس الشيخ عبد الخالق، ولا صلوا العشاء، ولا صلوا التروايح، وضاعت الفرائض والسنن بسبب التجرؤ على الفتوى في دين الله بغير علم."
نعم ضاعت الفرائض والسنن بسبب الجهل والتعصب، وحرموا من الصلاة، جزاء لهم، فلا يمكن لمثل هذه النفوس أن تقف بعد هذه العداوة والغليان والنفس الجاهلة بين يدي الله تعالى، لقد حاولت أن أبحث في الصورة عن أي شيء إيجابي ألفت إليه، لكن ضحالة العقول، وصغر النفوس، جعلني أتألم من أحوال الناس الذين يتعاركون على الصغائر، ويتشاكسون في التوافه، بينما أعداؤهم يصعدون إلى القمر، ويبنون الحضارة، ويركبون صهوة العلم، وحينما تسيل الدماء لا مشكلة إذن إذا سالت لأي غرض من أغراض الدنيا، ولكن حينما يكون الفقه في دين الله هو منشؤها ومؤجج أوارها، فهذا شيء محزن، نأسف عليه حينما نراه ليضيف إلى أوجاعنا أوجاع، وإلى آلامنا آلام.

وليس العيب في الفقه، ولكنه عيب النفوس التي لم تتفقه.
كثير من طلبة العلم الذين يفتقدون الأدب والاحترام، على استعداد اليوم أن يرتكبوا جرائم ومنكرات، دفاعا عن حكم فقهي تلقوه من شيخهم، الذي صاروا يقدسون أقواله، على حساب العقل الذي فتح منافذ الاجتهاد، فضيقوا واسعا، وحاصروا منفتحا، وملأوا حياتنا بالغل والكره والحقد.

الغيورون ليسوا متشددين

صدر مؤخرا مع الباعة مجلة الهلال في عدد خاص عن مؤسسها جرجي زيدان بمناسبة مرور ١٣٢ عاما على صدور العدد الاول.. لقد اشترك جمع كبير من الكتاب والمصنفين في الكتابة عن جرجي ومدحوا الرجل مدحا عظيما وجعلوا منه أحد بناة النهضة المصرية الحديثة.
وفي ثنايا العدد قرأت مقالا لوالدنا المؤرخ الكبير الدكتور عاصم الدسوقي، والذي أتى فيه بكلام عن جرجي زيدان يستحق أن يكون لنا معه وقفة ونقاشا.
الدكتور عاصم يذكر ان اختيار جرجي لشعار الهلال كان تقديرا للدولة العلية التي يعيش في كنفها، حينما احترم شعارها الإسلامي وتبركا به فجعله عنوان مجلته.

ويرى كذلك أن المتشددين الإسلاميين لم ينظروا إلى قوله الذي كتب فيه: "أن تاريخ الإسلام حلقة موصلة بين الشرق والغرب؛ لأنه بامتداد أصحابه إلى أقصى الشرق وإلى أقصى الغرب تمكنوا من الوصل بينهما، وهو أيضًا حلقة موصلة بين التمدن الغربي القديم، والتمدن الغربي الحديث؛ لأنه حفظ ما توالى على عوامل التمدن الغربي القديم من التغيير أو التحوير في العلوم الفلسفية والطب مما اشتغل به المسلمون في أثناء تمدنهم، ولا سبيل إلى معرفة ذلك إلا بتاريخ الإسلام"

ويرى الدكتور عاصم من خلال هذا الكلام أن جرجي كان حريصا ألا يكتب شيئا يغضب المجتمع الذي يعيش فيه.

يرى الدكتور عاصم احترامه الشديد للمظاهر الإسلامية وعلى رأسها التاريخ الهجري الذي كان يذكره على الدوام

وكان يقول الفتح العثماني بدلا من الغزو العثماني الذي كان يقول به البعض.

وذكر الدكتور عاصم من كلامه قوله بعد ان استغنت الجامعة عنه لكونه مسيحيا: "لا بأس أن ننتقد المسيحية لأن المسيحيين ألفوا نقد ديانتهم، أما المسلمون فيجب أن نتوقاهم لأنهم لم يألفوا النقد".. وذهب المؤرخ الموقر إلى أن هذه المقولة عبارة لها دلالتها على الفرق بين العقل والنقل، وتفسير الكثير من

جمود الفكر عند المتشددين وبالتالي تجمد الفكر في بلادنا وبقائه أسيرا.

والحق أنني بعد إيراد هذه الانطباعات للدكتور عاصم تبين لي أنه ما زال قطاع عريض ومن المثقفين أنفسهم مازال مفتونا بالرجل، ولم يتبين بعد شره المستطير وجنايته العظمى على تاريخنا الإسلامي، كما تبين لي من كل ما أورده الدكتور عاصم أن الرجل كان ذكيا جدا وماكرا إلى درجة كبيره، فقد استطاع أن يلاين الإسلام والمسلمين ويظهر احترام مشاعرهم وشعاراتهم، ويدافع عن اللغة العربية، حتى يطمئنوا إليه وعبر هذا الاطمئنان يستطيع أن يدس السم في الدسم، وكلامي هنا ليس كلاما إنشائيا بل كتبت كثيرا من المقالات التي تفضح جرجي زيدان، ولكني أخص هنا قضية الرمزية التي تشبث بها الدكتور عاصم حينما زعم "أنه قدم الحقائق التاريخية على طريقة السرد المتتابع لما حدث وكأنه يريد أن يقول: هكذا حدث التاريخ فكانت تحرره من الالتزام الصارم بالوقائع، وتمكنه من صياغة الشخصية التي اختارها دون أن يجرؤ أحد على محاسبته على اختياراته وهكذا الأدب الرمزي الذي يلجأ إليه كثير من الروائيين"

وأنت هنا يصيبك الذهول من هذا الكلام، إذا علمت هوية المتكلم، إنه مؤرخ كبير ويفترض أن يكون من أكثر الناس غيرة

على التاريخ وحفظ حقائقه وثوابته، ومع هذا نراه يولي كل هذا الكلام ظهره من أجل تمجيد جرجي زيدان.
فهذا حقيقة مما يثير العجب العجاب.
لقد ارتكب جرجي زيدان كوارث عظيمة في تاريخنا وعمد إلى إفساد انطباع القراء وأفهامهم عن رجال التاريخ وقدواته، بل تعند قتل روح الانتماء لهذا التاريخ والتعصب له، والتفاعل معه على أنه مجرد أحداث مضت لأناس لا علاقة لنا بهم أو رابط يربطنا بهم.
إن الرواية التاريخية في عرف الأدباء والنقاد تستقي معينها من التاريخ وقد وضعوا لها مقاييس نقدية مهمة، لأنها ليست كأي رواية تعتمد على الخيال اعتمادا خالصًا، ومن ثم كان أول شيء يجب مراعاته فيها، أن يسير سردها مراعيًا أحداث التاريخ الحقيقية، فلا يحرف أو يبدل أو يكذب، وإذا كان لابد فيها من بعض الخيال، فإن هذه الضرورة يجب أن تنسجم مع الحقائق التاريخية ولا تغايرها أو تضاد منطوقها، أما إذا جافتها أو خرجت على حقيقتها تحولت إلى رواية تعتمد الكذب والتزييف، وهذا ما فعله جرجي زيدان في رواياته.
ونأتي هنا إلى اعتراض الغيورين على تاريخهم وتراث أمتهم على كتابات جرجي زيدان وتسمية الدكتور عاصم لهم بالمتشددين، ووصف حال جرجي والمعترضين عليه بأنهم كالمتشددين

الذين اعترضوا على الشيخ علي عبد الرازق في كتابه الإسلام وأصول الحكم لمجرد أنه قال: "الإسلام دين لا دولة ورسالة لا حكم"

وأنت هنا تنظر بدهشة إلى كلام الدكتور عاصم وهو يقول هذا اللفظ (لمجرد) وكأن ما ادعاه علي عبد الرازق من هذا الكلام مجرد أمر يسير بسيط ولا يعلم الدكتور عاصم أنه كلام يضاد الثوابت الدينية وينسف الفكرة الإسلامية من أساس، وأن الإسلام دين ودولة كما أقرت الشريعة والقرآن؟!

ثم يستشهد الدكتور عاصم باعتراض المتشددين على كتاب الشعر الجاهلي لمجرد أنه "ذكر أن هذا الشعر لابد أن يكون منتحلا وتمت تنقيته من مظاهر الجاهلية التي كان لابد أن تظهر في الشعر باعتبار أن الشعر مرآة العصر" وأنا سائل ضمير الدكتور عاصم، من أخبره أن هذا هو الذي قاله طه حسين؟ ومن أخبره أن هذا الكلام هو سبب الهجوم عليه ومحاربة كتابه؟

ألا يعلم الدكتور عاصم أن الدكتور طه حسين ذهب إلى تكذيب حديث القرآن عن إبراهيم وإسماعيل، واعتبر أنه ليس دليلا كافيا على وجودهما بالفعل، والكتاب قائم إلى الان عليه أن يراجعه.

ثم إني أسائل الدكتور عاصم وأقول له: من هم هؤلاء المتشددون الذين عناهم بقوله؟
ألا يعلم الدكتور أن شيخ الازهر العلامة الخضر حسين كان على رأس المحاربين للكتاب، وأن هيئة كبار العلماء اعترضت على كتاب عبد الرازق وفصلت صاحبه من الهيئة؟
ألا يعلم الدكتور عاصم قول سعد زغلول زعيم الأمة في طه حسين في قضية الشعر الجاهلي؟
وأنا هنا لا أريد التوسع في ذكر النماذج التي عارضت الكتابين إذ يكفي أن أسرد اسم زعيم ديني وزعيم سياسي، فهل كان هؤلاء يا معالي الدكتور متشددون؟!
وماذا تريد معاليك بكلمة (متشددون) ألا يمكن أن نقول (محافظون)، وفرق كبير بين من يتشدد في دينه ومن يحافظ عليه.
إنني أرى أن الدكتور عاصم الدسوقي قد تجنى كثيرا على الحقيقة من أجل جرجي زيدان وتجميل صورته، وهو التجميل الذي يتمم ويكمل مسيرة الزيف التي بدأها هذا الرجل حينما شوه تاريخ الإسلام، وأساء إلى رموزه العظام.
وأنا أدعو الدكتور عاصم أن يراجع روايات جرجي زيدان ليدرك منها الخطورة الفادحة والتجني السافر على تاريخنا وماضينا، وإلا فماذا ننتظر من رجل صنيعة المستشرقين وتربى

في المدارس الإرسالية التبشيرية وقد اعترف الدكتور عاصم نفسه أن المستشرقين أثروا في فكره، فما بالك برجل تأثر بأكثر الناس كذبا وزيفا وافتراء على تراثنا المجيد.!

لقد شوه جرجي سيرة أبطال الإسلام

ففي "فتاة غسان".. سيرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ورجالات الصدر الأول.. ووصفهم بالبطش، والفتك والنهب..

وفي "أرمانوسة المصرية" شوه حياة عمرو بن العاص.. وأظهر المسلمين سذجاً بسطاء أغبياء..

وفي "عذراء قريش".. شوه سيرة عثمان وعلي وعائشة.. رضي الله عنهم.

وفي "١٧ رمضان".. شوه سيرة خلفاء بني أمية.

وفي "فتح الأندلس".. شوه سيرة طارق بن زياد وموسى بن نصير.

وفي "شارل وعبد الرحمن".. شوه سيرة عبد الرحمن الغافقي.

وفي "أبي مسلم الخراساني".. شوه سيرة المنصور.

وفي "العباسة أخت الرشيد".. شوه سيرة الرشيد.

وفي" الانقلاب العثماني "... شوه سيرة الخليفة السلطان عبد الحميد الثاني

نسب إلى عمر حريق الإسكندرية وشوه سيرته ورد عليه العقاد وصد افتراءه
وهكذا شوه جرجي أيضاً سيرة المعتصم، وأحمد بن طولون، وعبد الرحمن الناصر، والظاهر بيبرس وقطز، ومحمد أحمد المهدي، والخليفة السلطان عبد الحميد الثاني.
يقول الأستاذ شوقي أبو خليل كتابه (جرجي زيدان في الميزان) عن رواياته:
"تعمد فيها التخريب والكذب لأجل تحقير العرب، عن سوء قصد، لا عن جهل"
ويقول الأستاذ أنور الجندي عن رواياته: (أما المجال الذي استطاع جرجي زيدان أن ينفث سمومه فيه بحرية؛ فهو مجال القصص، فقد ألف عدداً من القصص تحت اسم "روايات الإسلام"، دس فيها كثيراً من الدسائس والمؤامرات والأهواء، وحاول إفساد مفهوم الشخصية الإسلامية والبطولة الإسلامية، حيث أساء إساءة بالغة إلى أعلام من أمثال صلاح الدين الأيوبي، هارون الرشيد، الخليفة السلطان عبد الحميد الثاني، عبد الرحمن الناصر، أحمد بن طولون، الأمين والمأمون، عبد الرحمن الداخل، شجرة الدر)
ولعل هذه الشخصيات التي نقلنا عنها هذا الكلام لا تكون محل ترحيب من الدكتور عاصم ويعدها من الشخصيات

المتشددة أو الإرهابية، لكن عليه أن يقرأ تاريخيات جرجي بنفسه ليبصر فيها هذا الافتراء، وليخلع من فهمه ما ذكر عن رمزية الأديب التي تبيح له حتى إن شاء أن يسيء الأدب إلى الذات الإلهية ولا حرج عليه.!

يسبون علم الهداية

أحيانا نُبصر في الفيس بوك بعض الأشخاص القبيحين، تمامًا كما تُبصر أنوفنا تلك الروائح الكريهة النتنة، التي تنبعث من مقالب القمامة وآبار الفضلات.!

عُرضت أمامي صفحة لفتاة يتابعها آلاف الأشخاص، لها جمهور كبير، كلما كتبت أو هلوست أو حتى تقيأت، وجدت من العشرات والمئات من يهللون لغثيانها، وينتشون لقيئها، ويصفقون لغبائها، أردت أن أتصفح بعضًا مما لديها وشيئًا من بضاعتها قبل أن يتبين لي أنه قيئ وعفن، لكني أسفت كثيرًا حينما شاهدت هذه العقول الخربة، وحزنت بشدة لأن فينا وبيننا مثل هذه الضمائر الظالمة الجاهلة المفتئتة.

وكان مما نشرته الفتاة كلاما لها ينفث حقدًا وغلا، ويدل بوضوح كبير على كرهها للدين والمتدينين، ونفورها من كل صوت يقول الله أكبر، أو يدعو الناس لدوحة الإيمان!

كتبت الفتاة تقول:" في المواصلات مشغل السواق شريط لـ (كشك).. الراكبين متمزجين.. واحد منهم عليت معاه الجرعة بقى يتمتم ويبتسم ويهز راسه بالموافقة والإذعان زي عاطف في "العيال كبرت" وهو بيهز راسه مش فاهم حاجة.. ووقت ما يكبر كشك ويهلل أخينا وراه.. التفت لي بابتسامة الدراويش اللزجة المعروفة من باب اني مبسوطة زي المبسوطين خصوصًا وهو شايفني بتمتم انا كمان.. مايعرفش إني بسب والعن فيه وفي اللي شغال وفي اللي مشغله بكل أيمانات الأديان اللي اعرفها"

وليت المشكلة فيما قالته الفتاة، فلربما هي كما قلنا وأشرنا جاهلة أو حاقدة، أو لا وعي لها، ولكن المشكلة الكبيرة في عشرات التعليقات التي أصابتني بالدهشة والذهول من هذا الكم الكبير من الجهلة الذين يبغضون الشيخ، ولو أن هذه الصفحة كانت لنصراني أو يهودي لعذرته ولكنها لمسلمة ومن فيها مسلمين ينبعث منها هذا الكم الكبير من الحقد والغل والكره العميق للتيار المتدين ورموزه، انظر معي لمثل هذه التعليقات وتأمل هذا البغي:

١- طالما حضرتك سمعتي كشك.. يبقى بكرة حتدخلي علينا الأكونت ومعاكي الحزام الناسف وتفرقعينا كلنا مع الهتاف الكلاسيكي (الموت للطواغيت.. إللي هو إحنا طبعا)

٢- ذه بضاعته.. وكان يسوقها.. ويبذل كل مرتخص وغالى حتى يبيعها للجهلة.. المتوكلين العميان.. الاغبياء المستسلمين.. المتأسلمين.. فاقدي الأهلية.. السفهاء.. المحيطون بنا في كل مكان وكل اتجاه كالنمل

٣- عشان بيعرف يخاطب الشعب باللغة اللي بيحبها السخرية و اللسان الطويل و يرمي جوة كلامه كل الزبالات اللي تتخيليه.

٤- بينهم وبين الموسيقى حصام ولا يطربون الا من القبح.

٥- كشك.. مسخ عقول كتير تحت بصر وسمع الأزهر.. وعجبي

٦- كشك ده سمم أدمغة ملايين.. منه لله

٧- كشك هو أبشع فيرس تسبب في موت مصر

٨- ايه ده هو فيه لسه حد بيشغل الشيخ كشك ده!!

٩- لسة حد بيسمع الشيطان ده؟

١٠- هو كان دجال، بس دمه خفيف وكاريزماتيك أنا شخصيا بيضحكني

١١- كشك الأعمى الملعون كان مبيبطلش سخريه وتهكم علي رموز مصر من فنانين ومغنين

١٢- دي كلاب متسلطة على شعبنا ومدعومة من حاكم عميل جاهل لا صله له بمصر

هذه بعض التعليقات الواردة وغيرها كثير من التعليقات النجسة التي طفحت بها عقول نجسة وألسنة نجسة، وطبعا كانت الأخت الواعية رمز التمدن والتنوير ترد على كل ساقط من هؤلاء برد وتعليق أشد سقوطا وقذارة وانحاطا.. انظر مثلا لهذا التعليق وردها عليه

التعليق: (عليه من الله مايستحق كان لا يستحي ويكفي أنه قال إنهم اغتصبوني ف السجن اي كائن هذا)

الرد: (لأ في دي أظنه مُحق، وأظنه تم اغتصابه فعلا، في السجن أو برة السجن دة أكيد تم اغتصابه، أصل دي أقوال ناس انتُهِكَت.)

حينما قام الفتى الغر أسامة الأزهري وأهان الشيخ كشك في تصريح لا يليق وقال عنه: " إنه كان ظاهرة هائلة من الهياج والصياح والتعليق السطحي المبتذل على أمور المجتمع) قامت عليه الدنيا وألزمته حده، وبينت خطأه، وأدرك هو في نفسه أنه خسر جمهورًا كبيرًا لأنه مس شيئا عزيزا في عقول الناس وقلوبهم.

وأنا أتعجب كثيرًا وأقول: ألم يجدوا في تاريخ الرجل ما يشفع له وينجيه من سفههم وشتائمهم وزورهم، ألم يجدوا في بلائه وجهاده وحسن سيرته ما يمدحونه ولو بكلمة واحدة، أو يضيفون له ميزة أمام ما يرون له من جرائم ومفاسد؟! الرجل

الذي عشقته الملايين من أبناء شعبنا والملايين من شعوبنا العربية، وتخطت كلماته الحدود والسدود، وتناقل الناس علمه وهديه، يناله الأذى بهذه الصورة القميئة السفيهة المنحطة السافلة؟ من مجرد حفنة من الحقدة الأغبياء؟

الرجل الذي قضى دهرًا كبيرًا من حياته يدعو إلى الله تعالى وينافح عن دينه ويقول كلمة الحق ويقاوم الظالمين ويرد الملحدين والعلمانيين ويقمع الشيوعيين واللادينيين يوجد اليوم من يتقول عليه هذه الاقاويل الهاوية، هذا الرجل الذي هوته القلوب وكانت كلماته مبعثًا من مباعث الهداية والاستقامة والإصلاح، يأتي اليوم ليجد من يتطاول عليه ويهينه ويسب شخصه وتراثه وتاريخه ويهيل عليه اللعنات والاهانات.

وأمام هذا لا يسعني إلا أن أقول:

ألا إن العفن يقبل بعضه على بعض، والحقارة تأرز إليها أذنابها.

حق السابقة واحترام الكبار

من الامور التي بليت بها الحركة الاسلامية ، وأن خرج منها شباب مستهتر لا يتقن غير تجريح العلماء وأهل السبق والفضل

في الدعوة وأصحاب الجهاد الكبير ، والبلاء العظيم في دين الله تعالى ..إنهم أغيلمة سوء لو قيست علاقاتهم بالإسلام لما ساوت في الميزان جناح بعوضة أمام جهاد الافذاذ الكبار والذين يحبون الاسلام وينطلقون للعمل ولا يلتفتون للغير ..فالوقت لا متسع فيه لمثل هذا الطيش الذي يعرقل المسيرة ويوقف عجلة الدعوة أن تتقدم للأمام ..وما أصدق تعبير الدكتور محمود عمارة رحمه الله فقد كان من الذين يعانون الظلم والتجريح كثيرا حتى دفعه هذا الشعور أن يردد دائما قوله : "إن لحم العلماء في هذا الزمان شهي كلحم العصور .. إذا أكل مرة فلن يصبر الآكل عنه" ومراعاة حق السابقة من الأمور والنقاط المهمة في أدب الدعوة والسمات التي يجب أن يتحلى بها من يتجشمون عناءها ويسيرون في طريقها ويتحملون مسؤوليتها .." فمن كان له فضل سبق في الدعوة إلى الله تعالى وتعليم الناس الخير ، أو كان له بلاءه الحسن في نصرة الدين فلا ينبغي جحود فضله وإهالة التراب على سابقته أو الطعن فيه لفتوره بعد نشاط ، أو ظهور ضعف منه بعد قوة ، أو تفريط بعد استقامة، فإن رصيده من الخير وسابقته في الجهاد تشفع له، وهذا ما قرره الرسول الكريم ﷺ في شأن حاطب بن أبي بلتعة حين ذلت قدمه إلى ما يشبه الخيانة العظمى، حيث كتب إلى مشركي قريش في مكة ، يخبرهم بما أعده النبي صلى الله عليه

وسلم من عدد وعدة لفتح بلدهم ، هذا مع شدة حرصه عليه الصلاة والسلام على سرية التحرك .. هذا ما جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول :دعني يارسول الله أضرب عنقه فقد نافق ، فكان الجواب النبوي الكريم : ما يدريكم لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم.. إن سابقة الرجل وجهاده يوم بدر – يوم الفرقان- جعلت رسول الله ﷺ يقبل منه اعتذاره ويقول لأصحابه عن أهل بدر عامة ما قال)[٣]

(لقد دفع سوء الخلق بعد الأحداث فنالوا من الأئمة الكبار حيث تسمع لأحدهم قوله : مالك لا يعرف حديث الاستفتاح ولا سنة الاستعاذة ولا يدرك خطورة البسملة ، وهو يخرج من الصلاة دون أن يتم التسليمتين ، فهو جاهل بالسنة النبوية ! ونجد حدث آخر يقول : أبو حنيفة لا يرفع يديه قبل الركوع ولا بعده ، ويوصي أتباعه ألا يقرؤوا حرفا من القرآن وراء

[٣] - الصحوة الاسلامية بين الجحود والتطرف – د.يوسف القرضاوي

الامام ، وربما يصلي بعد لمس المرأة ، فهو يصلي بلا وضوء ..إنه هو الآخر جاهل بالإسلام..!)[٤]

ومن المعروف أن الإمام الشافعي وهو أحد مجددي الاسلام، وواضع علم الأصول ، والمحامي المجيد عن السنة النبوية ، ومع ذلك فإن البعض لا يذكرونه إلا بأنه يبيح زواج البنت من الزنى ، ويقترف بدعة القنوت في الفجر ..وتوافه أخرى يذكرونها..!

وبهذا المنطق الصبياني لا يبقى في تاريخ المسلمين رجل موضع ثقة !!

(لقد نبتت في عصرنا هذا نابتة سوء تغمز الأكابر بما تراه مأخذا عليها، وتتعافى على كل مالهم من حسنات)[٥]

(إنك ما عن ترى أحدهم قد أحسن الجمع بين الكلام إلا استطال على منازل الاعلام ، مع العلم أنه ليس له من عدة سوى القلم والدواة وتراهم ينطلقون على موائد العلم والعلماء وماهم منهم في شيء ، فحالهم وحال العلماء كما قيل:

كواو عمرو زائدا * في القوم أو كنون الملحق

---

[٤] - السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث – شيخنا محمد الغزالي

[٥] - علل وأدوية – شيخنا محمد الغزالي

ولبعض الأندلسيين :
نعوذ بالله من أناس تشيخوا قبل أن يشيخوا)[٦]
لابد أن نقيل العثرات فلكل عالم ذلة وهو قبل هذا بشر وليس نبيا معصوما ، أي أنه عرضة للخطأ والصواب والزلل ..يقول الشيخ الغزالي (إنني لا أجعل عيبا ما يغطي مواهب العبقري ثم لحساب من أهدم تاريخنا الأدبي والديني ؟ ولمصلحة من أشتم اليوم علماء لهم في خدمة الإسلام وكبت أعدائه كفاح مقدور ؟
أذكر أن بابا روما الاسبق مات عقب مرض ألم به ، فألف طبيبه الخاص رسالة لا أدري ما فيها عن حياته الخاصة ، فصودرت الرسالة وفصل الطبيب من النقابة ، وانتهت حياته الاجتماعية وقد ألفت عشرات الكتب عن نابليون تنوه بأمجاده وتتواصى بالسكوت عن غدره وشذوذه وخسته ..القوم إن رأوا من عظمائهم خيرا أذاعوه وإن رأوا شرا دفنوه ..أما نحن فمبدعون

[٦] - كلمة حق في الدفاع عن علم الأمة محمد ناصر الدين الألباني –عبد الرازق الشايجي

في تضخيم الآفات إن وجدت ، واختلاقها إن لم يكن لها وجود ، والنتيجة أنه لن يكون لنا تاريخ)[٧]

رفقا بالمتدينين

قرأت مؤخرًا فصلا تحت عنوان (فتنة الدعاة) يلفت كاتبه إلى شيء مهم جدًا عن نظرتنا الخاطئة لكثرين ممن سلكوا طريق التدين، وساروا في ركاب الدعوة يأمرون الناس بالمعروف وينهونهم عن المنكر!

يقول الكاتب: (إن المتدين ليس معصوماً، فهو كغيره من البشر قد يزل، وقد يغفل، فإذا تذكر تاب وآب وأناب، التدين ليس مجموعة قيود وأغلال تقضى على حرية الإنسان كما يصوره من لا يفقهون حقيقة الإسلام، إنما هو سمو بالنفس، طهارة للقلب، مكارم أخلاق)

وفي ضوء هذا الكلام النابه، أرى فعلا في واقع الحياة، أناسًا كثيرين لديهم تصورات خاطئة في رؤيتهم للمتدينين، فهم يريدون هذا المتدين لكي يقبلوا وعظه وإرشاده، أن يكون أقدس من الملائكة وأطهر من النبيين! ونسوا انهم بشر كالبشر،

[٧] - علل وأدوية — شيخنا محمد الغزالي

من الممكن ان يخطئوا ويذنبوا ويأثموا ويتوبوا، وهناك على النقيض أناس يركبهم الشطط من جانب آخر وهم يرفضون الاستماع إلى علماء الدين ودعاته، ويعرضون عن سؤالهم في الدين واستفتائهم في أموره، بحجة أنهم بشر يخطئون ويذنبون وليسوا ملائكة ولا انبياء! فكيف نسألهم في أمور الدين، ونستأمنهم على علاقتنا بالله؟!

وهؤلاء أنظارهم قاصرة غافلة عن معنى التدين الحقيقي، الذي يحاول المرء أن يلتزم في ضوئه بقيم الدين ما استطاع، والله تعالى يعذر فيما لم يستطع، لكن لا يسوقه الجهل هنا أن يتهم العالم أو الداعية بالنفاق والمراء، أو يعرض عنه ظنًا منه أنه لا يليق به أن يكون واعظًا أو ممتطيًا طريق الهداية.. فمهما كانوا مذنبين فهم من أهل الذكر، لأنهم سرعان ما يقبلون على ربهم بدموع غالية تشع ببريق الخشية والندم.

إن الصحابة الكرام كان منهم من يذنب ويخطئ ويسيء ويعصي، بل كان منهم من زنى وشرب الخمر.. ورغم هذا كانوا أعلام الهدى وأئمة التقى، بأيهم نقتدي نهتدي.!

إن الفرق الوحيد بين الأتقياء الأنقياء والعلماء والدعاة وغيرهم من الناس، أنهم دائمًا ما يجدون خشية الله تعالى في قلوبهم، فهم به متصلون، يستمعون دائمًا لندائه في قلوبهم.. أما غيرهم من الناس، فإن الحياة تلهو بهم ويلهون بها، وتصرفهم

عن طريق ربهم كثيرا.. وتتركهم راتعين في مرابض الآثام، مستلذين مستأنسين دون أن تدفعهم نفوسهم للتوبة والإنابة، وهذا ما يجب أن يعيه الناظرون أو العائبون لمن يخطئ من أهل الله.

وهناك أناس يفرحون لمعصية الدعاة والعلماء، لأن عصيانهم يرضي شعورهم بالنقص وتقصيرهم في جنب خالقهم سبحانه، وهؤلاء أصحاب أنفس شريرة لا تقبل الخير للناس وتستاء لعافيتهم من المصائب.!

في هذا الإطار يجب أن تكون نظرتنا وتقييمنا للأمور، أما الذين يتاجرون بالدين من علماء النفاق ودعاة الرياء، فهؤلاء لا نتحدث عنهم، ولا نلتمس لهم عذرًا، لأنهم سرعان ما يفتضح أمرهم وينكشف نفاقهم، ولا يمكن أبدًا أن نطالب الناس أن يترفقوا بهم في ظنونهم ونظرتهم، لأنهم يضرون بالدين أكثر مما يصلحون، إن كانوا يصلحون.. لكننا نريد أن تكون نظرتنا صائبة متوازنة عاقلة، تدرك كيف تسير الامور؟ وتدرك معنى الإنسان، وتدرك أبعاد التدين في النفوس.

وإذا كنا نطالب الناس أن يكونوا منصفين في نظرتهم للعلماء والدعاة، فإن لنا وصية أخرى للعماء في نظرتهم للناس.

نعم لقد وقف هذا الداعية الذي كان يحاضرنا يومًا وهو مقطب الجبين عابس الوجه صارم الملامح، يابس النظرات

جاف الحديث، كانت هيأته شبيهة بأرض بور، حرمت الماء فاعترتها الشقوق في كل مكان، وصارت رمزًا للجدب والوحشة المفزعة.!

بعض الأغرار ممن يسلكون طريق التدين، يخاصمون الضحكة ويعادون المزحة، ويتصورون أن الابتسامة تفريط والنكتة تمييع، وأن الدين والتدين يحتم على صاحبهما نوعًا من الجدية المفرطة، التي تجعل من انفراجة الوجه معصية، تذهب بالتزامه وتعصف بتقواه.!

ربما كان في تاريخنا من أهل التدين من كانوا لا يضحكون، ولم يرد عنهم أنهم مزحوا يوما أو نكتوا، لكن ربما كان لهؤلاء عذر في حياتهم يمنعهم من ذلك، كأن كان منهم مثلا من يحمل هموم الأمة كعمر أو صلاح الدين الذي قال حينما سئل لماذا لا تضحك؟ فقال: كيف أضحك والقدس في يد الصليبيين؟!

نعم لهم العذر.. ولكن حالهم هذا ليس هو الأصل ولا ينبني عليه، ولا يصير هو السمت الذي أراده الدين ورسمه للمؤمنين به.

وبعض القوم وهو حال كثير من أهل العصر، يلجأ للضحك والنكتة ليفرج عن همه وكربه وضيقه، وبعضهم يلجأ إليه هربًا من مسؤوليته والقيام بدوره وواجبه وتحديه للظلم والخطأ، وتمويها لما بُلي به من جبن وخوف.

بل هل لك أن تتصور أن هذا الظن الغالب، والذي ظهر به بعض المتدينين، قد أجبر قوما أن ينفروا من التدين وطريقه وأهله، بحجة أنهم لا يعرفون المرح والمذاح والضحك والنكت والطرائف؟!

وإذا حدثت أحدهم قال لك: كان النبي متواصل الأحزان والله تعالى يقول: لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين.!

وحديث (كثرة الضحك تميت القلب) وهو إشارة إلا أن الإسراف منه مكروه، فلا تكون حياتنا كلها هزر وتهريج حتى في مواطن الجد، لكنه لا يمكن أبدًا أن يكون نهيًا عن الضحك والمرح والتبسم، الذي يعد فطرة إنسانية ومن خصائص البشرية، ومن صادرها فقد صادر الفطرة التي أقرها الإسلام..

وأين هؤلاء من قوله صلى الله عليه وسلم : (تبسُّمك في وجه أخيك صدقةٌ) ونوه القرآن أنه كان ديدن الأنبياء والصالحين قال تعالى: (فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ) وقال أيضا: (فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا)

بل هل تدرك أن العلمُ أثبت أن الضحكَ مُقوٍّ للجهازِ المناعي، ومعالجٌ للأمراضِ النفسية، ومجددٌ للنشاطِ، ومنبِّه لخلايا العقل.

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: "مزح رسول الله ﷺ فصار المُزاحُ سُنة، وكان يمزحُ فلا يقولُ إلا حقًّا"، وكذلك

قال علي بن أبى طالبٍ - رضي الله عنه -: "روِّحوا القلوبَ، واطلُبوا لها طرفَ الحكَمة؛ فإنها تملُّ كما تملُّ الأبدانُ".
نحن ندعو إلى التوازن في حياة الإنسان، أما صورة المقطبين فنرفضها ونثور على أصحابها، الذين يحاولون أن يوهمونا أن طبائعهم المعقدة الجافة هي الدين الحقيقي وصورة المتدينين الصادقين

تفهيم من لا يفهم

سئل سيدنا علي رضي الله عنه ما أصعب شيء عليك يا إمام؟
قال: تفهيم من لا يفهم.
عايز تفهم تعالى بأه ادرس عندنا حنفهمك من أولها لآخرها، لكن في التلفزيون وعلى عينك ياتاجر وعاوزني أفهمك..طيب نفهم إيه.. طيب انت حات٠ جفهم ولا مش حاتفهم؟
طيب البخاري كتاب الأم، فاهم يعني ايه كتاب الأم على نسخة ابن مالك، ودي النسخة اليونانية اللي قرئت على ابن مالك
ولا يعرف ابن مالك ولا ابن عمر.
طيب خلاص ماشي ملكش دعوة بينا بأه زهقتنا"

لم يكن هذا الكلام كلامي.. وإنما كلام مستل من حديث مرئي شاهدته اليوم للشيخ الدكتور علي جمعة، ويبدو أن الشيخ يدافع عن نفسه أمام من يستنكر عليه أقواله وفتاويه المثيرة للجدل، والتي خالفت طبيعة ومنهج الإسلام وثوابته في الفترة الأخيرة، وأراه والله أعلم لن يكف أبدا عن هذه الطريقة وهذا الأسلوب ما بقي حيا... لأنه قد صار مهما جدا لديه أن يظل حديث الناس وشغلهم الشاغل خاصة بعد أن فقد منصبة مفتيا للديار المصرية، ومعنى أن يترك المرء منصبه، أي أنه يضمر وينتهي ويفنى، ولا تعود الأضواء أن تسلط بريقها عليه.

نعم انظر للشيخ علي جمعه وقت أن كان مفتيا، فتجده معتدلا منضبطا متزنا، ليظهر في صورة مغايرة لما هو عليها اليوم، فلم يكن يعمد إلى الفرقعات والصدمات الاعلامية.

الشيخ علي جمعة يتهم مخالفيه بالجهل وعدم الفهم، وقال لهم ملوحا: "عاوز تفهم تعالى عندنا بأه نفهمك، إنما على التلفزيون وعلى عينك يا تاجر؟!"

وهذه عنجهية علمية مذمومة مرفوضة لا تتناسب وتواضع العلماء.

أي أن التلفاز حسب فهمه وكلامه لا يصح ولا يجوز ان يكون منصة للفهم ومنبرا للتعليم والتفهيم.

والحق يا شيخنا أن كلامك قد يكون لك فيه كل الحق، لو كان اللوم عليك من العامة والجهلاء.. لكننا يا شيخ نجد منك نفس الجهد وذات البلاء، وقد درسنا وتعلمنا في الأزهر وقرأنا الشروح والمتون ودرسنا علم الرواية والدراية، ولا نجدك اليوم لا تقول إلا أشياء غريبة ليست من دين الله وهديه في شيء.

مشكلة الشيخ علي جمعة أنه ظهر على شاشة كان يظهر عليها أماجد العلماء الذين كما أراهم لا يساوي نصف مقامهم او ربعه أو ثمنه في الوقت الذي ينعتونه بالمجدد وتلك آبدة عظيمة.

كنا نستمع قديما الى الشيخ الشعرواي والغزالي وطنطاوي وعبدالحليم محمود وعطية صقر والراوي والقيعي والشرباصي وعمارة وابن بدران والطيب النجار وشلتوت والسعدي فرهود.. وكلهم كنا نفهم حديثهم وقولهم ولم ننكر عليهم أي شيء او نتحفظ عليه.

حتى الشيخ الدكتور أحمد عمر هاشم الذي هو على نفس المنهج الصوفي، الذي يدعيه علي جمعة، لم نر منه ما يستعجب فهمه أو يرتاب فيه ظنه...

ما معنى أن يختلف كل هؤلاء عنك، هل العيب فيهم أم فيك أنت.؟

اعلم رحمك الله أن الإسلام دين الفهم والبيان وليس دين الغموض والتعمية.. يقول صلى الله عليه وسلم: الحلال بين والحرام بين.

ووصف الله سبحانه كتابه بقوله: كتاب مبين.

أي أن البيان صفحة الإسلام.

أعلم جيدا أن هناك أشياء لا تقال ولا تذكر ولا تدركها عقول العوم، وإذا حدث مثل هذا فاللوم لا يوجه إلى المستمعين قبل أن يلام المتحدث، الذي لا يعرف ما يقال ومالا يقال، وليس لديه دراية بفقه الدعوة والحديث عن الإسلام.

يقول القاسمي من تقلد التدريس وليس له بأهل حق على الامام أن يعذره.

وأرى وكلي يقين أن حديثك اليوم وأنت تجد حولك من يروج لك أنك شيخ الاسلام وإمام الهدى ومجدد القرن، يصرف الناس عن صحيح الدين، ويشككهم في الثوابت، ويضرب معتقدهم في الاصول، وليس في الحديث الان متسع لنقاش ذلك ورصده.

بصقة على وجه داعية

أنكر دائمًا تلك الطريقة التي تتبعها جماعات التبليغ والدعوة، لكنني لا شك ممن يعجبون بصدقهم وصفاء روحهم وسلامة صدورهم.

وإنكاري لهم مجرد إنكار على الإجراءات، لكنها في النهاية صورة من الدعوة التي نحن اليوم بأمس الحاجة إليها بكل صورة.

القوم من أبهى ما يميزهم أنهم ينأون بأنفسهم على الخلافات والصراعات ويعيشون لله، ويلزمون سنة نبيه، وقد تكون هذه الميزة عيبا في نظر آخرين، الذين يتصورون الدعوة إلى الله بصورة أشمل.

لكنهم في تقيمي أكثر ورعًا والتزامًا ومعرفة بالله وشعورًا بالروحانية، أكثر من الصوفية الذين يدعون أنهم أرباب الولاية وأهل الوصل الإلاهي.

الأديبة (مروة الجارحي) حينما علقت على ما كتبناه في مقالنا الهجومي على سلمان رشدي، كتبت بكل صفاء دون أن تعرف الخلفية الكافية عن جرائم المؤلف، فتحدثت عن الرفق واللين في الدعوة، ولو قدر أنه كان من الكفار فلماذا لا ندعوه ونخاطبه باللين، وأخذت تشرد بنا في عالم آخر، عالم مفعم

بالتسامح والرفق واللين الذي يجب على كل مسلم حيال كل مخالف.
ثم لم تكتف بهذا بل عرجت على ما علمها والدها من أدب الدعوة في حوار الخصوم والتعامل معهم وتحمل أذاهم، وتقبل شرورهم.
كانت تتحدث عن والدها الذي بهرها بحسن خلقه، وكان وما زال، تنهل وإخوتها من معين فضائله وعلمه.. لم يكن هذا الأدب في نظر الكاتبة مجرد أب ككل الآباء ولكنه كان هرما شامخا تعتز به وتحبه، وبدا واضحا هذا الاختلاف فيها عن غيرها من فتيات جيلها ، حينما في كل مناسبة نلحظ قولها: علمني أبي.!
يمكن لكل الفتيات والكاتبات أن يتذكرن الأب ولا يعدوا القلم في كل مناسبة من ذكرى رحيله، إلا أن تكتب وتقول (رحم الله بابا) لكن صاحبتنا لها مذاق آخر في الحديث عن والدها الداعية.
وحق لها ذلك.. فالرجل من شيوخ جماعة التبليغ والدعوة الطيبين الأنقياء الذين يؤمنون بالخروج في سبيل الله، وحول هذا الخروج كان الموقف المدهش الذي الذي حكاه ذلك الوالد عن أحد أصدقائه من الشيوخ الذين خرجوا لأبواب الناس يدعونهم إلى الهداية.

وتعلمنا منها ومما رواه والدها كيف يكون الداعية الحق؟ بل علمنا معنى أن يكون الداعية داعية؟ وإذا كان أساتذة الأزهر يقفون في كلية أصول الدين يعلمون الطلبة دروس الدعوة، فإن قصة هذا الداعية التي نقلها والد الصديقة، وبما كان من أخلاقه وروحه ونفسه العالية، كانت أعظم تأثيرا من كل هذه الدروس والتحليلات.

لقد كان درسا واقعا تشبه فيه بنبينا الكريم في تحمل الأذى، أو قريبا منه.

فماذا حدث، قال الوالد: طرق صديق لنا في إحدى رحلاتنا الدعوية، باب رجل يدعوه للحضور إلى المسجد والاستماع إلى دروس الهداية، فخرج الرجل، فلما رأى أصحاب اللحى، وسمع كلامهم، اعتلاه غضب هائل، وثورة صاخبة، وصار الشرر يقفز من عينية، فإذا به يسب الشيخ، وينهره بأقزع الألفاظ النابية السافلة، ولم يكتف هذا الرجل بما فعل، فإذا به يخرج من فمه الكريه، بصقة كبيرة الحجم والوزن، ويقذف بها في وجه الشيخ، حتى عدت على وجهه وصدره، بل إنها من وفرة مائها النتن، كادت أن تشمل وتتوزع قطراتها على كل جسده.

وهنا...

تأمل نفسك لو صنع أحدهم معك مثل هذا الصنيع، كيف يكون رد فعلك.
لاشك أن لو كنت من العصبيين، لنسيت أمر الدعوة والهداية، وقفزت على الرجل لبرحه ضربا.
لكن أتعلمون ماذا فعل الشيخ الداعية؟
لقد وضع يده على هذا البصاق ومسح به كل جسده ثم رفع يده إلى فمه وأخذ يقبلها حتى تمس شفتيه أثر البصاق المحموم.
ثم كانت قولته للرجل: جزاك الله خيرا.
ورحل الشيخ وترك الرجل خلفه ينعم في بيته، ولم يبتعد الشيخ عن باب الرجل إلا بضعة أمتار وبالتحديد مسافة أربعة أمتار، فإذا به يفاجأ بالرجل يجري وراءه ويقف أمامه ويبكي، وركع أمامه على ركبتيه، نادما على فعلته، ربت الشيخ على كتفيه ورأسه وقبل اعتذاره، ولكن هذه البصقة كان لها فعل آخر إذ حولت مسار الرجل ليصير بعدها من أعبد الناس ، بل صار في مسار الدعوة إلى الله رفيقا للشيخ الداعية.
هل تشعر هنا أيها القارئ أنني أخطأت حينما نسبت هذا التحول وهذه الهداية لبصقة الرجل؟
تخيل .. أنا نفسي شعرت بذلك الآن، فالسبب الحقيقي في الهداية، كانت سماحة الشيخ الداعية، وليست بصقة الرجل على من طرق بابه.

خيبة الله على عقولكم

صحا الشيخ الأزهري من نومه على فاجعة هزت العالم الإسلامي وقام مهرولا إلى زيه الأزهري يمتطيه، وأسرع نحو الباب، فقابلته زوجته: إلى أين هذه الساعة من صباح؟

نظر إليها الشيخ نظرة امتعاض واحتقار، وقال لها: ويحك يا امرأة، يا لك من زوجة لعينة مستهترة مغيبة، ألا تعلمين ما حدث؟

ألا تعلمين الفاجعة التي ألمت بمصر؟

ألا تعلمين المصيبة التي حلت بالوطن؟

دعيني وشأني حتى أذهب مسرعا لأقدم واجب العزاء والمواساة؟

تقدم الشيخ نحو الباب بلهفة المفطور، ثم تذكر شيئا لفت باله واسترعى انتباهه في الزوجة التي أغضبته بجهلها، فعاد إليها مسرعا وفتح الباب ونظر إليها مع فتاتها، وقال: لعنة الله عليكما كيف لا تتشحان بالسواد فتعبران به عن حزنكما وانفطار قلبيكما، ألهذا الحد صدئت قلوبكما، وصرتما لا تعبآن بمصاب وخطب؟!

إن المرء ليضيع وقته في نصحكما فقلبيكما لا فائدة منهما ولا نفع في نصحكما.

أسرعت الأم وابنتها لترتدي السواد وأخذت تتساءل ماذا حدث وماذا جرى في الوطن مصر؟
هل انهدم الهرم؟
هل سقطت اذن ابو الهول؟
هل احترق تراث أم كلثوم؟
هل انفجر برج القاهرة؟
هل ضربوا غزة بقنبلة نووية؟
ماذا جرى يا بنيتي أسرعي إذن وافتحي التلفاز لعلنا نسمع الخبر الذي أفجع أباك وجعله يهرول للعزاء.
فتحت الفتاة التلفاز، وأخذت تقلب القنوات، قناة تلو قناة فلم تجد أي شيء.
قالت الأم عجبا فلماذا خرج الرجل بهذه اللهفة؟
تعالي بنيتي فافتحي الانترنت وقلبي في هاتفك، فبعض الأخبار يعرضها الانترنت قبل عرضها في الفضائيات.
أمسكت الفتاة وأخذت تقلب في أخبار (نبض) خبرا بعد خبر لم تجد أي شيء، يستحق أن يسمى بمصيبة وفاجعة، وفجأة وهي تقلب وجدت نبأ عزاء باسم والدها الشيخ الأزهري وكان نصه كما يلي:
(الشيخ مظهر شاهين يواسي خالد الصاوي في وفاة كلبه.. أدعو الله أن يربط على قلبه ويلهمه الصبر والسلوان)

أدركت المرأة وقتها أن زوجها قد أصابته نوبة الجنون التي تواتيه كل عام، وأنه لم يداوم على العلاج الذي قرره الأطباء، فانحرف تفكيره وضل تصرفه، وأتى بالعجائب.
وعذرت الزوجة زوجها بعد أن تبين لها حقيقة الأمر، ولكنها تمنت أن يفهم الناس الحقيقة فلا ينصبون باللوم على زوجها.
وإلى هنا تنتهي القصة الأدبية الخيالية داخل البيت.
أما في الخارج فكان ما كان من عجب عجاب فريق من السذج يسارعون لتأييد الشيخ بادعاء أن فعله من باب الرحمة بالحيوان والرسول الكريم ﷺ كان رحيمًا بالحيوان، والإسلام حض على الرحمة بالحيوان، وإن كل منكر للتعزية يجافي طبيعة الإسلام الرحيمة ويؤصل للقسوة التي تنفر الناس من دين الله.
والحق أنني لا أعلم بأي منطق وبأي شكل وبأي عقل وبأي غباء يسير أمثال هؤلاء الناس ويحكمون ويقومون الأمور، أمام هذه المهزلة والمسخرة وهذا العَتَه والبَله.
كلب يموت فيهتم له صاحبه ويحزن فيقوم له شيخ أزهري معمم يعزيه، ثم يقول له داعيا: أسأل الله أن يربط على قلبه؟
يربط؟.. يربط؟
ربط الله عنقك بلجام حمار.

أإلى هذا الحد وصل فهمنا ونظرنا في عصر الميوعة والخلاعة والفتن.؟ ممثل أهوج لا يعيش في الدنيا إلا لكلب، يداعبه ويكسوه ويروح عنه ويقيم له رحلات وحفلات ويذهب به إلى محلات الملابس لتكسوه بأحسن الثياب.. ثم يقوم شيخ أزهري يعزيه؟

هل حدث مثل ذلك في التاريخ أو قرأنا عن مثله؟

ربما يقول البعض لقد واسى النبي صلى الله عليه وسلم طفلا في عصفوره الذي مات؟

ولكن هذا طفل وله عقل طفل وهم طفل ومنطق طفل، ولهذا عطف عليه الرسول الكريم ﷺ، أما أن يكون رجل ينتظر منه أن يكون على منطق الكبار وفعل الكبار وهمة الكبار، فإن الأمر شائن مريب.

كثير من الأدباء والمفكرين كانت لهم قطط وكلاب يربونها ويحزنون عليها ومنهم من رثاه في معرض موته، كالعقاد وسيد قطب مثلا، لكن لم يحدث أن قام شيخ ليعزي الأديب في موت قطه، لأنها تصير أضحوكة وطريفة من طرائف الزمان، ومن المحزن أن تصدر من شيخ عرف بين الناس بأنه وصولي انتهازي..

يحدث هذا في الوقت الذي ينحر فيه الآلاف من المسلمين الأبرياء في فلسطين، فلم يتحرك ساكن الشيخ الرقيق العطوف

ولم يتلفظ بعزاء ولم يقم بمواساه، ليتحرك قلبه فقط في النازلة العظيمة المهولة حينما مات كلب الفنان.

الشيخ الخبيث عرف وعلم أنه وقع في المحظور، فأخذ يدير المعركة بخبث ودهاء، مستغلا جهل العامة، فنقل الناس إلى الحديث عن الرحمة بالحيوان، وعرج على الأوهام التي ما زالت تعشش في أفقه ووعيه المريض، بأن الذين يهاجمونه هم إخوان أو داعشيون أو جهلاء بقيم الإسلام.. ومثله هو الذي لا يفهم معنى الإسلام ولا يعي ما عليه قيم وتعاليم.. حينما يفرط في حق الإنسان، ويقيم حق الكلاب.!

لأن الرجل الذي يتحرك قلبه لكلب مات، ولا يتحرك لآلاف الأبرياء في فلسطين، لهو قلب يمتلئ بالنفاق والفجور والضلال والعبث.

أتذكر نفس هذا الرجل الذي يلقبونه بالشيخ يوم أن خلع عمامته وتبرأ من جبته، وقدموه في الفضائيات كمذيع يقدم البرامج، ولكنه فشل فشلا ذريعا، وكان من ضمن حلقاته التي قدم فيها الفنانة إلهام شاهين، المرأة التي تتفنن في تعرية جسدها، وتقحم نفسها بتصريحات عبثية تمس المعتقد والتعاليم الدينية بسوء، وهنا يتجاسر المذيع البطل ليعلن على الملأ: إنك يا أستاذة إلهام أشرف وأعلى وأعظم من كل من انتقدوك.

لا أعلم لماذا أتخيل الشيخ الشعراوي على هيبته وعلمه ووقاره في موضع الشيخ مظهر شاهين؟
هل لو فعل الشيخ الشعراوي مثل هذا الصنيع أكان يكون مقبولا أو ملائما؟
بعض الناس يتصور أننا ننكر الرحمة بالحيوان وذلك لا يكون أبدا؟
وإنما ننكر الميوعة والمهازل والمساخر حينما يهل علينا الوقت الذي نجعل التعزية في وفاة كلب.!
وما الضير لو مات كلب، وما الضير لو حزن صاحبه؟ هل يستحق ذلك أن نعزيه أو نقيم له سرادق مواساه؟
وتنتشر مثل هذه الاخبار والأنباء في المجتمع فيتعود على الخنوثة والميوعة، وربما يسارع الناس في اقتناء الكلاب وحبها ومعاشرتها وإقامة سرادقات العزاء لها حين موتها، ويهب الناس من كل فج وقطر ليقدموا واجب العزاء في الكلب الذي مات، لأنها بدعة الشيخ مظهر، الذي يبهره عالم الفنانين ويحاول التقرب إليهم بأي صورة وأي طريقة.
الشيخ خالد الجندي على طريقة صاحبة مظهر ومن شاكلته وقد استطاع أن يعبر عن الغاية من فعل أخيه مظهر دون أن يدري، فالقصة ليست قصة حنان على الحيوان أو رحمة وإنما كانت على حسب تعبير الشيخ خالد بقوله:

دي حاجة عظيمة جدا عجبتني في الشيخ مظهر شاهين.. عمل موقف.. الحقيقة موقف ملفت للنظر والموقف ده الحقيقة يعني تقريبا أنا في حياتي مشفتش زيه قبل كده. هو دا يعتبر انفراد للدكتور مظهر شاهين.”

انفراد... وملفت للنظر

بهذه المعاني وهذه التعبيرات تستطيع بكل وضوح أن تفهم طبيعة هؤلاء الناس الذين يسارعون إلى الأضواء على حساب القيم والدين والمنطق والمعقول، المهم أن يفتعلوا المواقف الملفتة المثيرة التي تجعل منهم نجوم الفضاء وتجري ذكرهم على كل لسان.

وكلمة أخيرة إلى الذين يدافعون عن حقوق الحيوان..: خيبة الله عليكم وأنت تفتنون بشيخ لم يقدم قلبه الحنون يوما دمعة لشهيد فلسطيني، في اليوم الذي يقدم فيه عزاءه للكلب.

خيبة الله على أفهامكم وعقولكم.

ولله در الدكتور حسن عبدالهادي عيد العسيلي في قوله:

شَيْخٌ يُعَزِّي في مَنِيَّةِ كَلْبَةٍ * والناسُ تُقْتَلُ في شَوَارِعِ غَزَّةِ

وليعذرني الناس أنني أتكلم في مثل هذا الأمر فلقد دهشت من سطحية العقول ونقد السطحيين.

خناجر الماضي

اليوم تحديدًا وعلى صفحات بعض الأصدقاء، رأيت تشبثا كبيرًا بالماضي، وتعييرًا فجًا لأصحابه بما سلف لهم من أخطاء أو آراء أو مواقف.

إنهم يستوحون ويؤمنون بكلمات (نجيب محفوظ) ويطبقونها عمليا حينما قال: (الماضي الذي يتوارى بمكر أحيانا كاللص، ولكنه لا يموت، ثم يبعث بغير دعوة ولا رغبة)

لقد قام أحدهم ونشر مقالا قديما في صحيفة الدستور للأستاذ (محمد القدوسي)، تحت عنوان (مصر المغسولة بعطر عبد الناصر) وقال عنه معلقًا: (يا ريت اللي يقابل الأستاذ محمد القدوسي في تركيا ولا قطر يبقى يفكره بالمقال ده)

وكم كنت أتمنى أن أقرأ المقال، لكن صورته باهتة، وخطه غير واضح، ولا يظهر منه غير العنوان وصورة عبد الناصر، ولكن غرض الصديق كما يبدو من كلماته، أنه يريد أن يظهر القدوسي بأنه منافق لا مبادئ له، ويفعل اليوم ما كان ينكره بالأمس، أو أنه كان يطبل للظالمين، ويسبح بحمد الديكتاتورية، أو شيء من هذا القبيل.. تماما كما فعل بعض الأصدقاء، حينما تحدثت عن كتاب (ثورة يوليو الأمريكية) للراحل الكبير (محمد جلال كشك) ، فأسرع وبحث في بطون الصحف، ليناولني مقالا قديما لجلال كشك يُثني على الحقبة الناصرية، ويمجد زعيمها.

وأريد أن أقول:
إن المفكر يمكن أن يكون له رأيان، قديم حديث، لكنه نادرا ما يكون له ثلاثة آراء، هنا فقط ومع التغيرات الثلاثة يمكن لك أن تتهمه بالنفاق والتريب و قلة الاتزان والتشكيك في مصداقيته وكلمته ومبادئه. أما أن يكون على مبدأ ثم يخالفه في الغد، فما يمنع أن يكون قد اتبع الحق بعد أن تكشف له رسوب الضلال، وأوحال ما كان غارقا فيه من أوهام وضحالات.؟
بعض هؤلاء الناس أخشى أن يطلع علينا يوما وقد جمع أحدهم بعضا من الحجارة والتماثيل ليقول لنا هذه الحجارة والتماثيل التي كان يعبدها عمر بن الخطاب أمير المؤمنين وزعيم الموحدين، يا من ترفعونه للسماء وتباهون به الدنيا في عدله وخوفه من الله...لقد كان من عُباد الأحجار.!!
نعم لا أتعجب أن يخرج أحدهم ليقول ذلك، لأننا في زمن أصبنا فيه بعلل مزمنة في الفهم والوعي والادراك.
لقد كان جلال كشك في باكر حياته ماركسيا ثم هداه الله، وكذلك الدكتور محمد عمارة كان ماركسيا ثم صار بعد من أعظم مفكري الاسلام والمنافحين عنه حتى أن شيخنا الغزالي قال عنه: محمد عمارة قلعة من قلاع الاسلام في القاهرة، وكذلك دكتور مصطفى محمود كان من الملحدين حسبما قيل عنه لكن الله تعالى كتب له الهداية..

واستطاع هؤلاء جميعا أن يقدموا لفكرهم الجديد إضافات وإنجازات ملموسة ومشرفة، فهل نردها لأنهم من قبل كانوا من أعدائها؟

لماذا لا نستر هذا التاريخ الذي قد يشوش على أصحابه ونخفيه، حتى تظل صفحتهم مضيئة بواقعهم المشرق؟ أم أننا نصر أن نهدم كل خير وكل أمل.!

ولكن ربما لهؤلاء الأصدقاء بعض العذر لقلة ثقافتهم أو لباعهم القصير في القراءة والمعرفة، لكن المفجع فعلا حينما تطالعك صفحة الكاتب الكبير الأستاذ (محمود سلطان) وقد نقل مقالا لوقعة قديمة للشيخ الشعراوي في مجلس الشعب حينما كان وزيرا للأوقاف، وجرت بينه وبين النائب عاشور مشادة كلامية، حيث قال الشعراوي عن السادات: " والذى نفسى بيده، لو كان لى فى الأمر شىء لحكمت للرجل الذى رفعنا تلك الرفعة، وانتشلنا إلى القمة، ألا يُسأل عما يفعل»- مشيراً إلى الآية" لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ "، فصفقت الأغلبية، إلا أن هذا الكلام لم يُعجب الشيخ عاشور نائب الوفد، فصاح فى وجه «الشعراوى» قائلاً «اتقِ الله يا رجل، اتق الله، مفيش حد فوق المساءلة، يجب أن ترعى الله فى كلامك».

ورد عليه الشيخ الشعراوي بغضب وتجهم: «اجلس، اجلس، أنا أعرف الله أكثر منك وخيراً عنك»

المهم أن الأستاذ سلطان ذكر في نهاية المقال هذا الكلام المنقول والذي طبعا يعد نقله له تأييدا له وهو يخاطب القاريء ليجري عملية إسقاط على الأزمة الأخيرة في الهجوم على الشيخ:
"استسمحك أن تضع بنفسك وصفا للشيخ الشعراوي في هذا الموقف.
لا قدسية لبشر يصيب هنا ويخطئ هناك.
ولا عصمة إلا لرسول."
وللأسف مازلنا في هذا الإشكال من الفهم والعجز العقلي الكبير عند الكثيرين حول فهم وتفسير مسألة التقدير ومسألة العصمة والتفريق بينهما، وأرى هناك عجزا مهولا في التفريق بينهما، فنحن حينما ندافع عن قدوة وعالم وزعيم، يكون دفاعنا منبثقا من باب التقدير والتكريم، وهو الذي يظنه الواهمون تقديسا فينطلقون للغو الفارغ، الذي يظنون معه أنهم دعاة التنوير وتحرير العقل من عبودية البشر، ولكن بعيدا عن هذا كله نقول للأستاذ سلطان: ماذا لو كان الشيخ الشعراوي قد أخطأ وتاب وأناب وهو ما يؤيده حاله فيما بعد كرجل أعلن استقالته من الحكومة وطلق المناصب كلها بالثلاثة؟ هل نعيره بما مضى؟ وهل حينما ندافع عن شيخ نحبه له قدره لمقامه ومكانته الدينية وخدماته للإسلام نكون قد قدسناه ونسبنا له عصمة الأنبياء؟؟

ما هذا الفهم الأعوج والمنطق المنحدر؟
إن التركيز على السلبيات والتغاضي عن الإيجابيات والحسنات والمعايرة بالماضي الذي ينكره حاضر الانسان، خصلة وعمل لا يفعله إلا أناس يجافون الإنصاف والحق.

أكذوبة العلم الشرعي

أقرر ابتداء أن التصوف صرح عظيم كان له أثره وجهده ودوره في حضارتنا ومسارنا الإيماني، بل له أثره الباهج والمشرف في تاريخ الإسلام ووجوده، وملاحمه الجهادية ضد أعداء الملة، وإن أي محاوله لطمس نوره وإلغاء وجوده هي طور فادح من الجهل والظلم والتفريط.
ولكن هذا الإيمان وهذا الفهم الذي رزقنا الله تعالى إياه، هو ذاته نفس الإيمان واليقين الذي نواجه به أدعياء التصوف والمنتسبين إليه زورا، والراكبين مراجله لتحقيق مآرب الزيف والتزلف، واستخدام أركانه لتثبيت عماد البدع والمنكرات، وشغل الرأي العام عن قضاياه وأحداثه المصيرية ومستقبل الأمة والإسلام.

تعجب أشد العجب وتضحك أكبر الضحك، وأنت ترى شيخا صوفيا كل يوم يرميك بالضلال والبدعة والخرافة والباطل، ثم يخرج علينا ليقول:

(وجب على من أراد القراءة في التصوف أن يتعلم الفقه أولا، ليعرف الأحكام الشرعية، لأن معرفة التصوف مرحلة تالية على العلم الشرعي، فالتصوف بيت له باب، وباب التصوف العلم الشرعي)

وما أن تسمع هذا الكلام حتى تهلل وتكبر وتصفق بيديك من الاعجاب، ثم تقول بملء فيك لقائل هذه العبارات: فتح الله عليك أيها الشيخ وزادك من فضله، فما أحوج التصوف لأمثالك.

ثم لا تلبث إن كانت بك مسحة من علم، وقدر لك أن تتابع دروس هذا الشيخ، لتجده غارقا في الأخطاء الشرعية، موغلا في المحاذير العلمية، التي ترتقي أحيانا إلى هدم ثوابت الدين وأركانه.

فعلام إذن أعلم الرجل من حوله بأن العلم بالشرع يسبق التصوف، وأنه الاساس لكل من يريد أن يسلك طريق القوم؟! كيف يقول مثل هذا الكلام، ثم يخرقه بهذا الخرق الفاحش المبين؟

وهنا نأتي للقول والبيان.

إن هذا الذي تراه هو ديدن كثير من أدعياء التصوف اليوم، يقوم أحدهم على الملأ ليعلن أن الأصل في طريقه هو العلم، وأن تصوفه مبناه على اتباع الشرع، مجرد إعلان تسويقي تروجي ليس له من صلب الحقيقة شيئا، مجرد تصريح براق ليخدع به من حوله، ويضرب به طمأنينة من يقبلون عليه من المرتابين السذج.

كلام مريح مطمئن مبشر، لكنني أعلمك اليوم وأحذرك أن تنخدع بمثل هذا الكلام البراق حتى تنظر حال هذا المدعي وقوله وعمله، انظر إليه بعين الناقد المتبصر، حتى يأتيك اليقين، لتعرف إن كان فعلا قد شاد طريقه على العلم والفقه أم على الجهل والبدع؟

وهذا حال من لديه شيء من العلم يستطيع أن يميز به، أما الجهال قليلي العلم فما أضيعهم أمام هذا الحديث البراق.

وقائل هذا الكلام هو المدعو يسري جبر، وهو نفسه ذات الرجل الذي خرج علينا بنكرات من الأقوال ليس لها في دين الله نصيب ولا سناد.

أقوال تضرب أسس العقيدة والدين، بل كان للرجل يوما حلقة، يطعن فيها في شيخ الاسلام ابن تيمية، ولا أعلم رجلا يطعن في شيخ الإسلام إلا أحد رجلين، إما جاهل موغل في

الجهل، وإما خصم لدود صاحب بدعة وهوى، وأظنه من الطراز الأول.

فقد كان كلامه عن شيخ الاسلام ونشأته يوحي بقدر عظيم من الجهل، وطاقة هائلة من البلاهة، التي لا تعرف من هو ابن تيمية.. وأنا هنا لست سلفي لي خصومة ناكرة مع التصوف وأهله، بل انا منهم وأقر طريقهم، لكنني مؤمن بضياعه على يد من ينتسبون له زورا

ولعل يسري جبر أن يرجع في هذا إلى ما كتبه شيخه علي جمعة عن الامام ابن تيمية، قبل ان يتحول هذا التحول المعيب، حينما قدم لموسوعة فقه المعاملات في فقه ابن تيمية، فكتب عنه حتى أوشك أن يجعله من الأنبياء، وأوحد الدنيا في العبقرية والنبوغ.

إن هذا القول الذي نطق به جبر هو هو قولة حق أريد بها باطل.

وأنك إذا رأيت كثيرين ممن يتشدقوا بها، فلا تسلم لهم حتى ترى حالهم وعملهم، فهم ما أرادوا إلا التلبيس عليك وخداعك باسم العلم الشرعي.

أكاذيب تفضحها السلطة

أثبتت الأحداث وسجل التاريخ، أن بعض التيارات الدينية الدعوية وكذلك الفكرية المعاصرة، مهما كان تسامحها ولينها واستخدامها لمفردات الحرية والحوار والرفق، فإنه تنقلب رأسا على عقب حينما تقترن بالسياسة ويتاح لدعاتها جزءا من الولاية والحكم والجاه والسلطان والتمكين.

لتكون النهاية التامة والانقلاب الخطير في حياة هذا التيار ورسالته وشعبيته بين الناس، لأن شيوخه الذين نالوا التمكين في الارض، يستخدمون العنف والقمع والبشاعة والوحشية في وأد المخالفين لهم والقضاء على خصومهم.

نعم يحدث هذا وينبئ به التاريخ ويشهد عليه، مهما كان حال هؤلاء الداعين وأخلاق هذا التيار، ناطقة بالحرية داعية إلى الحوار والرفق واللين، لأن للسلطان سحره الذي يقلب الولي شقي، ويحوله من السماحة إلى الشناعة.. ليكفر بكل ما كان ينادي به قديما.

وقد يترك حوله كل المردة والفسقة والمجرمين والخونة ويتسامح معهم، ولا يرى له عدوا يجب القضاء عليه إلا خصومه المخالفين لأفكاره واجتهاداته.

انظر مثلا للصوفية وهم من يعلنون دوما انهم أزهد الناس في الدنيا وأعفهم عن مباهجها وإعراضهم عن شهواتها، انظر

إليهم حينما قربهم السلطان وساد مذهبهم وطريقهم وصار سمة عامة للحكم والدولة، ماذا صنعوا بأعدائهم وكيف كانت أخلاقهم؟

لقد كانوا على أقبح ما تكون صور القمع ضد الخصوم، فلا يمكن للتاريخ ابدا أن يجهل تحريضهم على الإمام ابن تيمية الذين تسببوا في عدد من المتاعب والمحاكمات التي واجهها في عصره، وقد حدثت هذه المحنة في فترات مختلفة شملت عهد أكثر من حاكم، وأبرزها في عهد السلطان المملوكي ركن الدين بيبرس الجاشنكير.. لقد اختلفوا معه في كثير من آرائه في مسائل العقيدة، والتصوف، وزيارة القبور، والاستغاثة، وغيرها من المسائل التي يرى أنها من البدع، والتي كانت تثير حفيظة الكثيرين منهم ورأوا فيها مساسًا بعقائدهم أو بمكانتهم، وقد أدت هذه الخلافات إلى إقامة مجالس للمناظرة والتحقيق، وفي بعض الأحيان إلى اعتقاله وسجنه.. ووشوا به عند السلطان وحرضوه عليه، مثل نصر المنجبي وابن مخلوف المالكي، وكانت التهم الموجهة إليه تتعلق بمسائل الاعتقاد ومذهبه السلفي.

وكان الصوفية كذلك في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون رواء محنة أخرى للإمام الجليل، حيث تعرض ابن تيمية للاضطهاد والاعتقال أيضًا، ولم يقبلوا منه مجرد الحوار

واحترام اختلافه معهم في مسائل الدين، حتى توفي رحمه الله في سجنه بقلعة دمشق في عهد هذا السلطان.

وانظر إلى المعتزلة كيف كانوا القمة في الدعوة للحرية والإيمان بالحوار ومجادلة الآخر بالعلم والعقل والحكمة، وقدموا خدمات عظيمة للإسلام حينما أخلصوا الدعوة، حتى تمكنوا وتغلبوا في عهد المأمون وصاروا وزراء ومستشارين وقضاة، فإذا بهم يتحولون إلى نار تأكل خصومهم، ويستغلون القرب من السلطان وركوب المناصب، لمحو كل من يخالفهم من على الأرض.. أرأيت ماذا فعلوا بأحمد بن حنبل، كيف قتلوا غيره من علماء الدين الرافضين للقول بقولهم والاعتقاد باعتقادهم، أرأيت كيف كانوا يحرضون المعتصم ومن بعده ضد مخالفهم، ويقول له أحدهم: اقتله يا أمير المؤمنين ودمه في رقبتي؟!

يقول شيخنا الدكتور محمد رجب البيومي: "وكنا نتمنى ألا يمر هؤلاء بهذا الدور الدموي العجيب، حتى يزاولوا نشاطهم العقلي دون أن يجدوا هذا الصدود الهائل من جمهور المسلمين، ولكنهم جنوا على أنفسهم جناية اليمة، كان خيرا للمسلمين ألا يدخل المعتزلة في أحضان الدولة، وأن يعيشوا كما عاشوا فى عهد المنصور وأول عهد المأمون ، فلو ساروا على هذا النهج لانتفع المسلمون من ذلك أكبر نفع ، ولتغير تاريخ الإسلام"

هكذا تتحول التيارات الدينية إلى مقاصل تذبح رؤوس خصومها إذا تشبثت بالسلطة، ومكن لها في الأرض.

الدعاة والاقتراب من السلطة

ينظر الراحل الكبير الدكتور "محمود عمارة" رحمه الله إلى علاقة العالم بالحاكم نظرة إيجابية ومختلفة ومغايرة عما ألفناه وما اشتهر من نظرة بعض المتدينين لهذه العلاقة؛ وذلك كون العلماء والحكام من أكبر عوامل الإصلاح واستقامة المجتمع والحياة.

يرى -رحمه الله- ضرورة التحام الطرفين واقتراب كل منهما للآخر أملًا في تحقيق الخير للأمة.

يقر بهذا وهو يضع في الاعتبار حساسية فريق من العلماء في الاقتراب للحاكم والنظرة السلبية منهم تجاه كل عالم يقترب من سياج السلطة ليكون في نظرهم من أهل المصلحة وطلاب الدنيا، فهذا سعيد بن المسيب يقول:

"إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فاحذروا منه فإنه لص".

ويستعرض عمارة مقولة أبي حنيفة -رحمه الله-:

"كن من السلطان كما أنت من النار"

بل يقول الشافعي -رحمه الله- وقد نظم في هذا شعرًا يذكر فيه:

إِنَّ المُلوكَ بَلاءٌ حَيثُما حَلّوا ❊ فَلا يَكُن لَكَ في أَبوابِهِم ظِلُّ

ماذا تُؤَمِّلُ مِن قَومٍ إذا غَضِبوا *جاروا عَلَيكَ وَإِن أَرضَيتَهُم مَلّوا
فَاستَغنِ بِاللهَ عَن أَبوابِهِم كَرَمًا *إِنَّ الوقوفَ عَلى أَبوابِهِم ذُلُّ
بينما يرى عمارة أن هناك فريق لا يقترب من بلاط الحكام إلا أملًا في أن يكون بابًا من أبواب الإصلاح يخدمون به الناس.
كان هذا هو المنطلق الذي يسير به الدكتور عمارة نفسه في حياته، فقد قضى بعض فترات حياته الأولى في مواقع الحزب الوطني منذ زمن أنور السادات وقال أمامي أكثر من مرة:
"لقد أعانني الله تعالى أن أنجزت كثيرًا من المصالح وقضاء الحاجات لكثير من الناس كانوا متأزمين يبحثون عن مخرج يغيثهم".
وهذا المنعطف الذي سار عليه الدكتور عمارة هو مدرسة ورأي عمل به كثير من الدعاة والمصلحين، لكن النظرة السلبية للبعض تجاه الحكام خاصة إن كانوا جائرين لا يحكمون بشرع الله، تنعكس على العلماء الذين يجاورونهم ويقتربون منهم، وينطقون بلسان مؤسساتهم، إذ يرونهم من أهل الدنيا وطلاب الجاه والمناصب، وهي الصورة التي تتنافى قطعًا مع عالم الدين الذي يفترض فيه الزهد والترفع عن الدنيا وغرورها، خاصة نظرة أبناء التيار الديني من الجماعات الإسلامية الذين يفقدون الثقة في كل عالم دين يقترب من السلطة، فيكون محسوبًا عليها ومن جنسها.

ونحن نعلم أن هذا موجود ومتحقق، فبعض العلماء للأسف ممن يقتربون من السلطة يلهثون وراء المصالح والرتب وعلى استعداد لأن يبيعوا دينهم من أجل الدنيا، ولكننا لا يمكن أبدًا أن ننكر أننا رأينا بجوار السلطة علماء محترمين زاهدين عابدين يخشون الله تعالى ويراعونه في أقوالهم وأفعالهم ومواقفهم، وإلا فهل يمكن لك أن تساوي بين عبد الحليم محمود والشيخ الشعراوي وبين من نعرف ونرى من علماء يمكن لهم أن يُحلوا الحرام ويُحرموا الحلال من أجل السلطان؟!

لا يمكن أبدًا.. وعلى هذا نخلص أنه ليس من الضروري أن يكون كل من يقترب من السلطة أن يكون شيطانًا، وإن خدعنا في بعضهم فلا شك أن المواقف والأيام ستكشف لنا عن معدنه وغايته وطريقه وذمته، لن يستطيع أن يتخفى كثيرًا ويخدع الناس.

الدكتور عمارة إذن كان يرفض هذه الحساسية ومن أنصار الاقتراب من السلطان ومواقع النفوذ، شريطة احتفاظ العالم بهيبته ودينه، والأمر الثاني أن يكون حريصا بهذا الاقتراب على نفع الناس.. فهو يقول:

" ومهما كانت الحساسية هنا إلا أن الأمر في منطق العقل وبداهة الأشياء أن الناس يحتاجون إلى السلطان كما يحتاجون إلى العلماء، وإنهم يكونون أسعد ما يكونون وأوفر نصيبًا من

الخير والصلاح حين يلتقي في حياتهم عز السلطان وعدله بحكمة العلماء وعلمهم"

ولعل هذا المنطق الذي يطرحه الدكتور عمارة لا يستوي مع كل الحكام، فهي نوعية خاصة تُقّدر العلم وأهله وتفتح لهم ذراعها مؤمنة بدورهم في هداية الأمة ورشد البلاد والعباد، أما القيادة المارقة الفاجرة، فهي قيادة لا تحترم العلماء في شيء ولا تقدر أفضالهم، ولا تُقَرِب منها إلا أدنياء النفوس وحقراء الغايات.

والدكتور عمارة رحمه الله يعلي من قيمة هذا الشرط في رؤيته الخاصة بعلاقة العالم بالحاكم فيقول:

" لا بأس أن تكون هناك صلة بين السلطان والعالم ما لم تكن على حساب العقيدة، وما بقيت الكرامة موفورة"

ثم يطور من الحديث في رؤيته تجاه علاقة العالم بالحاكم فينوه بأن هذه العلاقة لا يجب أن تكون مقصورة على طلب الحاجات منه وإنجاز مصالح الناس، وإنما حمل الدكتور عمارة العلماء دورهم ومسؤوليتهم في الدعوة المفروضة عليهم تجاه هؤلاء الحكام، وطالبهم بضرورة أن يمارسوا دورهم الحقيقي مع السلطة الشرعية في الدعوة إلى الخير.

بل طرح فكرة أغرب وأدهش حينما طالب بعض الدعاة والعلماء الذين يؤدون رسالتهم بالبلاغ وينتهي الأمر ويظنون

أنهم قد أدوا رسالتهم ودورهم، بل لابد أن يكون لهم إلحاح وحرص في الاقتراب من السلطة ومواضع صنع القرار، ويرحبوا بالمناصب والترقيات ولا حرج في ذلك، وحتى حرص الداعية أو العالم أن يكون صاحب منصب فلا عيب في هذا طالما يريده في نفع الدعوة وتيسير سبلها وإنجاز أهدافها، وتحقيق عنصرها مع أصحاب السلطة أنفسهم.

بين عمارة -رحمه الله- أن يسعى العالم نحو هذا الغرض وهو مُستَعل غير عابئ بكلمات التجريح وكل اتهام له بأنه يجري وراء المصالح الذاتية.. والحق أنها نظرة واعية من داعية حصيف متخصص في علم الدعوة وبصير بما يمكن لها من مستقبل أن تثمر فيه.

ضرب الدكتور رحمه الله بمثل قرآني يعكس جمال العلاقة بين الحاكم والعالم وكيف لها أن تؤتي ثمارًا معتبرة وذلك في قوله تعالى:

{قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي} النمل ٤٠

ويعتبر الدكتور محمود عمارة أن جماعات الإسلام السياسي أضرت بالوجود الإسلامي أكثر مما نفعته، فهي قد ظهرت على الساحة السياسية واعتبرها الحاكم ندًا له وخصمًا شرسًا، مما

جعله يوجه إليه كل أسلحته للقضاء عليها وبتر وجودها، ومن هنا كان الإضرار بالعمل الدعوي كله، ولو أن الأمر اقتصر على الدعوة قولًا وعملًا وتهذيبًا وتربية، لاستطاع الإسلام أن يكسب أرضًا عظيمة وجمهورًا هائلًا، يُمكنه يومًا من الأيام أن يفرض نفسه وسلطانه ولو بالقوة.

ولعل هذا الفهم هو ما استفاده من أستاذه وشيخه محمد الغزالي الذي ذكر أنه حدثه يومًا عن أهمية الدعوة اليوم عن طريق التربية صياغة للطفل المسلم في البيت، وترسيخًا للتعاون على البر والتقوى بين صفوف المجتمع، تعاونًا يؤتي أُكله في كل نواحي الإصلاح الاجتماعي رخاءً وأمنًا، ثم يقول الدكتور عمارة معلنًا وجهة نظرة بوضوح وقوة وفهم عميق:

"إن الانفعال الساخن على صفحات مجلة تندد بالحاكم، يستعدي الحاكم عليها، بالإضافة إلى سلبيته وعدم جدواه، في تحقيق تقدم يذكر على طريق الإصلاح".

ضرب عمارة المثل بتصدي الانجليز لجهاد الثوار في الهند وكيف أن الالة العسكرية كانت تفتك بكل جهاد يُقدر، وحينما جاء غاندي وأعلن اللاعنف، وألهب قريحة المجتمع ضد المحتل، وقاد الثورات السلمية، هنا سارع حاكم إنجليزي لإحدى المديريات الهندية وأبرق إلى الحكومة البريطانية عندما واجه اللاعنف حينذاك وقال لها:

"يرجى إبراق التعليمات لكيفية قتل نمر اللاعنف"

الخديعة بسحر الوعظ

يوما ما أبدى بعض أحبائنا إعجابه بشيخ من المشايخ، منبهرا بحديثه الديني، ومن فرط إعجابه به أخذ يعيد توجيه مرئياته على صفحته الالكترونية.

تعجبت كثيرا من هذا الاعجاب المنكور، فمثل هذا الشيخ لا يجب أبدا لأي مسلم صادق أن يعيد مقطوعاته ولو كان ينطق بسلاسل من الذهب، لأن المفاجأة المحزنة أن هذا الشيخ هو أحمد حسون مفتي سوريا والبقية تعرفونها فلا داعي للحديث.

لكن نفس المهزلة تحدث اليوم في مصر وبين جماهير شعبها، للتبرير والترويج للعقائد الصوفية الباطلة، عن طريق الخطب الوعظية التي تمتلئ بها مقاطع ريلز واليوتيوب لعدد من دعاة الصوفية، الذين قدموا بمعسول الكلمات ما يهيج عواطف المشاهدين، فيستميلون قلوبهم، ويكسبون محبتهم، ليكون ذلك البدء تمهيدا لكل الزيوف العقدية والهرطقات الفكرية التي ينطقون بها في الفهم العقدي المختل، أي أنهم اتخذوا سبيل الوعظ للضحك على عقول الناس والتمكين للمفاهيم الشاذة التي يتبرأ منها الإسلام.

انظر لهذين الشخصين البارزين اليوم في العالم الأزرق، أحدهما أزهري معمم تنشر له كثير من المقاطع وهو يتغنى بمدح أهل البيت وسيدنا الحسن والحسين، ويتلعب بمشاعر المصريين في محبة أهل البيت، وقد رأيته يومًا يتحدث وقد خيل إلي أن الخوميني هو الذي يتحدث، بما ينطق من معتقدات فاسدة ومغالاة في الحسن والحسين، وهو جهوري الصوت كثيرا ما يردد أبيات الفرزدق في مدح سيدي علي زين العابدين، ولاحظ هنا قولي : سيدي، فأنا ممن يوقرون أهل البيت.

وأما الثاني، فتعرض له أحاديث وهو في حلقات الذكر، ويتناول أقوايل الزهد والزهاد مواقفهم، ويزعق بصوت عال: صلوا على طه الحبيب، بإيقاع تنخلع له القلوب، ولما هاجمته يوما على اعتماده بعض الاحاديث الضعيفة والموضوعة، لامني أحد المتابعين، واستنكر هجومي، وقال لي: لماذا تهاجم الرجل وأنا استمع إليه وكل ما يقوله مما يقرب إلى الله.

والحق أن اعتماد هؤلاء ومحاولة تقويمهم، لا يقوم على القلب والعواطف، وإنما على العلم والبصر، ومعرفة الخلفية والغاية التي يقف عليها هؤلاء، مما يضر العقيدة السليمة، ويهدم أصول الإسلام.

إن أحدهم اليوم لو تحدث بالمخالفات العقدية التي يدين بها مذهبه، لما لامه أحد أو اعترض عليه، أو صدق الخطأ عليه،

لأنه ملك قلوبهم ابتداء وسحرهم باسم الوعظ، لتكون المأساة بعد ذلك في عقائد الناس التي تتلبس بالشركيات عن طريق هذا الحب وهذا الاعجاب وهذا الميل.

أقذار في الحقل الاسلامي

قُدر لنا في هذه الآونة أن نرى أقذر الجراثيم البشرية التي بُلي بها الحقل الإسلامي، والذي يتجلى خرقهم في أناس ينطقون بكتاب الله وحديث رسوله وهم أبعد ما يكونون عن حقيقة الدين وغاية الكتاب المبين ورسوله الأمين.

حدث ينذر بشؤم عظيم على الأمم والمجتمعات، حينما يظهر فيهم أمثال هؤلاء الزنادقة الأفاقون، ولا خير في أمة يعلو فيها صوت هؤلاء المردة الأشرار الذين تزيوا بزي الإسلام، وتمسحوا بعباءة دعاة الإسلام، ولا هم لهم إلا تبديل القيم، وهدم الثوابت، والعبث الوقح بدين الله وشريعته.

من كان يتخيل أن يتسرب إلى مصر بلد الأزهر الشريف والعلم النظيف والفهم والثقافة والنور أمثال هذه الحشرات البشرية الحقيرة، التي تُعين الجهل وتقيم الضلال وتحارب الوعي والفهم والاستقامة؟

قد تُبتلى بلادنا بشيء من النوازل والكوارث والأزمات والحروب والفقر والضنك، لكن بلاءها بأمثال هؤلاء أشد وأنكى، ومن المذهل أنهم يستنسخ بعضهم بعضًا، وتتكرر صورهم بنفس الجهل والغباء والكفران في كل قطر وبلد.

الدولة تبذل جهودها في حرب التطرف والإرهاب، وهي وإن كان يستقيم لها مع بعض هؤلاء الفجرة شيء من هوى، فإن واجبها ووعيها يفرض عليها في المقام الأول أن تتنبه لهؤلاء الفجرة، وتعتقد أنها في حربهم ليس بأهون من حربها لغيرهم، لأن في صوتهم وقولهم ضياع الدين وهدم ثوابته، والدولة منوطة بحفظ دين الشعب وهوية المجتمع.

يقول ابن عمر في هؤلاء الفجرة:

"شرار الخلق انطلقوا إلى آيات نُزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين"

وهكذا يفعل هؤلاء المردة الأنجاس، فتراهم كما قيل: "يشنون هجماتهم ويركزونها على كل داعية أو مجاهد أو عالم انتصب للإصلاح في الأمة ولو باللسان.. فلا يعذرونه في خطأ أو تأويل، فبينما يسكتون عن عتاة المجرمين ويجتهدون في التماس المعاذير لهم بل ويمدحونهم"

انظر لأحد جنازيرهم التي طفحت به مجاريهم النتنة الآسنة، حين خرج علينا يذم ويعيب أعظم طوائف الأمة وأقربهم إلى

الله.. الطائفة المجاهدة المناضلة التي حملت وحدها عبء الكفاح والجهاد ضد المختل الغاصب، فإذا به يُبدِعها ويُفسِقها ويهون ويقلل من جهادها العظيم، حتى شهدائها الأبرار، زين له عقله المريض وشيطانه البغيض، أن يُحقر من أمره ويستخف بشهادة السنوار الأبي وصموده الذي أبهر الدنيا كلها.

ألا لعنة الله عليك وعلى أمثالك، ويالخيبة آذان تستمع إليك وعقول تلمس كفرانك.

منذ سنوات توفي أحد هؤلاء المردة مع ولده في حادث مريع أليم حينما ذهب إلى مطروح للاستشفاء، فوقع في إحدى البرك غارقًا، فكان حادثًا غريبًا مثيرًا أليمًا، وأخبرني صديقي أن ما حدث له دعوة مظلوم من كثير من المظلومين الذين غرر بهم وحرض عليهم فنالهم السجن، ولم يكن لهم من جرم إلا كل عمل يرضي الله.

ليس من العقل والمصلحة أن يكون لهؤلاء صوت في بلادنا، إن كنا نرجو لبلادنا فلاحًا ووعيًا وخيرًا وازدهارًا.

اقطعوا اليد الخفية في الأزهر

منذ صغري وأنا أواظب على شراء مجلة الأزهر، ولا يفوتني منها عدد، حتى بعدما هجرت مصر إلى المملكة العربية السعودية، كنت أوصي إخوتي بشرائها وإبقائها حتى أرجع.

وعلى هذا ظللت طوال حياتي أجمع الهدايا التي ترافقها حتى صنعت منها مكتبة كبيرة، وكان من أزهى عصورها عصر الدكتور محمد رجب البيومي، ومن بعده الدكتور محمد عمارة.

واليوم تشهد مجلة الأزهر انتقاء غير مسبوق في نوعية الهدايا التي تصدر مع المجلة، كتب ضخمة ومهمة وقوية، تثري مكتبة كل مثقف محب للكتب.. حتى أنني صرحت فيما سبق بأن هذا العهد هو العصر الذهبي للمجلة، لما تمنحه لنا من كتب قيمة يسارع إليها كل مثقف محب للكتب والقراءة.

ولكن ماذا حدث وماذا يحدث في كثير من الكتب التي تهديها مجلة الأزهر للقراء؟

يبدو أن هناك يد خفية تعمل بجد ونشاط في تزييف التراث، والتلفيق والكذب والافتراء على كثير من الكتب الأثيرة التي تهديها لنا، فبينما نعتقد نحن أنها هدية قيمة، ونفرح بها ونسارع إلى اقتنائها، نكتشف فيما بعد أن هذه الأسفار التي حرصنا على اقتنائها بها سم زعاف يمرض أفكارنا ويدمر معارفنا، بل علمت من مصدر موثوق أن هذه اليد الخبيثة تعمد إلى كتب

التراث المنتقاه لإصدارها كهدايا فتحذف منها بعض الفصول التي لا تريد تمريرها مع الكتاب، ومن ثم تظن أنت أن الكتاب كاملا، بينما هو مجتزأ مبتور ناقص غير كامل.

وإذا رجعت إلى أصول هذه الكتب رأيت الفاجعة وأدركت حجم المأساة والتزييف الثقافي المهول الذي يخرج من الأزهر الشريف.

مع بداية الأحدث الفلسطينية والعدوان على غزة سارعت مجلة الأزهر للوقوف بجوار القضية الفلسطينية وأصدرت عددا من الكتب المهمة والقوية، وكان من أوائلها كتاب الصهيونية العالمية للعقاد، والكتاب الثاني هو الموجز في تاريخ القدس لعارف باشا العارف.

ومع تصفح كتاب الأستاذ العقاد رأينا أخطاء فادحة في الطباعة، وهو نفس ما حدث حينما أهدتنا المجلة كتاب التفكير فريضة إسلامية وحقائق الاسلام وأباطيل خصومه للأستاذ للعقاد، كانت بهما نفس الأخطاء التي تختلف مع الكتاب الأصلي من حذف وقص.

أما كتاب عارف باشا فقد حدثني أحد الأصدقاء ودلني على فقرة كارثية في الكتاب، وهي التي تحدث فيها الكاتب عن سيدنا سليمان فقال: " وفي آواخر حكمه مال إلى عبادة الأوثان

، وبنى لها بيتا على الجبل الكائن أمام الهيكل من الشرق ، ويعزوا بنو إسرائيل خراب ملكه بعد موته إلى عمله هذا"
جاء هذا الكلام في الصفحة رقم ٣٥ من الكتاب المطبوع مع مجلة الأزهر ، وأنا لا أعلم هل هذا الكلام من أصل الكتاب أم أنه مدسوس على عارف باشا؟
فلو أنه من أصل الكتاب، فكيف يتم اختيار كتاب مثل هذا لطرحه على المسلمين دون تمحيص وتحقيق، وإن كان الكلام مدسوسا عليه، فمن ياترى يعبث بتراثنا ويعمد إلى الطعن في ثوابت الدين؟
وكيف يصدر كتاب عن الأزهر يتهم نبيا من أنبياء الله بعبادة الأصنام.
لقد كنت أتابع صفحات الأصدقاء في مواقع التواصل الاجتماعي وكنت ألمح فرحتهم الغامرة بالكتاب الهدية، ولكني اليوم أوصيكم بحرقه والابتعاد عن قراءته، حتى لا تتلوث الأفهام والآراء.
أما المصيبة الثالثة فهو ما نشره أحد الشيوخ الأفاضل من هذا التحريف الهائل والكذب الصريح الرخيص، والتلفيق الذي فعله محررو مجلة الأزهر بكتاب تفسير صفوة البيان للشيخ حسنين مخلوف الذي نشروه على ثمانية أجزاء، وكانت الدنيا كلها تسارع لاقتناء المجلة وهديتها حتى يكتمل التفسير، حتى

أنهم بعد الانتهاء منه نشروا الجزء الأول مرة أخرى تلبية لرغبة الجمهور.
لكن ماذا حدث وماذا جرى؟
يقول ناشر الخبر:
"تفسير صفوة البيان! هذا الكتاب العظيم ليتني ما قرأته.
وهذا الأزهر العظيم! ليتني ما عشت حتى أراه يفعل هذه الفعلة النكراء.
قام مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بتوزيع تفسير (صفوة البيان لمعاني القرآن) للشيخ حسنين مخلوف رحمه الله تعالى هدية مع مجلة الأزهر العريقة في ثمانية أجزاء.. وقد أساء القائمون على نشرة هذا الكتاب العظيم إساءة بالغة لا تغتفر..
- لا أقول إنهم أساءوا إلى الكتاب، أو إلى مجلة الأزهر، بل إنهم أساءوا إلى الإسلام وإلى أعظم مصادره القرآن الكريم وإلى أعظم قضاياه: قضية التوحيد.
(لقد تعمد أولئك الناشرون لا جزاهم الله خيرًا حذف كلمات الشيخ عن التثليث وتحريف دين النصرانية حيث وردت في التفسير).
ما كنت أتخيل - ولو في منامي - أن يصل الخذلان إلى هذه الدرجة: تحريف التراث وفي تفسير كتاب الله تعالى وفي أخص مسائل الشرع (التوحيد) لم؟!

وستشهد الأجيال المسلمة في هذا العصر يومًا بين يدي الله تعالى أنه في زمن الدكتور أحمد الطيب وهذه الفئة التي تصطف حوله من قريب أو بعيد خذلوا الإسلام والمسلمين في أعز وأغلى ما يمتلكون!

- ألا قصرتم إفككم يا سادة على كلمات تقولونها وسطور تكتبونها وتركتم لنا "تراث الأئمة والعلماء" سالمًا من دون تحريف وتزييف؟!

- ألا مددتم أياديكم أيها السادة إلى الكلام والمنطق والفلسفة وهلم جرًّا تقولون فيها ما تشاءون وتركتم "كتاب الله تعالى وتفسيره" مصونًا من دون إضافة وحذف؟!

- هلا تكلمتم أيها السادة في الأساطير والإسرائيليات والقصص والحكايات والخرافات وتركتم لنا "التوحيد" من دون أن تعكروا صفوه وتدنسوا ساحته الطاهرة؟!"

وساق الكاتب صورا بالمواقع التي تم فيها التزوير والتلفيق على التفسير بحذف ما قاله.

إرضاء لمن؟

نحذف معتقداتنا وكلام علمائنا وبيانهم لمصلحة من؟

لمصلحة الكنيسة؟

أم لمصلحة الصليبية العالمية؟

أم إرضاء للنصارى الذين قد لا يروقهم هذا الكلام؟

أم خوفا من العلمانيين الفسقة من أن ينالوا الأزهر ويشنعوا عليه بأنه لا يحترم دين الآخر؟

لابد للأزهر أن يتحرك لوقف هذه اليد الشيطانية التي تعمد في الخفاء لضرب تراثنا في مقتل، وتزييف وعي القراء، ونشر الافتراء والأكاذيب؟

بل تضر بالأزهر كمعقل للثقافة الرصينة، وموئل المعرفة الصادقة الصحيحة.

ربما لا يصدق البعض هذا الكلام وذلك الادعاء، ولكن ها هي الكتب بين يديك بأسمائها وارقام صفحاتها فليراجعها ويتحقق من أراد التثبت.

ما الذي جرى لمجلة الأزهر ؟

إذا كان للأزهر صفحات مشرقة مشرفة عبر التاريخ من كفاحه للمستعمر وقيادته للثورات، ووقوفه وشيوخه في وجه كل سبل الانحراف ودعوات التغريب، فإن مجلة الأزهر منذ إنشائها كانت ذراع الأزهر القوية الضاربة في وجه خصوم الملة الاسلامية، وأعداء الشريعة، فحاربت الانحراف والتغريب والعلمانية والشيوعية وكانت لها كثيرًا من المعارك الفكرية التي حفظت وعززت معالم الهوية الإسلامية، وكبحت بها جماع

المرجفين ممن يتآمرون على الدين ويسعون إلى إماتة جذوره في المجتمع.

وإذا كان لمجلة الأزهر هذا التاريخ العريق والمكافح في وجه أعداء الشريعة الإسلامية، وكانت لها غيرتها الملتهبة وصولاتها المدوية وصيحاتها العاتية وردها العاصف، في وجه الملحدين والمتطرفين والتغريبين واليساريين والعلمانيين، فإنك تتعجب اليوم لتبدل الحال وتغير الزمان، لتظهر المجلة اليوم وتخرج إلى الناس، وقد ماتت فيها روح الغيرة في الدفاع عن الدين التي كانت موجودة في الزمن القديم، حيث لا تجد فيها أي نفرة أو غيرة أمام العابثين بثوابتنا الدينية، والمرددين كل يوم لغرائب الزيوف والشبهات المنكرة التي يفترونها زورًا وبهتانا على الإسلام وقيمه وثوابته.

مجلة الأزهر اليوم كما أراها لا تدور إلا في فلك تقديم القيم والعلم الذي يمكن الحصول عليه من أي كتاب أو منصة، وتناست أن الدفاع عن الدين والاهتمام برد الشبهات عنه، ضرورة دينية أنيط بها الأزهر وألقيت على كاهله، وأن أهم وسيلة أو سلاح له في ذلك هي مجلته التي تُعد لسانه الناطق باسمه.! جميل أن ننشر العلم، وندعو إلى الفضيلة، ونُهدي الكتب، لكن المسؤولية الأكبر حينما نتخلى عنها، فإننا نضر بهذا العلم أكبر الإضرار.. يقوم مهترئ جاحد فيرمي ديننا

بالشبهات، وتاريخنا بالبهتان، ثم تشتري مجلة الأزهر تحاول أن تجد فيها ما يسد رمق الدفاع عن هذا الدين، فلا تجدها إلا صفحات مسطرة عن الأخلاق والمُثل، فصارت أشبه بفارس رمى سيفه وتخلى عن درعه أمام أعداء ماكرين لا يكلون ولا يملون.. لا يستقيم أبدا أن لا يكون للأزهر دوره في رد المفترين الذين يجابهون الحضور الإسلامي ويحاولون تشتيت الناس وإثارة الفتن في أفهامهم ومعتقداتهم الدينية.

لماذا لا تخصص المجلة بابًا من أبوابها في عدة صفحات ترصد كل ما يثار من مفتريات وترد عليها ، لتؤدي المجلة رسالتها في حماية الدين والدفاع عنه، ويشرف عليها أساتذة متخصصون في الفكر الإسلامي..؟ وهو الدور الغائب والذي من أجله أنشئت المجلة، ففي شهر أكتوبر من عام ١٩٣٠ أصدَر الأزهر صحيفة " نور الإسلام" - الأزهر فيما بعد- و رَأس تحريرها الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله، و أوضح في أول عدد منها أسباب إصدارها، و منها:

١- تعرَض الدين الإسلامي لهجمات مسعورة شنّها طائفة من الملحدين والعلمانيين في الصحف و المجلات.

٢- الذود عن حمى الشريعة الإسلامية، و تقرير حقائق الدين على وجهها الصحيح، و مواجهة نشاط البعثات التبشيرية في مصر، و العمل على هداية الناس و إرشادهم إلى الحق.

لقد "اصطدمت المجلة منذ بداياتها بالكتابات المنحرفة عن الإسلام، و التيار الإلحادي القويّ آنذاك الذي كان ينادي بأن يتحكم العقل و العلم في مسيرة الحياة دون أيّ تدخّل من النصوص الشرعية، أو سيطرة للدين على شئون الحياة. فهاجم الشيخ محمد الخضر حسين دعاة العلمانية و فصل الدين عن الدولة بدعوى أن الجمع بين السلطتين الدينية والزمنية سبب لتأخر المسلمين، و كذلك هاجم الدكتور محمد البهي هذا التيار المتأثّر بالغرب، و أرجع سبب محاربته للدين إلى الإعجاب غير المتعقّل بالغرب عبر وسائل الغزو الفكري في المجتمعات الإسلامية و تعرضت المجلة أيضاً إلى فضح أنشطة التنصير في العالم الإسلامي، و كشف مخطّطاته الرامية لهدم الدين الإسلامي، و إزالته بشتى الوسائل الخبيثة من قلوب المسلمين، فنقلت عن مجلة العالم الإسلامي التي يحرّرها القس " زويمر " مخطّطات التنصير في العالم الإسلامي، تحت غطاء المستشفيات والمدارس والأعمال الخيرية، وخير مثال على ذلك هو مستشفى " هنري " في أسيوط.

وكذلك قامت المجلة بعرض الشبهات التي يقذفها المنصّرون والمستشرقون في مؤلفاتهم إلى المسلمين البسطاء بغية زعزعة الدين في قلوبهم، وتولّت المجلة الردّ على هذه الشبهات بأساليب منهجية علمية، وممن تولّى الردّ عليهم في هذا السبيل

الكاتب " محمد فريد وجدي "، فقد ردّ على " اندريه هارفيه " ما كتبه في جريدة كوكب الشرق المصرية من شبهات كاذبة على الإسلام. وكذلك تولّى وجدي الردّ على المستشرق " فرنك فوستر " الذي كتب سلسلة عن تاريخ الإسلام، فنبز الرسول ﷺ ببعض التهم الكاذبة، وكشف زيفها وبطلانها بحجج قوية متينة." [٨]

وإني لفي غمرة هذا التاريخ المشرف أتململ أسى على ما آل إليه حال المجلة التي تخلت بالكامل عن مكانتها كحائط صد قوي منيع للدعوة الإسلامية أمام عواصف الحاقدين، ولعلنا هنا نتذكر حينما نشطت حركة الإلحاد في مصر في منتصف القرن السابق واتخذت عدة صور منها -الدعوة إلى إنكار وجود الله، و-الطعن في الشريعة، وكيف أن المجلة لم تسكت على هذا التجني والافتراء وقامت بدورها في التصدي والمواجهة فتساءلت في خطاب وجهته للحكومة عام ١٣٥٦هـ :

"هل حماية الدستور أعظم في نفوس الأمة من حماية دينها؟، وهل الطعن في الدستور ألم لعواطفها وأدمى لقلوبها من إهانة الدين والكلام في نبي المسلمين ورب العالمين، ولسنا نقول لا تحفظوا الدستور، ولكن نقول: احفظوا الدين أيضا، كما

[٨] - من مقال لمجلة الأزهر بموقع الألوكة لمبارك القحطاني بتاريخ ٢٠٠٦/١٠/١٥

تحفظون الدستور الذي تفتخرون بصيانته، فليس الدستور أرضى لسعادة الأمة من الدين"

كما دعت المجلة إلى إيقاف حملات الملحدين والتغريبيين ضد الدين الذي يحترمه الدستور، وتقدسه الأمة، وبينت خطورة هذه الحملات في إفساد أخلاق الأمة وإيقاع الخلل في عقولها وهدم بنائها، ونشر رذائل الأخلاق فيها، من الأثرة وعبادة الشهوات، والجرأة على ارتكاب الخيانات"[٩]

وصورت مجلة "الأزهر" عام ١٩٥٧م موقف الصحافة من الإسلام وعلمائه وأخلاقه ومن تقاليد المجتمع الصالحة أوضح تصوير، فقالت: "والدين في هذه الأيام يتعرض لأعنف ابتلاء وأوقح هجوم دون محاسبة لهؤلاء المهاجمين، أو إنكار عليهم، تتعرض أصول الدين للسخرية والاستهزاء، فنسمع ونقرأ إنكارات لله والبعث والجزاء، ونقرأ هجومًا على الأخلاق الفاضلة، وتندراً على العفة والبكارة والشرف، وتطاولاً على الآداب الإسلامية والأحكام الفقهية، ونقرأ الدعوة إلى فتح دور الفجور، ونقرأ عن الفتاة المطلوبة التي تحب أباها وتشتهيه وتعيش بلا أدنى خجل أو ندم، كما تتعرض قواعد الدين

---

[٩] - من مقال للشيخ يوسف الدجوي في المجلة " رجاء للحكومة لمصلحة الحكومة" عدد جمادى الأخرة ١٣٥٦هـ

وأركانه للتعطيل والإهمال، وتتعرض حرماته للانتهاك والاستحلال، ويتعرض رجاله لحملات فيها القليل من الحق، والكثير من الباطل، وفيها سوء النية وخبث الطوية ولؤم الاستغلال، وفيها الهضم الشديد لحقوق هؤلاء الرجال، وفيها التعويق لهم عن آراء رسالتهم، وفيها محاولة اتخاذ الهجوم على أشخاصهم سببا للقضاء على الدعوة الدينية التي يمثلونها وينتسبون إليها"[١٠]

وأنت هنا قد تسمع من يقول لك: ليس من الصواب أن ينتصب الأزهر للرد على عواء كل نابح، وليس من المصلحة أن نجابه كل مرجف فهذا يسهم في نشر أفكاره والترويج لباطله.! ولعل هذا كان ممكنا ومقبولا في الزمن القديم، لكننا اليوم مع ظهور الميديا والاعلام الجديد، الذي صار يلتقط كل الهنات ويضخم كل الشبهات أصبحنا في حاجة إلى حصن مكين يقدم لنا الحجة والبيان، ويدحر الافتراء بالبرهان.

وأنا لا أنكر حضور المجلة في كثير من القضايا الهامة والعامة التي تلم بالأمة، ولكنها على المستوى الدفاعي عن المفاهيم الإسلامية ينتظر منها جهد أكبر وبلاء أحسن.

---

[١٠] - من مقال للشيخ أحمد الشرباصي في المجلة تحت عنوان في سبيل الإلحاد عدد أبريل ١٩٥٧وعبد اللطيف السبكي " القرآن وجلاء المحنة" عدد يناير ١٩٥٧

احرقوا صفوة البيان

لا تستغرب مني إذا قلت لك: إنني الان أجمع كل الاجزاء الجميلة من تفسير صفوة البيان التي صدرت كهدايا مع مجلة الأزهر لأحرقها وأضرم فيها النيران فتتحول إلى رماد تذروه الرياح.. نعم.. فمن الخطورة الكبيرة التي تضر بالعلم أن يبقى هذا الكتاب في مكتبتي، وينتشر بين عموم القراء وهو ناقص مجتزأ مبتور عن التفسير الحقيقي الذي كتبه صاحبه.

كنت قد نوهت في مقال سابق بالجريمة التي ارتكبت في حق كتاب صفوة البيان الذي صدر هدية مع مجلة الازهر وتسارع إليه القراء سعداء به فرحين.. وكيف أعملت في الكتاب يد الغدر فحذفت كثيرا من نصوصه التي لا تعجب اهل الكتاب وتشرح ايات الله التي أبانت غدرهم ونكرانهم.

وكنا نظن الأمر ابتداء مجرد حذف في بعض المواضع التي كان الحديث فيها شديدا على النصارى، وحتى يتجنب الأزهر سفاهة المتقولين وثورة المشاغبين، ولكن تبين الان أن الامر والمسألة أضخم من ذلك وأكبر، وأنها قد تصل إلى حد المهزلة او المؤامرة، حينما قام المشرفون على نشر التفسير بحذف كثير

من المقاطع التي تشرح آيات أهل الكتاب، وتشهد على غلوهم وكفرانهم.
حدثني أحد الأحبة من الباحثين المجدين وقد اوغل في النسخ الاصلية لتفسير صفوة البيان، فراعة ما وجد من كذب مهول وتشويه فج وتزييف مدبر في هدايا مجلة الأزهر، لقد أوشك القوم لو كان ذلك بأيديهم أن يغيروا آيات القرآن الكريم ذاتها أو يحذفوها لو قدروا.!
ولكن السؤال الذي يلح في الخاطر: لماذا وضع هؤلاء انفسهم والمجلة والأزهر كله في هذا الحرج الشديد، وبدلا من أن يقدم الازهر معاني الهداية، فإذا به يعدوا عليها بالحذف والتبديل.
ما الذي ألجأ الأزهر لنشر هذا التفسير الذي يعج بمواضع لا تروقه، ومواضع تضعه في صورة المزيف الأكبر، فبدلا من ان يحمي الأزهر كتب الدين وينشرها، إذا به يمسخها ويعمل فيها بالتزييف والحذف والبتر.
ليت الأزهر لم ينشر الكتاب، فوقتها لن يُعاقب شيوخه بتهمة كتمان العلم، فالكتاب موجود في المكتبات يشتريه ويقتنيه من يشاء، ولكن الأزهر حذف وبدل وزيف وزور، فهل من حجة تبرئ ساحته؟
بعض الحمقى والمتساهلين، يتخيل الأمر يسيرا هينا، ويظن أنه عمل دبر بليل وخفي عن اعين الناس ولن يعبأ به أحد، لكن

الحقيقة أن ما حدث من تزييف كارثة كبرى ووصمة عار ستلاحق مجلة الازهر ما بقي الدهر، وستكون نقطة سوداء تشين تاريخها الزاهي.

لقد أصبح لدي الآن يقين كبير أن القائمين على المجلة لا يستأمنون على تبليغ العلم ونشر الثقافة وحفظ الدين، بل أصبح لدي ايمان كبير بأن أجزاء هذا التفسير لابد أن تأكلها النيران خير لنا ولها من ان تظل في مكتباتنا نطالعها ويطالعها غيرنا ونحن غير متنبهين لحالة البتر الشنيع.. اقرأ وتمعن وقارن وانظر، ثم بعدها مباشرة أوقد نارك لتأكل صفوة البيان الأزهري، ففيه حذف وتزييف، فلأن يكون بين يديك رمادا خير من ان يكون كتابا تقرأه.

أسكتوا عواء الحاقدين

فزع وهلع وشعور كبير بالخيبة والحسرة والخسارة والتراجع والانحدار في صفوف العلمانيين والملحدين الذين يتصدرون المشهد الإعلامي والفكري في بلادنا، وقد رأيناهم وهم يعوون ويصرخون ويلطمون على الشاشات ويتشنجون كالمجانين عقب ظهور قرار وزير التربية والتعليم أن يكون الدين مادة أساسية تضاف إلى المجموع، كمحاولة منهم

لترهيب الوزير وإثنائه عن قراره وإفهامه أنه مرفوض وضد الدولة المدنية، ويمثل قرارا لدعم التطرف والإرهاب والتخلف والتراجع.

ولكننا كمصريين لابد للنظر لمصلحة الوطن بعيدا عن هلع العلمانيين وبغضهم الفطري للدين، فمصر اليوم في أمس الحاجة للدين، وكل الراصدين والمتابعين يعلمون أن الانحدار القيمي والأخلاقي في المجتمع بدأ منذ أن تم تجفيف منابع الدين، خاصة في أروقة التعليم، فظهر جيل لا يعرف صلاة ولا قرآنا ولا صياما ولا قيما ولا رسولا ولا سيرة ولا هديا يشكل سلوكه وأخلاقه.

منذ ذلك اليوم الذي خرج الدين فيه من المعادلة التعليمية ونحن في انحدار وتراجع.. ومما يحزنني أنا العلمانيين يقودون حملة لارهاب الوزير واستعداء المسؤولين الكبار عليه، ويستغلون منابرهم الاعلامية في عملية الترهيب، وكنت أتمنى أن تكون هناك جبهة مضادة يقودها علماء ودعاة ومسؤولون بالأزهر الشريف والأوقاف، ليساندوا القرار ويبينوا للجميع كيف تحتاجه مصر ومجتمعها، وأن تدريس الدين كمادة أساسية وشرح معالمه القويمة للطلاب عمل قومي ووطني من الدرجة الأولى لأنه دين الدولة الرسمي الذي يجب عليها أن تحافظ عليه وتعلمه لأبنائها كما يجب أن يكون حتى تحميهم من

الأفهام الخاطئة والتطرف، لكننا لا نجد داعية او عالما ممن يتصدرون المشهد تأخذه الغيرة على الدين، وتحثه حميته أن يدافع عنه ويرد عنه كيد علماني ملحد بغيض.. يمكن له فقط أن يشن غارة وحربا على داعية مثله لمجرد أنه يخالفه في المذهب أو التوجه أو التيار، الذي يخدم به الدين من وجهة أخرى.. يمكن له أن يعاركه ويحذر من كتبه ومؤلفاته، أما أن يرد على علماني ملحد فلا..!

نحن في حاجة إلى هذا القرار وبشدة وضرورة، ولو ان وزير التربية والتعليم عدل عنه، فإن عدوله خسارة عظيمة لا تقدر بثمن.. ولكن هل يمكن أن يدعمه أحد أمام هذا العواء المتعالي حتى يمضي في قراره؟

حدثني كثيرون بما رابني وأفسد حماسي فقالوا لي: لا تتعجل في الحكم ولا تغريك حماستك بهذا الدفاع الكبير، فالدين الذي يريده القرار غير الدين الذي تعتقده وترتجيه.. وساعتها ندخل في مأساة أخرى أشد سوءا وهي تمييع مفاهيم الدين نفسه، التي لا تقل خطورة عن التطرف والارهاب الذي تبعثه الافكار المنحرفة.

مؤخرة الدجاجة

قرأت قديمًا في كتاب الطبقات الكبرى للشعراني، أن أحد الأولياء كان جالسًا يأكل في دجاجة، فجاء ولده فأعطاه منها وقال له: خذ مؤخرة الدجاجة فقد كان رسول الله ﷺ ، يحب مؤخرة الدجاجة، فلما سمع الفتى ذلك، قال لأبيه: إنها قذارة.!

لما سمع الأب هذا الكلام، كان بجواره سيف، فلم يدر إلا وهو يمتشقه ويهوي به على عنق ولده.

وعلى قدر قسوة الموقف وعنف العقاب، وخروجه عن المنهج النبوي في محاسبة المخطئ، وعلى يقيني أن مثل هذا الموقف ربما يكون من المدسوسات على طبقات الشعراني، إلا أنه يعلمنا في المقام الأول قدسية مقام النبوة، وحرمة الجناب المحمدي، وأن مجرد اسم النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر، فلابد من الخشوع والخضوع والإعظام والإكرام، لقد قال الله تعالى له: ورفعنا لك ذكرك، وهكذا حينما يذكر رسول الله ﷺ أو شيء من خصائصه، فلابد أن تنال الرفعة من نفوسنا.

لقد استرعبت واستوحشت هذا القول النكر من الفتى الذي صعد المنبر، وخانه التعبير، وتلفظ بجملة تنهد لها الجبال هدا، فقال: عن يوم المولد النبوي الشريف: يوم منيل بستين نيلة.. ويعلم الله أنني لو كنت حاضرا لأنزلته من على المنبر صاغرا

وما سمحت له أن يكمل، وربما لطمته لطمة أو لطمتين، لأن الفتى لم يكن قوله مجرد خطأ وتسرع، وإنما قدم البرهان على أنه لم يتأدب بعد، وأولى به أن يتعلم التربية ويستلهم التزكية قبل أن يصعد المنبر.

ومن يجن إثم هذا الحدث الغر الذي جاء بآبدة، هم من صدروه للمنبر، وألبسوه العمامة، وأفهموه أنه داعية، هم وحدهم من يتحملون وزر هذا الإفك والسوء.

وهذه هي المشكلة التي نعانيها من بعض التيارات التي تنتسب إلى التدين، وتدفع فتيانها لتصدر المنابر قبل أن ينالوا قسطا من التربية القويمة، وهو نفس الحال حينما تناقش أحدهم لتجده القمة في التطاول والوقاحة وقلة الأدب، ولعل المنبر يكون أكثر تحجيما لأمثال هؤلاء، فلا تظهر على أمثالهم وقاحتهم المتأصلة، بقدر ما تتأجج وقت الحوار.

إن فقدان التيارات الإسلامية وبعض شبابها لمعالم التزكية الحقة، أفقدها كثيرا من جوهر الدعوة وثمرة التدين، وكيف لداعية يدعو الناس، ويقول: إنني أمثل الإسلام، ثم يكون قبيحا سبابا شتاما؟

أولى به أن يدعو نفسه ابتداء ليلتزم أدب النبوة.

كانت هذه الوقاحة قديما تتفشى في بعض غلمان التيار السلفي، ومعروفة في كثير من أتباعه، لكنها اليوم صارت عدوى وأكثر

تفشيا في غلمان الصوفية، الذين يزعمون أنهم معقل التزكية ومعينها الأصيل، ثم إذا حاورت أحدهم وخالفته، تنزاح الستائر عن وحش حقير، ومارد سافل، لم تر مثله في البشاعة والوضاعة والانحدار.

المنبر له قدسه واحترامه، ولا يجب أن يرتقيه إلا مهذب مؤدب واع عالم، ولا يمكن أبدا أن يكون ميدنا لأغيلمة لا فقه لهم ولا رشد، يسمعون الناس الطيش، ويعلمونهم السب والشتم.

لقد نهينا عن سب الدهر، ولولا ذلك لكنت لعنت اليوم الذي جاء فيه غلام أحمق يسمعنا مثل هذا الكلام.

لقد وقفت أتأمل، ولم استطع التحمل، وقلت في نفسي: كيف استطاع نطقها؟ لله ما أبشعه.!

والمصيبة أنه على المنبر سفينة الهدى ومنارة الرشاد.. وإذا كان التطاول على المولد المحمدي بهذه الصورة، وهو ما ينكر الفتى الاحتفال به ويجعله بدعة، فكيف به إذا اختلف مع إمام من الأئمة في حكم من أحكام الفقه والدين؟

لا شك أنه سيكون أكثر فجاجة وتطاولا وقبحا وتهجما.

لكم تمنيت ان تكون للتربية شهادات ودرجات كما للتعليم، حتى لا يتصدر المنابر إلا من نالها وتفوق فيها، لأننا نحتاج إلى تربية الناس قبل تعليمهم.

لماذا كرههم شاكر؟

رغم أن الأستاذ محمود شاكر يعد من حراس الهوية الإسلامية، وأحد أبرز فرسانها المعدودين، وما خلفه من جهود عظيمة في خدمة العلم والتراث، إلا أننا نجد العداء كبيرا ومتوارثا بين الإخوان المسلمين والأسرة الشاكرية، فأحمد شاكر الأخ الأكبر للأستاذ محمود شاكر، كان على معرفة بحسن البنا ولكنه لم يكن يطيق مذهبه أو يعترف بطريقه، بل كما يحكي الدكتور فهر محمود شاكر: إن حسن البنا طلب لقاء الشيخ أحمد شاكر أكثر من مرة ولكن الشيخ رفض، ثم فوق المعرفة القوية فإن والد حسن البنا كان من أئمة الحديث، والشيخ أحمد شاكر أيضا من علماء الحديث، فهناك رابطة في تخصص العلم، ربما كانت أدعى للتواؤم بين الرجلين، لكن ربما كانت القضية تلقي بثقلها نحو نوع من التغاير بين الأنداد، فالدوي الرهيب الذي صنعه حسن البنا لم يكن سهلا لدى علماء الدين، ولعل الشيخ شاكر أصابته غيره من هذا النفوذ الديني الذي حققه هذا الشاب وفاق فيه كل العلماء والدعاة في ذلك الوقت، بل فاق حتى الأزهر نفسه، ولذلك فإننا نجد موقف الشيخ شاكر موقفا فريدًا لم يكن لغيره من العلماء، هذا إذا علمنا تسجيل الشيخ الأستاذ الإمام محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر شهادة تطري شخص حسن البنا، حيث ذكر انه مسلم غيور

على دينه، يفهم الوسط الذي يعيش فيه، ويعرف مواضع الداء في جسم الأمة الإسلامية، ويفقه أسرار الإسلام، وقد اتصل بالناس اتصالا وثيقًا على اختلاف طبقاتهم، وشغل نفسه بالإصلاح الديني والاجتماعي، على الطريقة التي كان يرضاها سلف هذه الأمة، ورغم أنه فيما بعد – أي المراغي- كان أول من طالب بحل الجماعة، لأنه أيضا أصيب بشيء من القلق فأفتى بحل الجماعة، لأنها في نظره تحولت إلى مرجعية دينية وإفتائية بديلة عن الأزهر الشريف، وأن الجماعة أباحت لنفسها الفتوى في الدين" وهو ما يهدد مكانة الأزهر ويزيح شيخه عن منزلة القيادة الدينية.

مرت الأيام وحدثت جريمة مقتل النقراشي وتورط النظام الخاص لجماعة الإخوان في الجريمة، فهب الشيخ أحمد شاكر بفتاوى العنيفة الصادمة للإخوان المسلمين، وأفتى بقتلهم وجواز التخلص منهم كخوارج لهذا العصر، بل مضى شاكر فى رأيه لما هو أبعد من هذا حيث قال: "وحركة الشيخ حسن البنا وإخوانه المسلمين الذين قلبوا الدعوة الإسلامية إلى دعوة إجرامية هدامة، ينفق عليها الشيوعيون واليهود، كما نعلم ذلك علم اليقين" وهو الأمر الذي أثار ثائرة الشيخ الغزالي، فهب في وجه الرجل كالعاصفة الهادرة وكتب في مقدمة كتابه «من هنا نعلم» والذي صدر في شهر نوفمبر عام ١٩٥٠، دفاعاً عن

الإخوان المسلمين: «إننا نعرف أن الشيخ أحمد شاكر القاضي بالمحاكم الشرعية أصدر فتوى بأن الإخوان المسلمين كفار!! وأن من قتلهم كان أولى بالله منهم (كذا). والرجل الذي كان يصدر هذه الفتوى كان ينبغي أن يطرد من زمرة العلماء، ومع ذلك فلا نحسب أحداً أجرى معه تحقيقاً».

ويبدو أن هذا التجريح الكبير للشيخ أحمد شاكر قد آلم نفس أخيه الاستاذ محمود شاكر، فتسبب في كراهيته للإخوان المسلمين وبغضه لهم، لأنه كان يرى أخاه أحمد ليس شيخًا للحديث فقط وإنما شيخ للإسلام، ومما استوحيناه من حديث الدكتور فهر أنه كان شديد التبعية لأخيه الشيخ أحمد.

الأمر الثاني هو احتدام المعركة بينه وبين سيد قطب، وكانت معارك حامية الوطيس، مثل فيها قطب تلامذة العقاد، بينما كان شاكر تلميذا للرافعي، ولعل التوجه الديني الذي توجه إليه سيد قطب وانضمامه للإخوان فيما بعد، أجج في نفس شاكر كراهية أكثر للإخوان المسلمين فوق ما يحمله لهم من الكره، إذ أنها تضم يوما بعد يوم خصومه وخصوم أخيه الشيخ المحدث أحمد شاكر.!

وحينما نقل حسين أحمد أمين في كتابه شخصيات عرفتها كلام الأستاذ وهبة حسن وهبة وهو من أقطاب الإخوان المسلمين، كلاما يُعرض بشخصية شاكر ويتهمه باتهامات لا تليق كاتهامه

له بأنه فاشل فظ وثقيل وقليل الادب ولا يحترم مشاعر الاخرين، و إنسان حقود مر لا يطيق أن يرى غيره ينتج ويحرز الشهرة.! وهو ما يجعلنا نشكك في هذا الكلام الذي لا يمكن أن يخرج من الأستاذ وهبة خاصة مع رجل علماني الفكر ومن خصوم الشريعة الاسلامية ضد رجل محسوب على الهوية الإسلامية.

حتى أدلت الأستاذة صافيناز كاظم بشهادتها في لقائها مع الأستاذ وهبة حسن وهبة فقالت عنه:" كان لا يزال متأثرا مما كتبه الأستاذ حسين أحمد أمين بخصوص الأستاذ محمود شاكر، وقال: "...الأستاذ حسين أحمد أمين لم يكن محقا فيما نسبه إليّ...الأستاذ محمود شاكر رحمه الله حضر إلينا في سجن أبو زعبل سنة ١٩٦٧ وكنا نحن هناك قبله سنة ١٩٦٥، رجل كبير، ولم يكن بينه وبين الإخوان مودة، فهو الله يرحمه كان يتلفظ بألفاظ تجريح للأستاذ حسن البنا، لكنه كان وحيدا والسجن به حوالي ثلاثة آلاف... محدّش كان يعرف قدر شاكر مثلي ...والله يرحمه كان مدخنا والدخان في السجن ممنوع وصعب لذلك كنت أعتبر أنه من واجبي توفير ما يحتاجه لكن هذا ماكانش يعجب الإخوان... كان في حمايتي عشان محدش يتعرض له، ولا أذكر له إلا كل ود قبل السجن وبعده ...هو

كان حادا في تعبيراته وخشنا في كلامه لكن هذا لا ينتقص من فضله فهو عالم وعالم جليل."
ثم نأتي إلى ما كتبه بلال فضل في كتابه (فتح بطن التاريخ) وادعاءه أن الشيخ شاكر كان في السجن لا يطيق الإخوان المسلمين وينفر منهم ولا يحب وجودهم، ويستثقل ريحهم، وهم من يتفقون معه في الهوية، وكان يفضل عليهم الشيوعيين ويأنس بهم رغم اختلافه معهم، وهو كلام خطأ وغير صحيح أثبت نقيضه الإخواني الدكتور نجيب الكيلاني في مذكراته حيث قال:
"في هذه الفترة التقيت بالعلامة الكبير والمفكر المعروف الأستاذ محمود شاكر – مد الله في عمره –وبقيت إلى جواره طول فترة اعتقالي في مزرعة طرة، وربطتنا علاقة وطيدة مفيدة. فكان إذا فتح باب العنبر أرى وجهه يطل علينا كأول وجه بعد وجه السجان، ويهتف بصوته المميز القوى: نجيب ... نجيب) فأقفز من فوق السرير، وأذهب إليه لنبدأ رحلة اليوم في الأحاديث الجميلة، والمعلومات الوثيقة، كان بمثابة مدرسة تتحرك، لديه قناعاته الراسخة التي لا تتزعزع، وهو محقق تفسير الطبري الهام الذي أصدرته دار المعارف، وله كتاب متميز عن المتنبى نال عليه جائزة الملك فيصل الكبرى، ومن أشهر كتبه أباطيل وأسمار الذي رد به على ترهات وأكاذيب

الدكتور لويس عوض، كما حقق كتاب (جمهرة نسب قريش، وديوان : ابن الدمينة ، وغيره من الكتب الثمينة، ولقد كان بيته في شارع الأسود بمصر الجديدة أشبه ما يكون بجامعة كبرى، تتلمذ على يديه فيه أعداد كبيرة من طلبة الدكتوراه والماجستير في العالم العربي كله، وكان صديقا بل أستاذا للكثيرين من قسم الأدب والفكر في مصر وخارجها، وعلى الرغم من أنه اعتقل ضمن الإخوان المسلمين، إلا أنه لم يكن عضوا في الجماعة، ولقد اعتقل مرتين الأولى – كما علمت – سبب صداقته للشيخ الباقوري وزير الأوقاف، وكانا يسهران معا، وكان الأستاذ شاكر يروى بعض والنكات والتعليقات التي تمس الثورة وشخصية جمال عبد الناصر، وقد بلغت هذه الأحاديث مسامع الكبار، فاعتقل الأستاذ محمود شاكر وعدد من الرجال معه منهم الكاتب الإسلامي المعروف الأستاذ عبد الكريم الخطيب، والأستاذ محمد عطا، أما الأستاذ الباقوري فقد أعفى من منصب الوزارة، وحددت إقامته في بيته، وخرج الأستاذ شاكر من المعتقل، وتصدى لكتابات ولويس عوض، مما ساهم في إعادة اعتقاله مرة أخرى في عام ١٩٦٥م

أقول: إن محمود شاكر كان موسوعة علمية متحركة، ولقد روى لي الكثير عن قصة حياته مما لا يتسع المقام له هنا، وفي أوقات الفراغ كنت أجلس معه لتلعب الطاولة (البرد)، وهي

مصنوعة من لباب الخبز ، وكان يحتشد حولنا مجموعة من المشجعين له ولى، وكان من أكبر المتحمسين له الأخ المعتقل و مصطفى كمال، شقيق الإخواني الشهير الشاب و على صديق »، وكان مصطفى حليق الرأس مثل(يول برانير) الممثل العالمي، ومن شدة غيظى منه كنت أسميه المأجور الأقرع، وكان الأستاذ شاكر يضحك من أعماقه عند احتدام معركة الطاولة بيني وبينه، ويلعب دون اكتراث ويقول: دوسى، فيأتي الزهر بالدوسي، فأتضايق وأهتف في عصبية: (أنت يا أستاذ شاكر و تقرص ، الزهر .. أنت غشاش.. فيكاد يستلقى على ظهره من الضحك.

وذات مرة كشف الأستاذ شاكر عن صدره وظهره فوجدته مصابا بمرض جلدى اسمه و التينيا»، وكان لابد من إحضار علاج لندهن به جسده، وكان الدورة المياه و حوش، أو فناء مشمس، فأخذت الأستاذ شاكر إلى هناك، ولبس (مايوه: وخلع ملابسه، ووقف عملاقا تحت الشمس ببشرته السوداء، كتمثال من النحاس، وأحضرت قنينة الدواء، وكان بغطائها فرشاة صغيرة لا تتناسب مع حجمه وطوله الفارغ، فكنت أغمس الفرشاة في الدواء، ثم أدهن بها جسده قطعة قطعة، والمارون بنا من المعتقلين يتسمون ، ويكتمون ضحكاتهم ."

ولعلنا هنا نجد مذكرات نجيب الكيلاني تثبت بوضوح أن الرجل كان خلافه مع الاخوان فكريا بحتا، بينما كانت له مع كثير منهم أنس وصحبه وعشرة، ولم يكن كما يقال لا يطيق سماع سيرتهم.. وهو الموقف الفكري الذي حاول المحقق الكبير الدكتور محمد رشاد سالم أن يلقي الضوء عليه حينما قال: "لو أردت أن ألـخِّص باختصار شديد أهم نقاط الخلاف دائماً بين الأستاذ محمود وبين تفكير الإخوان لقلتُ - إنه حسب فهمي -:

أن الأستاذ محمود يرى أن الإسلام لا يُخدَم بمجرد الحماسة العاطفية الفارغة، ولا يُخدَم بمجرد العمل الحزبي السياسي على طريقة الأحزاب الغربية والأحزاب السياسية الـمُحْدَثة، ولكن الإسلام يجب أن نعمل له؛ لأنه حضارة كاملة شاملة، لا بد أن يُقام له صرح علمي واجتماعي وفكري وحضاري، وأن يُجَنِّد المئات من الشباب أنفسهم للعمل لفهم هذا الدين فهماً صحيحاً، ولخدمته علميًّا وفكريًّا أولاً، وإذا اتضحت المفاهيم والأفكار في أذهان المسلمين يأتي بعد ذلك العمل.

فلا عمل قبل العلم، ولا يمكن أن يستقيم العمل للإسلام بدون فهم صحيح وبدون فكر صحيح.

أما الإخوان فكانت القضية الشاغلة لهم: الدولة والحرص على الحكم بمفاهيم إسلامية عاطفية، بمجرد الحماسة الفارغة

لكلمة الإسلام، وللرغبة المتعجّلة في الحكم، أدّى هذا إلى أنْ تصطدم الحكومات بالإخوان ويصطدم الإخوان بالحكومات، وأدّى هذا إلى كوارث، وإلى محنٍ أصابت كثيرٍ من شباب المسلمين في هذا البلد.

وقد كانت نظرة الأستاذ محمود صائبة ولا شك؛ لأن من خَرَج من عباءة الإخوان خرّج هؤلاء الشباب المتطرفون أمثال شباب التكفير والهجرة وغيرهم، وأدّى ذلك إلى انحراف الكثير من الشبان في فهمهم للإسلام، ولكن أظن أن التيار الواعي والشباب الفاهم قد كَثُر بحمد الله، والاتجاه إلى الاهتمام بالعلم وبالفهم الإسلامي الصحيح زاد مع مرور الأيام، ولا شك أن هذا من حسنات الأستاذ محمود التي قد يجهلها كثير من الناس وهي محسوبة له عند الله – إن شاء الله – ".

ويمكننا هنا أن نتساءل: هل يمكن أن يكون موقف الأستاذ شاكر من الإخوان موقفا نفسيا قبل أن يكون فكريا؟ والجواب لا بل هو فكري في المقام الأول وإن تحول مع الأيام إلى شذرات نفسية، فهم في بعض فتراتهم كانوا يستقطبونه ويدعونه في بعض ملتقياتهم ومعسكراتهم ليحدث الشباب عن الإسلام في التاريخ واللغة، ولما التقى بكثير من الشباب لم يعجبه تفكيرهم وضاق بهم أشد الضيق، ونفر من وجوده

معهم.. فتأججت الجراح القديمة مع الرؤى الحديثة مما جعله لا يطيق اسمهم أو ذكرهم، وحينما كان يزوره بعضهم كان يقول له: "اخلع ما في عقلك مما تعلمته من الإخوان مع جزمتك قبل أن تجالسني"

وبعد هذا أليس من الجدير أن تتم دراسة وجهة نظر الأستاذ شاكر والتوقف أمامها بكثير من التأمل خصوصا مع الأحداث الأخيرة التي منيت بها هذه الجماعة، وما اجترته من مخاطر ومهالك لكثير من الشباب، لماذا تدخل الجماعة معترك السياسة والصراع على الحكم، وهو صراع لا يمكن أن يكون له مستقبل إلا الفشل والدمار والضياع والخسران الأكيد للدعوة وحضورها، بل تسير الجماعة سيرة ريطة الحمقاء التي تنقض غزلها من بعد قوة أنكاسا، فبعد ما تجتهد فيه من العمل الدعوي وتكون لنفسها أرضية جماهيرية وحضور شعبي، تهب للمشاركة السياسية والصراع على الحكم، الذي يقوم بدوره ليأكل كل شيء، ويفسد كل ثمرة، وإني أتساءل: ماذا لو أن الجماعة منذ قيامها قد ركزت كل جهودها للدعوة وحدها؟ كيف ياترى سيكون شكل الآن وطبيعة شعبها وشبابها؟ بل وحجم الإسلام وتأثيره فيها؟

التجديد الذي يريده الإسلام؟

استمعت إلى كلمة معالي وزير الاوقاف والتي تمنى فيها أن يكون التجديد في الدين في عصرنا الحاضر على يد مصري ونابع من مصر، وكأنه يلوح لشيء معين وأمنية في نفسه، وأنا أتعجب من هذا الحديث الذي أشعر فيه أن وزير الاوقاف يغمض عينه عن الأعلام المجددين في الفقه والعلم في عصرنا الحاضر ممن تعرفهم الدنيا وأفادوا المسلمين في كافة بقاع الدنيا.

إن الحديث الدائم الذي يلمح بالتعصب لمصر وحصر كل المناقب على مصر وحدها، شعور طيب يعبر عن محبة القائل لوطنه، لكننا يجب أن نكون موضوعيين أكثر، فالحديث القديم الذي ذكره السيوطي من أن غالب المجددين من مصر، كان ذلك في الأزمان القديمة، لأن مصر في ذلك الوقت كانت حاضرة عظيمة تتفوق عن بقية البلدان الإسلامية بسعتها وتقدمها وثقافتها وجماهيريتها، وقد شاءت الظروف أن تجعل منها قبلة المتعلمين والدارسين.. لكن العالم الإسلامي اليوم اختلف عن قديمه، وصارت حواضر الإسلام متنوعة منتشرة ولها أثرها العلمي والفقهي وفيها مدارس وعقول دارسة فاقهة مؤثرة.

ومن ثم أرى أن اعتماد الأزهري على كلام السيوطي، كان استدلالا خطأ يغفل الواقع والظروف.

ثم كانت هناك نقطة مهمة والتي شاعت وانتشرت مؤخرًا، ولا أعرف هل تعمد الأزهري إغفالها، أم تغاضى عنها بقصد ونية ومراد طوية؟

وهي كما ذكرها العلامة المناوي أن عملية التجديد ليس شرطًا ان ترتبط بشخص معين محدد، فيكون هو المجدد للدين، وإنما يمكن لها أن تتجسد في جماعة أو مدرسة أو تيار أو مذهب يحمل ملامح التجديد الإسلامي.

فهلا كان جديرا بالدكتور الأزهري أن يذكر هذه اللفتة، أم أنه يلح في تمثيل التجديد بالأشخاص والذوات؟

لا أعرف..!

كما أن حواضر الإسلام على انتشار مساحته الهائلة شرقا وغربا، قد جعلت له عوالم مختلفة كل بيئة تختلف عن الأخرى بما يناسبها، وقد تجد لكل بيئة من يمثل لها صورة التجديد التي لا ترتبط بالأخرى، وهذا ما رأيناه في تجديد الإمام محمد ابن عبد الوهاب، والذي مازالت إلى اليوم تسير على منهجه السلفي منطقة الخليج، كانت هذه البلاد تحتاج إلى تجديده وقد تحقق، بينما لم تشعر به مصر ولم يؤثر فيها، لأن مصر وغيرها من البلدان لها طبيعة مختلفة عما كانت عليه منطقة الخليج في ذلك الوقت ولم تكن فيها من المشكلات الدينية التي انتشرت بالخليج الخليج.. وانظر مثلا لأثر العلامة المودودي في الهند

وباكستان وكيف أن الرجل كانت له ملامحه التجديدية في بيئته والتي لم يكن لها تأثير في البيئات الإسلامية الأخرى، حتى وإن توافقت معها.

والتجديد عموما يكون في الملمح الذي اندرس في حياة الناس وأغفلوه، فأثر على دينهم وجعل له صورة غير التي كانت عليه، فلو أن الأمة مثلا تكاسلت عن جهاد العدو وتخاذلت عن مقاومته، وظهر فيها من يقاوم العدو ويدعو لتحرير البلدان الإسلامية، فعندي أن هذه المقاومة، تعد تجديدًا للدين تعيد له أصله الذي انتفى وأغفل من حياة الناس.

ولو أن البدع والخرافات انتشرت بين المسلمين، حتى تشوهت العقيدة الإسلامية، وتغيرت سمات الوحدانية، وظهر من يدعو إلى التمسك والاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه، فهذا لون وصورة من صور التجديد المطلوب، كما نلمح إلى صورة المجدد نفسه، إذ لابد أن يكون مجددًا لكل المسلمين غير محصور على تيار بعينه، ولا يفسر مفاهيم الدين واجتهاداته ورؤاه من منطق أفكاره وانتماءاته، التي تخدم هذا التيار وحده دون بقية المسلمين.

ثم صورة أخرى مهمة وهي هل يُقصد بالتجديد الفقه والعلم والاستنباط والاجتهاد والافتاء في قضايا العصر بما يوائم

تطوراته، أم العملية الدعوية الحركية التي تعيد الحضور الإسلامي على أرض الواقع؟

هذه هي أدق نقطة في توضيح عملية التجديد، ويبدو أن معالي الوزير ومن خلال حديثه، يقصد العملية العلمية لا الحضور الواقعي، والناس في هذا الزمان لا ينقصهم العلم ووضوح الدين، ولا يشح فيهم العلماء المجتهدون بقدر ما ينقصهم من يستطيع تجسيد صورة هذا الدين على أرض الواقع، ويعيد إلى الحياة تعاليمه التي اندرست والتي تعد اليوم من قبيل المحرمات والغرائب والمنهيات.

تجديد الدين لا يكون منزويا بعملية التجديد ويمارسها من برج عادي بوسائل التنظير والخطب وتأليف الكتب، وإنما لابد للتجديد أن يخوض ميادين التحدي والكفاح للعقبات التي تمنع عودة الإسلام إلى بريقه، ولابد له من تأثر قوي ودقيق حتى يستطيع أن يبلغ مفاهيم التجديد المنشودة.

بل بعض المدارس والتوجهات والمذاهب تحتاج نفسها إلى تجديد وإحياء، بعيدا عن الإسلام نفسه كدين شامل وككل كامل، فالصوفية مثلا تحتاج إلى تجديد وإحياء في مفاهيمها وطرقها فتنفي عن طريقها الغلو والانحراف والبدع والخرافات، وهل يمكن لمن يسير في ركاب الصوفية أن يكون

معينًا لتجديد الإسلام كله، قبل أن ينجح في تجديد التصوف نفسه والمدرسة التي ينتسب إليها.؟

مؤتمر العجائب!

لا شك أنه من الحمق والجهالة والخطل أن نزيد الأمة تمزيقا في هذا الوقت العصيب من تاريخها والذي يستدعي توحد صفوفها وفرقها ومذاهبها ودولها وتوجهاتها على قلب رجل واحد لتواجه العواصف التي تهدد وجودها وبقاءها...! وهذا بالتحديد ما مثله ووقع فيه مؤتمر التعريف بأهل السنة الذي نظمته منظمة الحبيب علي الجفري المشبوهة في الشيشان.!

وليست هذه هي العجيبة الوحيدة لهذا المؤتمر الذي يعج بأكثر من علامة استفهام ويثير كثيراً من لحظات الإندهاش، ففي الوقت الذي يعد فيه الأزهر أكبر وأعظم صرح ديني يمثل الإسلام، نرى شيخه يذهب للشيشان، لا ليعلن غضبته من روسيا وأنصارها في حربها العرقية ضد إخواننا في سوريا ، وإنما ذهب ليأخذهم بالأحضان يؤاكلهم ويشاربهم، ويساهم في إحياء مؤتمر عنصري طائفي لا يزيد الأمة إلا تمزيقا حينما قصر مفهوم أهل السنة على الأشاعرة والماتريدية وهدف بالتحديد إلى إبعاد وإقصاء التيار السلفي الوهابي الذي يمثل

نقاء الإسلام وطهارة أصوله عن البدع والشركيات، والذي يعبر عنه أعظم أئمة عرفهم تاريخ الإسلام كابن تيمية وأحمد بن حنبل والامام المجدد محمد بن عبد الوهاب..!

عجيبة أخرى وهي ظهور التيار الصوفي البدعي الخرافي في تبنيه للمؤتمر والذي يمثله الشيخ الصوفي الحبيب بن علي الجفري الذي ابتدأ بالخزعبلات من اللحظة الأولى لنزوله لأرض المطار حيث قال للرئيس الشيشاني: إن الرسول ﷺ سوف يُسر لأنك جئت لاستقبال شيخ الأزهر وكأن شيخ الأزهر قطب الأقطاب وسيد السادات ودرة أهل البيت الميامين!!

ولا أعلم كيف يسر الرسول ﷺ لتشريف شيخ الأزهر لمؤتمر يمزق فرق الأمة ويقصي مذاهبها التي تمثل الاسلام عن شرف التسمية؟! بل لا أعرف كيف للرسول الكريم ﷺ أن يسر وشيخ الأزهر يشارك إمعات تُعين على قتل المسلمين في سوريا وتشارك سفاح روسيا وتواليه في هدمه للإسلام وذبحه للمسلمين ..ولا غرابة في ذلك فهذا طبيعة الدين المائع الذي تدين به الصوفية البدعية المنحرفة التي توالي الظالمين والطغاة وتمكن للباطل على الحق وتاريخها معروف وعريق في التضليل والميوعة وعدم اتخاذ مواقف حاسمة ضد أعداء الأمة فرحم

الله تلك الأيام التي كان جهالها يسجدون للاستعمار ويقولون: بأن محاربة المحتلين حرام لأنهم قدر الله..!

إن هذه الزيارة التي مثلها الازهر في شخص شيخه تعد سقطة رهيبة ما كان يفعلها كثير من شيوخه السابقين نظراً لحساسية المكان وحساسية الكلام ولكن لأن شيخ الأزهر له خلفية سياسية فقد تجشم عناء هذه المهمة، لقد كان الرجل عضواً في لجنة السياسات في نظام مبارك، ومن هنا أبى إلا أن يكون شريكا في اللعبة السياسية فالمؤتمر ذو خلفية خبيثة ، فما هو إلا منظومة تهدف إلى سحب بساط القيادة الدينية من المملكة العربية السعودية واتهام مذهبها الديني الذي قامت عليه بأنه لا يمثل أهل السنة، ومحاولة عزلها من القيادة الدينية للعالم الإسلامي لكونها مقر الحرمين الشريفين ، وهي العجيبة الكبرى أن يتم توجيه هذا الغمز الموارب للمملكة التي ساعدت مصر ونظامها في كثير من أزماتها ..! ولكنه نوع من أنواع الابتزاز الرخيص المكشوف والمفضوح.

إن أحدهم يقول : لماذا تحشر الإسلام في السياسة لقد كان المؤتمر إسلامياً فما الذي أدخلنا في روسيا وسوريا والموالين لها..؟ والحقيقة أنها كلمة ضيزى وتصور عقيم بل هو التشوه الفكري المغلوط للإسلام و الرؤية الديوثة التي تفصل بين الإسلام والمسلمين، وقد كنا ننتظر من الأزهر وشيوخه

المعممين أن يقلبوا الطاولة على الباطل فيوجهون خطابهم لروسيا ووليها الذي يستضيفهم فيعرفونه بأن موالاة الكافر ومعاشرته ومصادقته والميل والركون إليه، ومساعدة الكافر الحربي بأي نوع من أنواع المساعدة من كبائر الذنوب ، حتى لو ساعده ببري القلم ناهيك عن تأييده ونصرته..!

كنا نتمنى وبمناسبة وجود شيوخ الصوفية المرتزقة في بلاد الشيشان أن يقرؤوا عن تاريخ الصوفية الحقة في بلاد الشيشان وجهادها الجبار لروسيا القيصرية ووقوف الشيخ شامل النقشبندي حاملاً لراية الجهاد الإسلامي ضد روسيا الصليبية التي يوالونها اليوم حتى يعرفوا المعنى الحقيقي للانتساب لأهل السنة والتعبير الحقيقي لمعنى أهل السنة .! لكنه كما قلت مؤتمر يعج بالعجائب المدهشة التي تخلط الأوراق والمفاهيم وتتحرك لبث الفرقة بين المسلمين.

المحتويات

مقدمة ٥
آداب الاختلاف ٨
احتراما لصاحب هذا القبر ١٠
لا تحقروا آراء الآخرين ١٣
معركتك مع من؟ ١٧
متدينون يضرون بالإسلام ٢٠
لا يفتى ومالك في المدينة ٢٥
يومًا عن الإسلام لم ينافح ٢٨
متدينون ضحية لويس عوض ٣٧
فتنة دمياط ٤٣
كتب الغزالي ضرورة دعوية ٤٩
متدينون منحطون ٥١
عقول مبتورة ٥٥
لقد أخطأت يا رشيد ٥٨
عالِمُنا أحسن من عالِمهم ٦١
الذين غاب عنهم الأدب ٦٣
الخطاب الجمعي و الدعوة ٦٥
على أي شيء يتعاركون؟ ٦٩

السلفيون الأحرار ٧٤
رسالة إلى شباب الأزهر ٧٩
جريمة غزالية ٨٢
من الذي أهان العمامة؟ ٨٦
غباء الداعية ٩٠
الحوار ..والرأي الآخر ٩٤
الترمومتر الديني ٩٧
أهم حاجة أزهري ١٠٢
الوعظ بالموسيقى ١٠٥
تلبيس الشيطان ١٠٧
جماعات غارقة في الغباء ١٠٩
بدعة الأكفان ١١٧
شكرا خالد منتصر ١٢٠
الفتاوى العاهرة ١٢٨
فليحرق برهامي كتبه ١٣٣
إنه حليق ١٣٧
بشر لا ملائكة ١٣٩
ترخيص بالفتوى ١٤٤
الليلة الفقهية السوداء ١٤٨
الغيورون ليسوا متشددين ١٥٢
يسبون علم الهداية ١٦٠

حق السابقة واحترام الكبار ١٦٤
رفقا بالمتدينين ١٦٩
تفهيم من لا يفهم ١٧٤
بصقة على وجه داعية ١٧٨
خيبة الله على عقولكم ١٨٢
خناجر الماضي ١٨٩
أكذوبة العلم الشرعي ١٩٣
أكاذيب تفضحها السلطة ١٩٧
الدعاة والاقتراب من السلطة ٢٠٠
الخديعة بسحر الوعظ ٢٠٦
أقذار في الحقل الاسلامي ٢٠٨
اقطعوا اليد الخفية في الأزهر ٢١١
ما الذي جرى لمجلة الأزهر ؟ ٢١٦
احرقوا صفوة البيان ٢٢٣
أسكتوا عواء الحاقدين ٢٢٥
مؤخرة الدجاجة ٢٢٨
لماذا كرههم شاكر؟ ٢٣١
التجديد الذي يريده الإسلام؟ ٢٤١
مؤتمر العجائب! ٢٤٥